صاحب الكتاب الأكثر مبيعًا

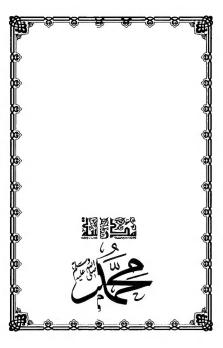
" مائة من عظماء أمة الإسلام غيروا مجرى التاريخ "



مكتبة نوميديا 163 Telegram: @Numidia_Library









اسم الكلاب: مدرسة محمد

لقطے: ۱۰× ۲۱ × ۲۱

عدد الصفحات: ۳۸۶ صفحة <u>سـنة الطبـع</u>: ۱٤٤٠ه/۲۰۱۹م (طبعة جديدة)

الناش والتوزيع التقوى للطباعة والنشر والتوزيع طباع في النقوى للطباعة والنشر والتوزيع

رقم الايداع بدار الكلب والوثائق القومية - مصر 2019 / 2363

الترقيع الدولي: 4-0-85468 -978-977



٨ ش البيطار ـ خلف الجامع الأزهر

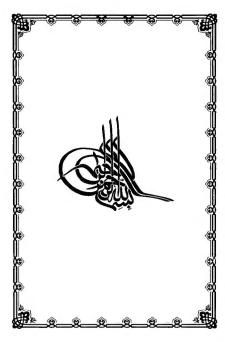
ثتوصيل الكتاب داخل اي مكان داخل جمهورية مصر العربية. يتم عن طريق طلب الكتاب من موقع سوق دوت كوم من على الرابط التالي،

https://egypt.souq.com/eg-en/eg-page-1











اَ فَكَشَفَ النَّبِيُّ صَلَّاتُمَا عَلَيْهِ وَعَلَمُّ اللَّهِ اللَّهِ عَلَيْهِ اللَّهِ عَلَيْهِ اللَّهِ اللَّه كأن وجهَه ورقة مُصحَف، ثم نبسَّم يضحَكُ (1)

في فجر يوم الاثنين الثامن من شهر يونيو من عام 632 للميلاد الموافق الشافي عشر من شهر ربيع الأول من عام 11 للهجرة، فوجئ الصحابة الذين كانوا يصطفون في صلاة الفجر برسول الله مراتشة عَيْبَوَعُ الله وَمَن كان طريح الفراش فيها، فقد غاب رسول الله صَلَّفَتَ عَيْبَوَ اللهُوسَةُ عن صحابته لعدة أيام قبل ذلك بعد أن صار عاجزًا عن الصلاة بهم من شدة الألام التي انتابته نتيجة لمرض شديد الوطأة ألمَّ به وقد وصل الحال به لدرجة أنه كان يغمى عليه عدة مرات في اليوم الواحد،

(1) صحيح البخاري.



وهو الأمر الذي دفعه لكي يختار صاحبه أبا بكر الصديق رَعِيَالَتَهُعَنهُ ليكون إمامًا على الناس في الصلاة بدلًا عنه، وما أن كشف الرسول صَلَّاتَتُهُ عَلَيْهِ وَعَلا آلِدِوَسَلَّمَ ستر حجرته حتى ألقى على أصحابه نظرة بوجه مشرق، ثم تبسم بعدها ضاحكًا وهو ينظر إليهم، فلما رأى الصحابة ذلك أصيبوا بالدهشة من شدة الفرح، فأخذ أبو بكر رَضَائِقَهُ عَنْهُ يرجع إلى الخلف ليترك مكان الإمام لرسول الله صَاَلَقَهُ عَلَيْهِ وَعَالَالِهِ وَسَلَّةٍ ، ولكن الرسول صَلَّاتَةَ عَلَيْهِ وَعَآلِهِ وَسَلَّةَ أَشَارَ عَلَى أَصْحَابِهِ أَنْ يَبْقُوا عَلَى مَا هم عليه وأن يتموا صلاتهم، ثـم أرخى رسـول الله صَلَالتَهُ عَلَيْهُ وَعَلَالِهِ وَسَلَّرَ ستارة حجرته، ليكمل الصحابة صلاتهم، وبعد الصلاة انصرف النياس إلى شؤونهم وهم سعداء بعد أن اعتقدوا أن رسول الله صَلَّابْتَهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ اللِّهِ وَسَلَّمَ فِي طريقه إلى الشَّفاء، ولكن الشيء الذي لم يكن يعلمه الصحابة وقتها، أن تلك الابتسامة المشرقة التي ارتسمت على وجه الرسول صَاِّلتَهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ الِهِ وَسَلَّة وهو ينظر إليهم، كانت هي لحظة الوداع الأخير!

ربما يستغرب القارئ الكريم من السبب الذي يدفعني لكي أبدأ الكتابة عن رسول الله صَلَّقَتَهُ عَرِيَقَ الْفِرِيَّةِ بالمشهد الأخير من حياته،

فبعد لحظات قصيرة من هذا اللقاء الخاطف مع صحابته، وبالتحديد في ضحى ذلك اليوم، انتقـل رسـول الله صَالَةَلْمَايَدِوَعَاۤ الِدِوَسَالَة إلى جوار ربه من تلك الحجرة التي أطل منها على أصحابه، والحقيقة أن سبب اختياري لهذه النهاية لتكون البداية التي أنطلق منها لكتابة هذا العمل الأدبي، يكمن في تلك الابتسامة المشرقة التبي ارتسمت على وجه رسول الله صَلَّاتِلَهُ عَلَيْهِ وَعَلَّالِهِ وَسَلَّمَ فِي تلك اللحظة، تلك الابتسامة التي تختصر سيلًا من المعاني الإنسانية التي يصعب شرحها بالكلمات أو العبارات، فالمتأمل في تلك اللحظة الفاصلة في حياة أي إنسان يدرك هول ذلك الموقف الإنساني وما قد يرافقه من شعور بالقلق على مستقبل من يتركهم الشخص من بعده، إن كانوا أبناءه أو تلاميذه أو غيرهم ممن كان مسؤولًا عنهم في حياته، فما بالك بشخص مثل رسول الله صَلَّاتَلَهُ عَلَيْهِ وَعَلَّالِهِ وَسَلَّمَ في آخر عهد له بالدنيا تاركًا خلفه مسؤولية الإنسانية بأسرها؟!

لا شك أن الأمر لم يكن هيئًا أبدًا على رسول الله صَلَّقَتَعَبُوعَ اللهِ مَتَاتَفَعَ وَعَلَيْهِ وَمَدَّة، وأن الحمل كان ثقيلًا للغاية، وأن التفكير في مستقبل العنصر البشري كان يشغل عقله، وأن المرض قد بلغ منه مبلغه، ولكنه

~O~

وبالرغم من كل ذلك اختار أن يقف على قدميه ليلقى على أصحابه نظرة الوداع بوجه مشرق كأنه «ورقة مصحف» على حدوصف الصحابي أنس بن مالك رَحِنَاتِتُهُ عَنهُ الذي نقل الحديث بلفظه الأصلى (١)، ثم يتبسم ضاحكًا وهو ينظر إليهم في مشهد إنساني يصعب وصفه، لا نعلم يقينًا إن كان الألم قد اختفى مؤقتًا في فجر ذلك اليوم، أو أن الرسول صَالِمَتُنَاتِهُ وَعَلَالِهِ وَسَلَّة كان ما يزال ينألم بالفعل من وطأة المرض في ذلك الحين، ولا نعلم إن كانت هناك طاقة مفاجأة قد سرت في جسده مكنته من النهوض من فراشه، أو أنه تحامل على نفسه لكي يقف على قدميه لبودع أصحابه الوداع الأخير دون أن يشعرهم بما يعانيه في داخله، ولا نعلم بالتحديد سر تلك الابتسامة العجيبة التي ارتسمت على وجهه، فلعلها كانت ابتسامة الوالد المحب وهو يودع أبناءه قبل الرحيل، أو ابتسامة المعلم الفخور بتخرج تلاميذه الذين رافقهم على مدار سنوات طويلة، أو ربما كانت ابتسامة القائد الذي يرى أتباعه وقد ينظمون صفوفهم بعد غيابه، قد تكون هذه الأمور مجتمعة أو بعضها أو غيرها هي سبب

⁽¹⁾ أخرجه البخاري ومسلم.

في تلك الإبتسامة، لا نعرف بالتحديد ماذا كان يدور في ذهن رسول الله مَوْلَتُنْ مَنْ وَلَكُن الشيء المؤكد أن السول من الشيء المؤكد أن الرسول من الشيء المؤكد أن الرسول من المثنى على رسالته من بعده، لأنه كان يدرك تمام الإدراك أنه قد أنجز مهمته على أتم وجه، وأنه قد ترك للإنسانية منهجًا عظيمًا وواضحًا يكفل لها كل أسباب السعادة والتقدم، وأن أصحابه هؤلاء سيحفظون هذا المنهج بإخلاص، وسينقلونه بعد ذلك بكل أمانة إلى باقى بنى الإنسان.

وبالفعل...

لم تمضِ على وفاة رسول الله صَلَّقَتُنَدُووَ اللهِ وَسَانِة سُوى سنوات قليلة، حتى تمكن المسلمون من إنشاء حضارة إنسانية غاية في الرقي والجمال على مناطق شاسعة من الكرة الأرضية امتدت مساحتها من شرق آسيا عند سلسلة جبال الهيملايا على حدود الصين وحتى غرب أوروبا عند سلسلة جبال البرانس بين شبه الجزيرة الأبيرية وفرنسا، ليتمكن المسلمون خلال فترة زمنية وجيزة من توحيد أراض أكبر بمرتين ونصف من أقصى حد وصلت

-60

له إمبراطورية روما، ليبني المسلمون حضارة إنسانية عظيمة متعددة الأعراق والقوميات واللغات، فأضحت بغداد درة مدائن العالم، وباتت قرطبة جوهرة أوروبا المتلائثة في قرونها المظلمة، وأشعت منارة تمبكتو العلمية لتنير صحراء أفريقيا الكرى.

وانتشرت قيم العدل والمواطنة والتسامح بين المسلمين وغيرهم ممن كانوا يعيشون معهم في دول المسلمين المختلفة، ولم يقتصر الأمر بأن يحافظ المسلمون في مناطق حكمهم على سلامة أقدم الكنائس الموجودة على وجه الأرض، بل تعدى الأمر ذلك لتصبح مدن شمال أفريقيا المسلمة في القرن السادس عشر ملاذًا لعشرات الآلاف من المضطهدين اليهود الذين فروا من محاكم التفتيش الإسبانية، وفي نفس الوقت عمل المسلمون على تطور العنصر البشري من خلال قيادتهم لحركة التجارة العالمية لما يقرب من ألف عام، فلم يكتفوا بنقل البضائع التجارية بين الشرق والغرب، بل نقلوا معها أيضًا العلوم الإنسانية المختلفة التي كانت الأساس الذي استندت إليه الحضارة الغربية الحديثة في قيامها، هذه الحضارة التي بدأت نظريًا مع بداية احتكاك الغرب بالمسلمين

~®~

خلال فترة الحروب الصليبية، بعد أن صُّدم الغربيون عند رؤيتهم للشرق الإسلامي بمدي اتساع الهوة الحضارية التي فصلتهم عن المسلمين بمراحل، حتى تمكن العالم الإيطالي ليناردو فيبوناتشي «Leonardo Fibonacci» الذي كان يعيش في مدينة بجاية الجزائرية من تغيير تاريخ أوروبا إلى الأبد، فقد استفاد هذا العالم الإيطالي من العلوم التطبيقية الحديثة التي تعلمها من المسلمين أثناء إقامته في مدينة بجاية الجزائرية، وتنقله مع أبيه في التجارة بين تونس والجزائر والمغرب، فغير من مجري التاريخ في الغرب إلى الأبد، بعد أن نقل إلى أوروبا الأرقام التي كان المسلمون يستخدمونها منذ زمن طويل في شمال أفريقيا، هذه الأرقام التي يسميها الغربيون حتى يوم الناس هذا بالأرقام العربية «Arabic numerals»، علمت على صناعة طفرة علمية كبيرة في أوروبا، ليعتمدوها رسميًا في حساباتهم بدلًا من النظام الرقمي الروماني المعقد الذي كانوا يستخدمونه لقرون، وما زالت الأرقام العربية التي نقلها فيبوناتشي من بـلاد المسـلمين إلى أوروبا هـى الأرقـام المعتمـدة في النظـام العالمي الرقمي الحديث بكل ما يحتويه من أجهزة رقمية متطورة.

Arabic numerals 0123456789

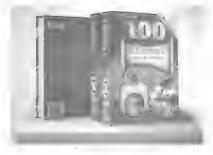
ولا يخفي على أحيد أن المسلمين في عقبودهم الأخيرة لا يمرون بأحسن أوقاتهم، فقد تخلفوا عن ركب الحضارة الإنسانية في كثير من النواحي الحضارية، وهذا الأمر في حد ذاته لا يمثل مشكلة كبيرة كما يظن البعض، فأي قارئ جيد للتاريخ يعلم أن كل الأمم المتقدمة حاليًا مرت في السابق بمراحل تخلف حضاري تجاوزته بعد أن أخذت بأسباب التقدم والنهوض، وسينهض المسلمون حتمًا كما نهضوا في السابق، خاصة مع وجود موروث حضاري وثقافي عظيم للمسلمين يؤهلهم للعودة إلى سابق مجدهم، كل ما يحتاجونه هو الأخذ بأسباب التقدم التي أخذ بها أجدادهم الذين صنعوا حضارتهم الإنسانية الراقية، وعاجلًا أم آجلًا سيأتي اليوم الذي سيقومون فيه بالأخذ بتلك الأسباب، لبس لدى أدنى شك في ذلك، ولكن المشكلة الحقيقية تكمن في يأس بعض المسلمين من واقعهم المظلم، خاصة مع وجود أصوات كثيرة من المحبطين الذين احترفوا صناعة الإحباط وزراعة اليأس في قلوب الشباب، بدلًا من محاولة النهوض بالهمم والبحث عن حلول عملية للخروج من هذا الواقع المظلم الذي ورثه الشباب بالأساس من أفعال هؤلاء المحبطين أنفسهم، لذلك فكرت قبل عدة أعوام أن أقوم بعمل شيء أحاول من خلاله التصدي لهذه الظاهرة الخطيرة، فقررت أن أبحث عن الأمل المنشود في صفحات التاريخ المنسية، وذلك لقناعة تجسدت لدي من تجربة شخصية بأن قراءة التاريخ من شأنها أن تحيى الأمل في القلوب المكسورة، وأن تزرع الثقة في النفوس المحبطة، فأصدرت كتابي الأول «ماثة من عظماء أمة الإسلام غيروا مجري التاريخ»، وأتبعته ببرنامج «العظماء المائة» الذي نشرته على موقع يوتيوب «YouTube» في شبكة الإنترنت، فكانت النتيجة مذهلة وتفوق كل التوقعات التي تخيلتها!

فقد تصدر كتابي الأول «ماثة من عظماء أمة الإسلام غيروا مجرى التاريخ» قائمة الكتب الأكثر مبيعًا في كثير من الدول العربية.



وأصبح برنامج "العظماء المائة" البرنامج العربي التاريخي الأكثر مشاهدة على الإطلاق في موقع يوتيوب "YouTube"، بعد أن تجاوزت مشاهدات حلقات البرنامج 50 مليون مشاهدة حتى وقت كتابة هذه السطور، في نفس الوقت بدأت فرق من المتطوعين الذين لا أعرفهم شخصيًا بترجمة البرنامج إلى ما يزيد عن 15 لغة من لغات الأرض العالمية، وصار الناس يتواصلون معي بصورهم

وتعليقاتهم من مختلف أرجاء الأرض، فوصلتني مشاركات من تلاميذ مدارس الكويت وهم يحملون صور الكتاب، ومشاركات أخرى من مساجد في جزر إندونيسيا النائية وهي تعرض البرنامج على المصلين بين الصلوات، بينما انتشرت حلقات البرنامج المدبلجة للغة الروسية بشكل كبير بين ملايين المتابعين في جمهوريات آسيا الوسطى والقوقاز، الأمر الذي أدى إلى نفاد الطبعة الأولى من الترجمة الروسية للكتاب بعد أيام قليلة من طرحه في المكتبات.



وبدأ كثير من المتابعين من غير المسلمين يتابعون حلقات برنامج العظماء المائمة المترجمة للإنجليزية والفرنسية والإسبانية والألمانية وغيرها من اللغات، وصارت تصلني منهم الكثير من التعليقات الإيجابية، البعض كان يخبرني عن تغير نظرته للمسلمين وتاريخهم بعد مشاهدته للبرنامج، والحقيقة أن هذا الانتشار الواسع وتقبل الناس الكبير للكتاب والبرنامج كان صادمًا بالنسبة لى، فباستثناء بعض الحقائق التاريخية الجديدة التي اجتهدت في إضافتها في صفحات هذا الكتاب، لم يزد ما قدمته عن ما جاء في كتب وأعمال المؤرخين السابقين وغيرهم من الأساتذة المعاصرين الذين استفدت من كتبهم وأبحاثهم، ولكن يبدو أن الأسلوب غير النمطي الأقرب إلى لغة العصر والذي استخدمته في عرض التاريخ كان له دور رئيس في جذب الناس لمادة التاريخ التي قد يراها البعض مادة جافة ومملة، وبغض النظر عن الآراء المختلفة للقراء والمتابعين الكرام إن كانت بالسلب أو الإيجاب، فقد بدا واضحًا أن كتاب «مائة من عظماء أمة الإسلام غيروا مجرى التاريخ» وبرنامج «العظماء المائة» قد أحدثا ثورة نوعية في إعادة قراءة التاريخ الإسلامي في السنوات الأخيرة، وعملا على إرجاع عوام المسلمين للاهتمام بتاريخهم من جديد، بعد أن كان الأمر في السابق مقتصرًا على نخبة المثقفين والباحثين التاريخيين وبعض المهتمين القلائل بدراسة التاريخ، هذا الأمر أسعدني بشكل كبير، ولكنه في نفس الوقت أشعرني بمسؤولية أعلم أكثر من غيري أنها تفوق قدراتي وطاقتي بمراحل عديدة، وكان هذا الشعور يتزايد كلما قابلت المتابعين الكرام بشكل شخصى أثناء محاضراتي التاريخية التي قدمتها في دول العالم المختلفة، وربما لا يعلم كثير من المتابعين الكرام الذين تساءلوا في السابق عن سبب تأخري في تقديم عمل جديد أن هذا الشعور المخيف بالمسؤولية كان من بين أهم الأسباب التي دفعتني لعدم إصدار كتاب جديد لما يزيد عن 7 سنوات من صدور كتابي الأول الذي ما يزال حتى هذه اللحظة على قائمة الكتب الأكثر مبيعًا في الشرق الأوسط، وذلك بالرغم من العروض الخيالية التي جاءتني خلال تلك السنوات من الناشرين

من كبريات دور النشر العربية، وكنت خلال تلك الفترة أعتلر بأدب عن قبول تلك العروض، وقبول غيرها من العروض المغرية التي جاءتني من بعض الجهات التي أرادت الاستفادة من شعبية الكتاب والبرنامج فيما يخدم مصالحها وتوجهاتها، فقد كنت ولا زلت على يقين تام بأن القراء والمتابعين الأفاضل لديهم من الذكاء والفطنة ما يؤهلهم لاكتشاف أي تأثير خارجي على المادة المقدمة، وأن أي ملاحظة منهم في هذا الصدد قد تؤدي لضياع الثقة بينهم وبين مقدم هذا العمل، لذلك كان الهدف الرئيس بالنسبة لي هو تقديم عمل جديد يليق بحجم الثقة الغالية الملقاة على عاتقي، على أن يمثل هذا العمل إضافة جديدة للمعرفة الإنسانية، بعيدًا عن التكرار والسطحية التي لم تضف شيئًا سوى اختزال عقول كثير من الشباب في قالب نمطى واحد، لذلك قمت مع بداية عام 2018 بإصدار كتابي الثاني «101 لغز بربروسا».



وقد كان إصدار هذا الكتاب مغامرة في حد ذاتها، فالكتاب ينتمي لنوع خاص من الروايات الأدبية لم يسبق تقديمه في المكتبة العربية، على الرغم من انتشاره بشكل كبير في الغرب، ويعتمد هذا النوع الخاص من الروايات على تقديم المادة التاريخية بشكل شيق في جو من الإثارة والغموض، وقد أردت من خلال ذلك استقطاب فقة الشباب المهتمين بقراءة الروايات دون غيرها من الكتب، وتوجيهم من خلال هذه الرواية إلى الاطلاع على التاريخ بشكل عام والتاريخ الإسلامي بشكل خاص بطريقة شيقة وممتعة، وفي بداية عام 2018 تم إصدار كتابي الثاني، وكانت ردة فعل القراء فوق كل التوقعات، فقد انضمت رواية (101 لغز بربروسا» إلى قائمة الكتب الأكثر مبيعًا في الوطن العربي، وتم اختيار الرواية من قبل موقع «Goodreads» الأمريكي ضمن أفضل الروايات العربية على الإطلاق لعام 2018، وصار كثير من الشباب الذين لم يقرأوا كتابًا تاريخيًا من قبل يبعثون لي برسائلهم لتي يعبرون من خلالها عن سعادتهم وانهارهم بالتاريخ الإسلامي.

الروايات العربية الأعلى تقييماً لعام 2018

ا قد هذا الخناب من لخنت الأكثر المعيد في عام 2018. فهو كتاب تاريخي رساً مي لاقي نجاحاً كبيراً في معرض الفاهرة الدولي وحفاز مسبحت كثيرة الرئم على مرود فهير واحد على تشره وهو يتحدث عن أشخاص مسلمين فيادين في غيرة الانساس والدكم المقاني

لقد وصف بمض القراه الكانب بالذكي ليمرفة الطريقة الهماسية تحذب القارئ وحمله في كل صفحة مسوفا للصفحة التي تليها، وإن معلوماته رائمة ومرسد بشكل يساعد القارئ الدير مهم بالدريخ على استيمامها وتذكرها

أها البعض الأخر رأى ن الكاتب انبع تبناماً طريقه "دان يراون" لمرض الأحداث (أي أن هذا ليس أسلونه الخاص)، وبأن السملومات التاريخية جيدة إلا أن حبكة القصة كالت

المقال الذي تشريه مجله "Arageek" الشهيرة المختصة بقضايا الشباب.



وعلى مدى سنوات طويلة راودتني فكرة إصدار كتاب خاص عن سيرة رسول الله صَأَلِتَهُ عَلَيْهِ وَعَلَى اللهِ وَسَلَّم، ولكنني كنت دائمًا أعرض عن هذه الفكرة لعدة أسباب، لعل من أهمها خوفي الشيديد من عدم تقديم شيء يليق باسم رسول الله صَأَلِنَهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِلْهِ وَسَلَّمَ، إضافة لاعتقاد كان سائدًا لدى بأن هناك العديد من الكتب الرائعة التي تناولت سيرة رسول الله صَلَّاللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى إلهِ وَسَلَّمَ كتبها علماء كبار قديمًا وحديثًا، وأن أي كتاب أقدمه لن يضيف شيئًا لما قدم في السابق، ولكن مع مرور الوقت، ومتابعتي لأحوال المسلمين في العالم، واستماعي لكثير من آراء المتابعين الكرام من مختلف الأعمار والتوجهات، وجدت أن هناك الكثير من الأمور التي تدفعني دفعًا إلى تقديم عمل خاص بسيرة رسول الله صَلَّاللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى اللَّهِ وَسَلَّمَ.

- فقد وجدت أن كثيرًا من الناس لا يعلمون إلا القليل عن سيرة الرسول محمد حَيَّاللَّهُ عَيْمَتَظِّ الْمِرْتَةَ، وبعد دراسة تحليلية للموضوع، وجدت أن المشكلة الحقيقية لا تكمن في وجود الكتب التي تتناول سيرة الرسول الأعظم حَيَّاللَّهُ تَيْمَعَ الْمِرْتَةَةَ، وإنما تكمن في إقبال عامة الناس في هذا الزمان على قراءة تلك الكتب، فغالبية تلك الكتب مكتوبة بلغة تتناسب بالدرجة الأولى مع طلبة العلم ممن يسهل عليهم فهم اللغة والمصطلحات الفقهية المرافقة للأحداث، وهو الأمر الذي يصعب على القارئ البسيط بطبيعة الحال!

- ولعل السبب الأهم الذي دفعني لفكرة الكتابة عن رسول الله صَلَّاللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَّالِهِ وَسَلَّمَ هـ و مـ الاحظته مـن خلل منهجي خطير أصـاب الكثيرين منا، فقد صار كثير من المسلمين بعتمدون بالدرجة الأولى على أقوال مشايخهم في أمور الدين، حتى وإن كانت هذه الأقوال تتنافي منع منا صبح من أقنوال الرسنول صَلْلَتَمُعَلَيْهِوَعَلَآلِهِوَسَلَّةٍ، فصاروا بذلك التقليد الأعمى يبتعدون أكثر فأكثر عن هدى الإنسان الذي بُعث بهذا الدين إليهم، وللإنصاف فإن هذا الأمر ليس جديدًا على المسلمين، فقد برزت هذه الظاهرة الغريبة منذ فجر الإسلام، فعندما كان الصحابي عبد الله بن عباس رَعِيَالِيُّهُ عَنْهُ ينقل للناس قولًا لرسول الله صَلَّائِلَهُ عَلَيْهِ وَعَلَّالِهِ وَسَلَّمَ في أمر من الأمور، صُدم بأن البعض صار يجادله بقول آخر عن الصحابي أبي بكر الصديق رَعِيَالِيُّهُ عَنهُ والصحابي عمر بن الخطاب رَضَالِتَهُ عَنْهُ، فرد عليهم عبد الله بن عباس رَضَيَالِيَّهُ عَنْهُ باستغراب:



ا بُوشِكُ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْكُمْ حِجَارَةٌ مِنْ السَّمَاءِ! أَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللهِ مَالِنَهُ عَيْدَةَ عِلَالِهِ مِنسَّةً، وَتَقُولُونَ قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَحُمَّرُ! * .

وهذا لا يعني بالضرورة عدم الأخذ بأقوال العلماء الأفاضل في مسألة من المسائل، ولكن المشكلة هي عندما يتم تقديس آرائهم الفقهية المبنية بالأساس على اجتهادات إنسانية تصيب وتخطئ اعتمدوها هم وفقًا لمعلوماتهم التي وصلتهم، فربما لم تتسنى لهم معرفة قول الرسول صَلِّلِتَهُ عَلَيْهِ وَعَلَى الْهِ وَسَلَّة في أمر معين، كما هي الحال في هذه المسألة التي احتج بها الناس بقول أبي بكر ريخيفنه وعمر رَمَوْلِينَهُمْنهُ فعلى فرضية أن الناس نقلوا عنهما حقيقة ما جرى بالفعل، فإن هذين الصحابيين الجليلين مع فضلهما ومكانتهما في الإسلام لم يكونا معصومين من الخطأ، ولم يكونا ملازمين لرسول الله صَلَّالِتَهُ عَلَيْهِ وَعَلْى اللَّهِ عَلَى مِدارِ السَّاعةِ، وهذا يعني تلقائيًا أنهما لم يستمعا منه لكل الأحاديث، وقطعًا لم يستمعا لكل الأحاديث التي نقلت عنه، لذلك فقد كان العقلاء في هذه الأمة دائمًا ما يضربون بكل الاجتهادات المخالفة لصحيح القرآن والسنة عرض الحائط، حتى وإن كانت هذه الاجتهادات صادرة من أسماء عملاقة، وهذا

بالضبط ما قام به حفيد الفاروق عمر بن الخطاب تعطيقت، وهو التابعي الجليل سالم بن عبد الله بن عمر رحمه الله، عندما وصله حديث صحيح عن رسول الله صَلَّالْتَمْتَيْوَكُلُّوْتِكَمَّ يخالف اجتهاد أبيه وجده في أمر معين، عندها لم يتردد سالم رحمه الله بمخالفتهما في هذا الأمر، وقال مقولته الرائعة التي تختصر الفكر الذي كان عليهم المسلمون الأوائل الذي بنوا الحضارة الإسلامية العظيمة:

«وسنة رسول الله صَالِللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ اللهِ رَسَلُمْ أَحْقُ أَن تتبع ۗ (1).

هذا العقلية السليمة في تناول الأمور لم يأتِ بها هذا التابعي المجليل من فراغ، فلقد كان سالم رحمه الله نتاجًا لتربية أبيه الصحابي الفقيه عبد الله بن عمر تَعَلَقته، والذي تعلم هو بدوره مباشرة من المعلم الأول للمسلمين محمد صَلَّقتَهُ يَتَهَوَ اللهَ فَق مسألة من المسائل صحَّ عن عبد الله بن عمر تَعَلَقته أنه خالف أباه في مسألة من المسائل الفقهية، عندما سأله رجل من أهل الشام في مسألة تتعلق بمناسك الحج والعمرة:

«فقال ابن عمرَ: هي حلال. قال الشامي: إن أباك قد نهي عنها.

⁽¹⁾ البيهقي، السنن الكبرى.



قال ابن عمر: أرأيتَ إن كان أبي قد نهى عنها وصنعها رسولُ اللهِ صَاَلِّتُنَعَيْدِوَيَهِ اللهِ صَاَلِّتُنَعَيْدِوَيَهِ اللهِ صَالِّتُنْعَيْدِوَهُ اللهِ اللهِ

وقد أورد الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه مقولة أخرى عن عبد الله بن عمر تعطيقة يوضح فيها هذا الفكر الإنساني المتحرر القائم على الدليل العلمي والرافض للتقليد الأعمى للمشايخ: "فشئةً الله وسُنةً رسوله متَألَّفَتَهُ وَعَلَيْهِ وَسَدُّ أَحَقٌ أَن تُتَبَعَ،

من سُنَّةِ فلانِ، إن كنت صادقًا ا⁽²⁾.

لذلك فإن التفرق الذي أصاب المسلمين في عهودهم الأخيرة، يعود بالدرجة الأولى إلى أن هناك من بات بالفعل يتبع حرفيًا سنة ففلان، بدلًا من سنة رسول الله متَأْتِفَتَنْيَوتَهِ اللَّهِ وَسَلَّمَ متجاهلين أن هذا الدين هو الدين الذي جاء به محمد مَنَّالِقَتْنَلْيوتَهُ اللَّهِ وَلَى دين الشخص الذي يتبعونه، فقد يكون هذا الشخص عالمًا جليلًا ولكنه في نهاية الأمر بشر يصيب ويخطئ في اجتهاداته، أو أن قدراته العقلية



⁽¹⁾ النووي، المجموع شرح المهذب.

⁽²⁾ صحيح مسلم.

ومعلوماته الثقافية بأمور العصر الحديث لا تأهلانه إلى ربط تراث الماضي بتحديات الحاضر، وهناك أيضًا احتمال أن يكون جاهلًا يخدع الناس بمظهره وفصاحته، أو دجالًا يحاول غسل أدمغتهم بمهاراته الخطابية، أو مجرمًا قاتلًا يريد إلصاق جرائمه بالدين للتغطية على أمراضه النفسية التي دفعته للقيام بجرائمه في حق الأبرياء، أو منافقًا خبيثًا يحاول ضرب الإسلام من الداخل عن طريق التشكيك في ثوابته والطعن في رموزه، وحتى وإن كان هذا الشخص من أكثر الناس علمًا ودينًا، فإنه قد يأتي يوم من الأيام وينحرف فيه عن طريق الحق لسبب أو لآخر، الأمر الذي قد يعرض أتباعه لفتنة في دينهم بعد سقوطه من أعينهم لاعتقادهم أن الإسلام كان يتجسد في شخصه، لذلك فإنه من الخطورة بمكان التعلق بأي عالم من العلماء لدرجة الاتباع الأعمى، وهذا الأمر يشمل أيضًا من يأخذون بتفسير ابن عباس راكيته فنه ومجموعة كبيرة من العلماء لقول الله تعالى:

﴿ يَكَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ مَامَنُواۤ الْطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِ ٱلْأَمْرِينِكُمْ ۖ ﴾ (()

(1) النساء، الآية 59.



فقد ذهب حبر الأمة الصحابي الجليل عبد الله بن عباس رَسِيَلِيِّهُ عَنْهُ بِأَنِ المقصود بـ ﴿ وَأُولِي ٱلْأَمْنِ ﴾ هم أهل الفقه والدين، وكذا قال مجاهد، وعطاء، والحسن البصري، وأبو العالية: ﴿وَأَوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُرٌ ﴾ يعني: العلماء(١)، ولكن البعض ممن يحتجون بهذا التفسير في وجوب طاعة العلماء العمياء في كل أقوالهم غاب عنهم أن الله عز وجل لم يأمر بطاعة العلماء المطلقة، فقال: ﴿ أَطِيعُوا أَلَّهُ ﴾ وقال: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾ ولكنه لم يقل: «وأطيعوا أولى الأمر منكم»، أي أنه لم يفردهم بوجوب طاعة المؤمنين لهم، بل جعل طاعتهم موقوفة على طاعة الله ورسوله صَالِللهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ وَلَا اللهِ وَسَالُهُ عَلَيْهُ وَعَلَ خالفوا الله ورسوله صَلَّاللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِلِهِ وَسَلَّمُ فلا طاعة لهم من المؤمنين.

- ومن بين أهم الأمور التي أشعر تني بضرورة تقديم شيء عن سيرة رسول الله سَؤَلِمَنَا عَنْهِ وَيَقَالِهِ وَيَسَلَّهُ هي تصاعد حصلات التشويه الإعلامي التي تتعرض لها صورة الرسول سَؤَلِمَنَا عَنْهُ وَيَقَالِهِ وَسَلَّةً فِي السنوات الأخيرة، ومع إدراكي التام من حكم عملي في مجال

(1) تفسير ابن كثير.



الصحافة وتخصصي الأكاديمي في مجال الإعلام أن هذه الحملات يقـف خلفهـا بالدرجـة الأولـي بعـض المرضـي العنصـريين مـن المصابين برهاب الإسلام أو كما يعرف بـ «الإسلاموفوبيا» «Islamophobia»، فإنه ينبغي علينا كمسلمين الاعتراف بأن أفعال بعض من ينتسبون إلى الإسلام ساهمت بشكل كبير في تكوين هذه الصورة المشوهة لدي الآخرين، وأن هناك تقصيرًا كبيرًا من جهتنا في توضيح الصورة الحقيقية للإسلام ولرسول الإسلام محمد صَأَلَقَهُ عَلَيْهِ وَعَلَالِهِ وَسَلَّمَ، بـدلًّا مـن تـرك المجـال مفتوحًـا للمتطـرفين مـن الجهتين لتصدير صورتهم المزيفة عن رسول الله صَّلَاتَتْمَكَنَهُ وَعَلَاآلِهِ وَسَلَّمَ، هذا الأمر كان حافزًا كبيرًا بالنسبة لي لتقديم شيء أحاول من خلاله الدفاع عن سيرة رسول الله صَلَّانَتُهُ عَلَيْهِ وَعَلَّالِهِ وَسَلَّمَ بلغة يفهمها الآخرون، ليس فقط للدفاع عن الرسول صَلَّاتِنَهُ عَلَيْهِ وَعَلَّالِهِ وَسَلَّمَ الذي نحبه أكثر من أنفسنا، ولكن أيضًا للدفاع عن كياننا ووجودنا وهويتنا التي يمثل فيها رسول الله صَلَّاللَّهُ عَلَيه وَعَلَالِهِ وَسَلَّة ركنًا أساسيًا في تكوينها.

-أما الأمر الأخير الذي دفعني للإقدام على مثل هذه المهمة الصعبة هو ما وصلني بشكل مباشر من كثير من المتابعين الكرام (١٠٠٠)

~(28)~

الذين طلبوا مني تقديم شيء بأسلوبي الخاص عن رسول الله مَا اللّهُ عَلَيْهِ اللّهِ مَا أَكِيدهم لي رغبتهم بقراءة شيء جديد يحاكي لغة العصر يقدمونه لأبنائهم، ويحدد لهم الدروس المباشرة التي يمكن لهم ولأبنائهم الاستفادة منها في تعاملاتهم اليومية في هذا العصر، بدلًا من التركيز على سرد أحداث السيرة بشكل مكرر دون تحديد المعاني والعبر من السيرة نفسها!

من أجل كل هذه الأسباب وغيرها...

قررت خوض هذا التحدي، والبدء في كتابة كتابي الثالث الذي اخترت له اسم «مدرسة محمد من الشكية كيتابي الثالث الذي اخترت له اسم «مدرسة محمد من الشكية كيتابي الرغب في إيصالها من خلال صفحات هذا الاسم اختصار الفكرة التي أرغب في إيصالها من خلال المباشرة التي سأركز عليها في هذا العمل الأدبي، أما الجزء الشاني من اسم الكتاب فقد فضلت أن يكون اسم الرسول من ألفت يجدون اسم الرسول من ألفتي يتبدؤ البيس، وذلك المني سأحاول من خلال هذا العمل تسليط الضوء على الجوانب الإنسانية في حياة الرسول من ألفي يمكن لأي

~²⁹~

إنسان الاستفادة منها في حياته اليومية، على أن يخرج هذا العمل بأسلوب شيق وممتع يواكب لغة العصر ويخاطب كل الأعمار والتوجهات الفكرية، لذلك اجتهدت خلال كتابتي لهذا الكتاب أن أبتعد قدر المستطاع عن آراء العلماء والفقهاء، وعلى الرغم من معرفتي أن الكتابة في السيرة لا تعامل بنفس الصرامة التي تعامل بها الكتابة في كتب الحديث، فإنني قد اعتمدت بشكل كبير في صفحات هذا الكتاب على ما صح من أقوال وأفعال الرسول صَلَاللَّهُ عَلَيْهِ وَعَالَالِهِ وَسَلَّمَ، لذلك سيلاحظ القارئ الكريم في هامش صفحات هذا الكتاب أنني حرصت على أن تكون أغلب الأحاديث الواردة فيه مستمدة من أصح كتب الحديث، صحيح البخاري وصحيح مسلم، وحتى الأحاديث الأخرى التي أوردتها في طيات هذا العمل، حرصت على أن تكون غالبيتها العظمي إن لم تكن جميعها أحاديث تم تصحيحها من علماء الحديث، وحتى بالنسبة للقرآن الكريم، فقد حاولت الاستشهاد منه في مواضع قليلة فقط تساعد في إيصال الفكرة المطلوبة عن إنسانية محمد صَأَلَتُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى الْفِوسَالَّةِ، لذلك فإن هذا الكتاب لن يكون كتاب سيرة بالشكل التقليدي، بل سيشمل

أيضًا جوانب تربوية متعلقة بدروس السيرة، وأخرى فكرية مستمدة بالأساس من حياة محمد صَالِمَتْهُ عَلَيْهِ وَعَلَى الْدِوَسَلَّةِ، وسيشمل هذا الكتاب أيضًا الكثير من المعلومات العامة، وسنحاول من خلاله إلقاء نظرة على ثقافات الأمم والشعوب المختلفة التي يمكن لنا من خلالها أخذ صورة كاملة للمشهد التاريخي المتعلق بدرس من الدروس المطروحة في هذا الكتاب، ولمعرفتي المسبقة بصعوبة حصر كل الدروس المستمدة من سيرة الرسول صَأَلِتَهُ عَلَيْهِ وَعَلَالِهِ وَسَلَّمَ فِي كتاب واحد، فقد ارتأيت التركيز على بعض الدروس التي أرى من وجهة نظري الخاصة أنها مهمة للغاية في عصرنا الحالي، بحيث يكون حجم الكتاب مناسبًا للقارئ البسيط الذي ربما لا يجد الوقت

الكافي لقراءة الكتب الكبيرة في هذا العصر المتسارع الأحداث! في هذا الكتاب سنحاول الإجابة عن هذه التساؤلات:

- كيف كمان الرسول سَالِقَنْقَلِيمَوْقِ الْبَوْسَةُ يتعامل مع الأطفال؟ وكيف كان تعامله مع الأطفال؟ وكيف كان تعامله مع المرأة؟ وهل كان فعلاً يعتبر المرأة عنصرًا هامشيًا في المجتمع كما يعتقد بعض المسلمين؟ أم أن الرسول محمد عَلَيْسَتُنْ وَفَا المَرْاة في التاريخ؟

- ما هي نظرة الرسول صَلَّقَتَعَيَّعَ وَاللَّهِ اللَّهِ مَتَلَّةً للبِينَّة؟ وهل هناك في الإسلام أصلاً ما يدعو للحفاظ على البينة؟

- كيف كانت علاقة الرسول مَنْ الله تَنْقَيْهِ وَيَنَا لَهُ بِعالَم الحيوان؟ وما حكاية الجمل الذي جاء إلى رسول الله صَلَّالَهُ تَنْقِهُ وَعَلَّا اللهِ عَلَيْهُ عَلَيْهُ وَعَلَّا اللهِ عَن دامعتين؟ وماذا فعل رسول الله صَلَّالَةً تَنْهُ وَكَالِهُ وَتَنْقُرُ عَنْدما رآه بهذه الحالة؟

- كيف كان تعامل الرسول صَلَّالَقَاعَيْدَ وَعَالَا الله عَالَهُ المَعْتَلَقِينَ مع المعتلفين معه في الرأي؟ وهل كان الصحابة في زمنه يختلفون مع بعضهم البعض؟
- هل كان الرسول صَلَّالْمُتَاعِدُوعَالَّ وَتَعَلَّ يتعامل إنسانيًا مع غير المسلمين؟ أم أنه منع المسلمين من التعامل بأي شكل من الأشكال مع غير المسلمين؟

- ما حكاية الصراع الفارسي الروماني الذي اشتعلت شرارته في زمن الرسول سكاللة تايمو كالهوسَدُ ؟ وأيس وكيف ومتى بالتحديد ﴿ غَيْبَ الرَّوْمُ (آ) ﴾ ؟ وأيسن وكيسف ومتسى بالتحديسد ﴿ مَيْمَةِ لِمُونَ ﴾ ؟

- من هو الإمبراطور الروماني «فلافيوس أغسطس هرقل» الذي



وصلته رسالة من رسول الله صَلَّقَهُ عَيَّدَهُ وَعَلَيْهِ وَعَلَّا اللهِ عَلَا اللهِ عَلَا اللهِ عَلَا اللهِ عَل العجيبة التي وجهها إلى زعيم مكة وأدرك من خلال إجاباتها صدق نبوة محمد صَلَّقَهُ عَنَدِوَعَ اللهِ وَسَلَّمَ؟

ما حكاية الإمبراطور الصيني الذي بنى سور الصين العظيم وكان يبحث عن إكسير الحياة؟ وما قصة الجيش العجيب الذي كونه من آلاف المقاتلين الحجرين؟ وكيف كانت نهاية هذا الإمبراطور المأساوية؟

- كيف استطاع الإغريق صد زحف الإمبراطورية الفارسية التي كانت تخطط لاجتياح العالم بأسره؟ وما هي حكاية المعركة البحرية الخطيرة التي وقعت على سواحل اليونان وتحدد معها مصير قارة أوروبا؟ وما هي الخطة الخطيرة التي وضعها أحد قادة أثينا اليونانية لهذه المعركة وتمكن من خلالها من تدمير أساطيل إمبراطورية فارس؟

- كيف اجتاح الإسكندر الأكبر بجيشه أراضي العالم القديم حتى وصل به إلى جبال الهيملايا؟ وما الذي دفعه لإعلان ألوهيته؟ وما سر موته في ظروف غامضة في العراق؟



- ما قصة الإمبراطور الروماني المجنون الذي كان خالًا لنيرون الذي حرق روما؟ وما هي الأفعال المرعبة التي كان يقوم بها؟ وما الذي تسبب بفقدانه لعقله؟

- كيف أدار رمسول الله صَيَّالْتَنْكَيْوَتَكَالِوَتَمَالَّ عَنْ فَ العملِ الت الخاصة بمعركة الخندق المصيرية؟ وما هي الخطوات المحددة التي اتخذها لصد تحالف الأحزاب الجرار؟

- كيف كان الرسول صَّلَقَتَعَلِيوَعَالِّيوَسَّةُ بِتعامل مع أصحابه؟ وما هي الأسس التي كان يضعها عند اختياره لموظفيه؟

- من هو رجل المهمات الخاصة في جيش الرسول سَكَاتُهُ عَيْمَوَالِهِ وَسَلَمُ اللهِ عَلَيْهُ عَيْمَا اللهِ وَسَلَمُ ولماذا أوكل الرسول سَكَاتُهُ عَيْدَوَعَا الدِوَسَدُّ هذه المهمة الصعبة لهذا القائد العسكري بالتحديد؟

- ومن هو الشخص الذي كان الرسول صَّأَلِّتُنَعَلَيْوَعُۗ اللِّهِوَسَلَّةِ يخصه بأسرار الدولة الخطيرة؟ وكيف استطاع التسلل إلى صَفوف العدو في معركة الخندق؟

-كيف كان الرسول سَيَّالِشَغَيْدِوَعَالِّالِوَسَدَّةِ يتعامل مع العمال؟ وما هي أسس الإدارة الناجحة التي وضعها لكل صاحب أعمال؟ هي أسس الإدارة الناجحة التي وضعها لكل صاحب أعمال؟ كل هذه التساؤلات وغيرها سنحاول الإجابة عنها في هذا الكتاب، لعلنا نتمكن من خلالها أن نفهم سر الطمأنية التي ودع به رسول الله سَلَّ اللَّهُ عَلَيْهُ وَعَلَيْهُ اللَّهِ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهِ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَالِمُ اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْكُمْ عَلِيْكُمْ عَلِيْكُمْ عَلَيْكُ عَلِيْكُمُ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمُ عَلِيْكُو

وأول درس من دروس مدرسة محمد سَّلَاتَفَتُفَيَّهِ اللَّهِ الرَّي أَن أبدأ به هذا الكتاب، هو الدرس الأهم الذي نحتاجه بشكل خاص في هذا الزمن بالتحديد، لكي نتمكن من بناء جيل جديد يمكن لنا من خلاله... العودة إلى لحظة الإبتسامة الأخيرة!

يتبع...

∞∮ભ





«ما رأيت أحدًا كان أرحم بالعيال من رسول الله صَأَلِقَاعَلَيْوَعَاۤ الِهِوَسَلَمَ»⁽¹⁾

عندما اشتد المرض برسول الله صَلَّاتُنَاعَيْوَقِ اللهِ مَنْ اللهُ عَلَيْدَ عَلَيْدَ اللهُ عَلَيْدَ اللهُ الله الله الله الله الله عند وعا ابنت فاطمة وَعَنَاقِتَهُمّا، فلما رآها رسول الله صَلَّاتُنَاعَيْدَ وَعَالَوْها: "مرحبًا بابنتي"، شم أَلِثَنَاعَتَالَوْوَتَلُهُ وصل بها بأنه يعتقد أن أجل أبيها قد افترب، ووطلب منها أن تصبر، الأمر الذي دفع فاطمة وَعَنَاقَتَهُم للبكاء بكاء شديدًا.

هذه القصة التي جمعت رسول الله مَثَلِّلَةَ عَيَّالِهِوَسَلَّةُ مع ابنته فاطمـة رَحَيَّلِهُمُهُمَّا في سـاعاته الأخيـرة، وردت في الصـحيحين وأغلب كتب الحديث⁽²⁾، مع اختلافات بسيطة في التفاصيل

 ⁽²⁾ صحيح البخاري، صحيح مسلم، سنن ابن ماجة، سنن الترمذي، المعجم الكبير للطيران، وغيرها.



⁽¹⁾ صحيح مسلم.

والألفاظ، ولكن الأمر الذي لفت انتباهي شخصيًا أثناء بحثي في تفاصيل هذه القصة، أن جميع الروايات التي اطلَّعتُ عليها تبين أن الرسول سَلَّشَنَيِّنَوَّلِاوَيَكَةٌ لم يقم بشيء اعتاد القيام به عند رؤيته لابنته، الأمر الذي يؤكد أن المرض كان قد اشتد بالفعل برسول الله صَلَّقَتَاعِوَعَلِلوَوَتَكَةً في ذلك الوقت!

ولكن ما هو هذا الأمر الـذي كـان الرسـول صَّالِتَفَعَيْهُوَعُٱلِهِوَسَلَّةِ يحرص على القيام به عند رؤيته لفاطمة وَيُؤلِّفُهُمُهُا؟

الإجابة تخبرن بها زوجة الرسول صَلَّاللَّهُ عَلَيْهِ وَيَعَلَّا اللَّهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ وَيَكَا اللَّهِ وَيَكُ المؤمنين عائشة رَيَحَالِلُهُمَّتُهَا:

«ما رأيتُ أحدًا كان أشبَة سَمتًا وهديًا ودلًا - وفي رواية -حديثًا وكلامًا برَسولِ الله سَرَّالْمَتَوَّدَوَ اللهِ مَنَا فاطمه، كانت إذا دخلَت عليه قام إليها، فأخذ بيدها، وقَبَّلها، وأجلسها في مجلسِه، وكان إذا دخل عليها، قامت إليهه فأخذَت بيده، فقبَّلنه، وأجلسته في مجلسها»(1).

. لقــد كــان الرســول سَلَّالتَّهُ عَيِّدَوَعُلَالِهِ وَسَلَّةٍ فِي علاقتــه مــع أبنائــه

⁽¹⁾ ابن حجر العسقلاني، تخريج مشكاة المصابح.

يحرص على أن يظهر لهم أمرًا في غاية الأهمية، هذا الأمر المهم الذي ينسى كثير من الآباء إظهاره لأبنائهم هو الحنان!

فقد كان الرسول كَاللَّهُ عَلَيْهُ وَلَيْهُ اللَّهِ مِنْ مِنْ عَمِ كُلُ انشخالاته ومسؤولياته الكبرى في إدارة الدولة يحرص على إظهار حنانه وحبه لأبنائه، فعن يعلى بن مرة الثقفي وَ اللَّهُ عَنْ اللَّهُ عَنْ اللَّهُ عَنْ اللَّهُ عَنْ اللَّهُ عَنْ اللَّ

«أَلَهُم خرجوا مع النَّبِيُّ صَالَّهُ تَعَيَّدَيَكُهُ السَّدِّ إلى طَعامٍ دُعوا لَـهُ، فـإذَا حُسَـيْنٌ يلعَبُ في السَّحَّةِ، قـالَ: فتقـلَّمَ النَّبِيُّ صَالَمُنْتَهُ مَنَاالِهُ مَسَلًا أَمَامُ القومِ، وبَسَـطَ يديهِ، فجعلَ الغلامُ فِهِرُّ هـا هُنـا وَهـا هُنـا، ويضـاحِكُهُ النَّبِيُّ صَالَمَتَكِيدَ عَلَيْهُ مَسَلًا حَتَّى أَخَذَهُ، فجعلَ إحدى يديدٍ تحتَ ذفنهِ، والأخرى في

فأس رأسِهِ فقبَّلَهُ 1 (1).

وعن أبي هريرة رَضَالِيَّهُ عَنْهُ قال:

اقبَّل رسولُ الله صَلَّقَتَنَيْرَ عَلَيْهِ وَعَلَمُ الحسنَ بنَ عليٍّ وعِندَه الأقرَعُ بنُ حابسِ النميميُّ جالسًا، نقال الأقرَعُ: إن لي

⁽¹⁾ رواه ابن ماجة في سننه.



عشَرةً من الولَدِ ما قبَّلتُ منهم أحدًا، فنظَر إليه رسولُ الله سَلَقَنْعَيْءَتِهِ اللهِ يَسَدُّ ثِم قال: مَن لا يَرحَمُ لا يُرحَمُّ الاَيُر

وحتى عندما كان الرسول صَّالِسَّة عَيْدَوَعَ اللهِ وَسَلَمَ مَشْعَلاً مع الناس، فإن قلبه كان يرق عند رؤيته لأبنائه، ولنستمع إلى ما رواه الصحابي الجليل بريدة بن الحصيب الأسلمي رَحَقِلَهُ عَنْهُ في وصف ردة فعل الرسول صَلَّاتُ عَيْدَوَعَ اللهِ وَسَعْد دو وَيته لحفيديه الصغيرين الحسن والحسن رَحَقِلَهُ أَنْهُ عَطِيته :

«كان رسولُ اللهُ صَالِّقَتَنَكِيرَعَظِيَةِ يَخطَبُنا، إذ جاء الحسنُ والحُسَينُ عليهما قميصاني أحمراني يمشيان ويعشُرانِ، فنزل رسولُ اللهُ سَيَّلَقَتَكِيرَعَظِيَةِ مِثَلَّةً مِن المنبِر، فحملَهمسا، ووضعهما بين ينَهها(2).

وحتى أثناء صلاته، فإن رقـة الرسـول سَـُهَاتِفَنَهَيْوَعِهَالِهِرَسَدُّ لـم تَغِـبُ عنه، فعن عبد الله بن شداد عن أبيه الصحابي الجليـل شـداد بـن الهاد الليـــى رَهَوَلِشَهْمَة أنه قال:

⁽²⁾ رواه الترمذي في سننه.



⁽¹⁾ صحيح البخاري.

«خرج علينا رسول الله صَأَلِتَهُ عَلَيْهِ وَعَلَى إلهِ وَسَلَّمَ فِي إحمدي صلاتي العشاء وهـ وحامـل حَسـنا أو حُسـينا، فتقـدم رسـول الله صَأَلِقَهُ عَلَيْهِ وَعَلَالِهِ وَسَلَّمَ، فوضعه، ثم كبر للصلاة، فصلى، فسجد بين ظهراني صلاته سجدة أطالها، قال أبي: إن رفعست رأسسى، فسإذا الصببى على ظهسر رسسول الله صَ إَلَتُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى إِلِهِ وَسَلَّمَ وهو ساجد، فرجعت إلى سجودي، فلما قضى رسول الله صَأَلِتَهُ عَلَيْهِ وَعَلْ اللهِ صَالَ الناس: يا رسول الله! إنك سجدت بين ظهراني صلاتك سجدة أطلتها! حتى ظننا أنه قد حدث أمر، أو أنه يوحي إليك؟! قال: كل ذلك لم يكن، ولكن ابني ارتّحلّني فكرهْــتُ أنْ

أُعْجِلَه حتَّى يَقضيَ حاجتَهَ (1).

ويصف الصحابي أنس بن مالك رَجَهِهَاءَهُ تعامل الرسول صَـُاللَّهُ عَلِيْهِ وَعَلَيْهِ مِعَالَيْهُ مِكلمات مختصرة:

> «ما رأيت أحدًا كان أرحم بالعيال من رسول الله صَالِبَهُ عَلَيْوَعَ الْهِوَسَدِّ الْهِوَسَدِّ الْهِوَسَةِ الْهِوَسَدِّ اللهِ



⁽¹⁾ رواه السائي في سننه.

⁽²⁾ صحيح مسلم.

والأمثلة على مظاهر الحنان والرحمة والمحبة التي كان الرسول سَرَّاتُمْتُهُ وَيُرَاتُهُ وَلَمُهُ الْإِنانُهُ كثيرة، ليس الهدف هنا حصرها جميعًا، وإنما أردت فقط من خلال هذه السطور القليلة التذكير بتعامل الرسول سَرَّاتُمُتَعَيْوَعُ اللَّهُ مَعْ أَبِنائه، لعلها تكون سببًا في تغيير طريقة تعامل بعض الآباء مع أبنائهم قبل فوات الأوان، فعمر الإنسان قصير، وقد يرحل الإنسان من هذه الدنيا قبل أن يظهر حقيقة مشاعره لمن يحب، ولا شك أن الغالبية العظمى من الآباء يحبون أبناءهم، ولكن كم من هؤلاء الأباء يطهرون حنائهم لأبنائهم؟

فبعض الآباء يظن أن إظهار الحنان والمحبة للأبناء يمكن يقلل من هيبتهم في نظر أبنائهم، والبعض قد يرى أن التعامل بحنان من شأنه إفساد الأبناء، وهناك من لا يملك وقتًا أصلًا لإظهار مشاعره نتيجة لانشغاله الدائم بالعمل عن أبنائه، وفي بعض الأحيان تكون قلوب بعض الآباء خالية أساسًا من الرحمة!

فعن أم المؤمنين عائشة رَسِّ اللهُ عَنْهَا أَنها قالت:

الحاء أعرابي إلى النبي سَأَلِتَنَعَيْدِيَعَ) الِمِرَيَّةِ، فقال: تقبلون الصبيان؟ فما نقبلهم ر (1) هـ فقال النبي صَلَّالتَنعَيْنِيَّ الْمِيْرَقِيِّ الْمِيْرَةِ: أَوَّ أُملك لك أَن نزع الله من قال الرحمة (١٠).

ولكن... ماذا عن تعامل الرسول صَّالِتَنْكَتِوَكَالِّهِوَتَلَةً مع الأطفال بشكل عام؟ وهل كان تعامله معهم يختلف عن تعامله مع أبنائه؟ ولماذا كان الرسول صَّاللَّهُ عَلَيْهَ وَعَالِهُ وَتَلَةً يحرص على معاملة الأطفال على ذلك النحو؟

يتبع...

ક્છો∳લ્સ



«ليس مِنَّا مَنْ لَمْ يَرحمُ صَغيرَنا، ولَمْ يَعرِفْ شَـــرَفَ كبيــــرِنا»(١)

إن المتأمل لسيرة الرسول سَلَّ المَّتَغَيْرَ عَلَيْهِ وَاقِيدَ وَتَعَدَّمِةَ فِي اللهِ الطفل، وكانت له رؤية راقية وتقدمية في تربية الأطفال، فلم يكتفِ فقط بتقديم النصح والإرشاد لهم، بل كان يمازحهم ويداعبهم ويشاركهم اهتماماتهم الصخيرة، بالرغم من كل المسؤوليات الكبيرة الملقاة على عاتقه كرئيس لدولة المسلمين، إضافة لذلك كله كان الرسول سَلَّ التَّغَيَّرَ وَاللَّهِ وَيَسَلَّ يُعِدَمُ عقل الطفل وأحاسيسه، على عكس كثير من الناس الذين يعتقدون أن الأطفال لا يفهمون ما يجري حولهم، فالرسول سَلَّ التَّغَيِّرَ عَلَى الناس الخاص المَّ المُقافِلة هي فالرسول سَلَّ المَّ الطفولة هي فالرسول سَلَّ المَّ عَلَى مَا يجري حولهم، فالرسول سَلَّ المَّ عَلَى المَالِية وَاللهِ المَالِية وَاللهِ المَالِية وَاللهُ اللهِ المُعْلَى المَالِية وَاللهُ اللهُ اللهُ المَالِية وَاللهُ اللهُ المُعْلَى المَالِية وَاللهُ اللهُ اللهُ اللهُ المَالِية وَاللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ المَالِية واللهُ اللهُ اللهُ

(1) رواه الترمذي في سننه.



أخصب وأهم فترة يمكن للمربي أن يغرس فيها المبادئ والقيم، وفي حياة النبي سَأَلْتُكَنِّكُ الْمَوْتِيَّةُ مواقف كثيرة تعليمية وتربوية، يمكن لنا من خلالها أن نتعلم الكثير من الدروس في كيفية تربية الطفل، وذلك عن طريق استخراج فوائدها، وقطف ثمارها، والاقتداء بها، والتعامل من خلالها مع أطفال اليوم الذين سيشكلون جيل المستقبل.

ومن أروع الأمور التي لاحظتها في كيفية تعامل الرسول صَأَلِتَهُ عَلَيْهِ وَعَالًا لِهِ وَسَلَّمَ مع الأطفال، أنه كان يشاركهم اهتماماتهم الصغيرة، فالطفل له عالمه الخاص الذي يختلف عن عالم الكبار، ومن شأن إظهار الآباء والمربين بعض الاهتمام بهذا العالم الصغير، أن يسعد الطفل سعادة كبيرة ويمنحه شعورًا متميزًا بأنه محل اهتمام من الكبار، الأمر سينعكس بطبيعة الحال مع علاقته معهم، وتقبله لنصائحهم وإرشاداتهم فيما بعد، فعلى سبيل المثال، كان لأنس بن مالك رَحَالِقَهُ عَنْهُ أخ اسمه أبو عمير، وكان لأبي عمير نُغر صغير، والنُغر نوع من الطيور في عائلة العصافير، وكان الرسول صَأَلِقَهُ عَلَيْهِ وَعَلَمْ اللهِ عَلَمُ انشخاله بِأَمور الدولة والعبادة وأمور الناس، يحرص على سؤال الطفل عن طائره الصغير كلما رآه:

عن أنس وَعَلِلَهُمْتَهُ قال: «كسان النبيُّ مَالِّلَتَنَكِينَالِهِ عَلَيْنَ اللهِ عُمَيرٍ - قال: أحسنُ الناسِ خُلُقًا، وكان لي أخٌ يُقالُ له أبو عُمَيرٍ - قال: أحسِبُه - فَطَيمٌ، وكان إذا جاء قال: يا أبا عُمَيرٍ، ما فعَل النُّغَيْرُ ؟ (11).

وعلى عكس كثير من الناس في هذا الزمان ممن لا يقدرون الأطفال أو يضعون لهم قيمة، كان الرسول سَكَالْتُنَيَّدُوتَكَالِّهُوَسَكَّةً يسلم على الأطفال إذا مر بهم، فعن أنس وَيُطَلِّكَتِنْهُ قال:

> «أَتَى حَلَيَّ رَسُولُ اللهُ صَأَلِّتَنَيَّدَةَ اللَّهِ مَثَالِهِ مَثَالَةً وَأَنَا خَلامٌ أُلاعِبُ الصِّبِيانَ فسلَّم علينا»⁽²⁾.

ولم يكتفِ الرسول صَلَّاتُنَكِنَوَ عَلَّالِوَسَدُّةِ بالسلام على الأطفال الصغار أثناء لعبهم، بل كان يجلسهم في مجالس الكبار أيضًا، ففي مرة من المرات أجلس الرسول صَلَّاتُنَكِنَوَكَالِوسَدُّ في مجلسه إلى يمينه أحد الأطفال، وهو ابن عمه الصغير عبد الله بن عباس يُحَيِّلَيْكَ عَدْ حسب إحدى الروايات، ولم يقتصر الأمر على إجلاس

⁽²⁾ رواه الطبراني في المعجم الأوسط.



⁽¹⁾ صحيح البخاري.

ذلك الطفل بجانب رئيس الدولة مباشرة، بل استأذل منه الرسول صَلَّاتَتُ عَلَيهِ وَعَلَى اللهِ وَسَلَّم بأن يعطى نصيبه من الشراب للأسياخ الموجودين في المجلس، وفي ذلك إشارة من البي صَأَلِتَهُ مَلَيْهِ وَعَا اللهِ وَمَا لِمُ اللهِ عَلَى إعطائه حقه، وإشعاره بقيمته، وتعويده الشجاعة وإبداء رأيه في دب، وتأهيله لمعرفة حقه والمطالبة به، وحتى عندما رفض الطفل التنازل عن حقه حرصًا منه على نيل بركة الشرب خلف رسال الله صَأَلِقَهُ عَلَيْهِ وَعَلَى اللَّهِ وَسَلَّمَ، لم يغضب الرسول صَأَلِقَهُ عَلَيْهِ وَعَلَى اللَّهِ وَسَلَّمَ من كلك، بل ناوله الشراب بيده، حرصًا منه على صناعة شخصية الطفل المستقلة والحرة، ويروي الصحابي الجليل سهل بن سعد الساعدى رَجَوَلَيَّهُ عَنهُ تَفاصيل هذه القصة بقوله:

⁽¹⁾ صحيح البخاري.

وفي وقب يحبر ص فيه كثيبر من النياس في الاستثمار في المشاريع التجارية، كان الرسول صَلَّاللَّهُ عَلَيْهِ وَعَالَ الدِّسع اهتمامه الأول في الاستثمار في الإنسان نفسه، فقد كان يدرك أن الاستثمار في الإنسان هو أنجح أنواع الاستثمارات، ولا شك أن الطفولة هي أفضل وقت يمكن أن يتم فيه الاستثمار في الإنسان، لذلك فقدكان الرسول صَأَلَتَهُ عَلَيْهِ وَعَلَى إِلِهِ وَسَلَّةً يحرص على تعليم الأطفال وصناعة جيل قوى ومثقف ذي شخصية صلبة يمكنها مواجهة تحديات المستقبل، لذلك استثمر الرسول صَّأَاتِنَاعَيْدِوَعَا الْهِوَسَلَمُ في تربية ابن عمه الصغير عبد الله بن عباس رَحِزَالِلهُ عَنهُ، ولم يقل أنه طفل صغير لا فائدة منه، بل على العكس من ذلك، كان يصنع شخصيته في هـذا العمـر المبكـر، ليتحـول عبـد الله بـن عبـاس رَهَوَاللَّهُ عَنْهُ فيما بعد إلى أحد أعظم العلماء الذين ظهروا في تاريخ الإسلام، وليحمل عن جدارة لقب «حبر الأمة»، ولكي تفهم بعضًا من أسباب عبقرية هذا العالم الإسلامي الكبير، يكفيك أن تستمع للغة التي كـان رسـول الله صَأَلِتَهُعَلَيْهِوَعَلَالِهِوَسَلَّهُ يستخدمها في مخاطبة عبد الله بن عباس رَسِّ لِللَّهُ عَنْهُ وهو طفل صغير:

"يا غُلامُ إنِّي أُعلِّمُكَ كلِماتٍ، احفَظِ الله يحفَظكَ، احفَظ



الله تَجِدُهُ تجاهَكَ، إذا سألتَ فاسألِ الله، وإذا استمنست فاستَعِن بالله، واعلَم أنَّ الأَمَّةَ لو اجتَمعت على أن ينفَعوكَ بشَيء لم يَنفعوكَ إلَّا بشيء قد كتبُهُ الله لَكَ، وإن اجتَمعوا على أن يضرُّوكَ بشيء لم يَضرُّوكَ إلَّا بشيء قد كتبُهُ الله على أن يضرُّوكَ بشيء لم يَضرُّوكَ إلَّا بشيء قد كتبُهُ الله عليكَ، رُفِعَتِ الأقلامُ وجفَّتِ الصَّحفُ (11).

صناعة المستقبل التي كان رسول الله متَلَّقَنَعَيَّهِ وَهَالَيَّهُ الجيدها، تمثلت في أبهى صورها في صناعته لطفل أنصاري من بني النجار سيغير فيما بعد من مجرى التاريخ إلى الأبد، فعندما هاجر رسول الله متَلَّقَنعَتَ وَعَلَيْهُ الله للمدينة، لاحظ نبوغ غلام صغير اسمه زيد بن ثابت رَعَقِقَتَهُ تظهر عليه معالم الذكاء، فوجهه الرسول مَنَّ الله عَنهُ وَعَلَيْهُ وَعَلِيْهُ وَعَلَيْهُ وَلِي لِيلِ الله المفي في طريق العلم والثقافة، وحثه على تعلم لغة أجنبية، وفي ذلك يقول زيد بن ثابت وَعَلِيَة وَنهُ :

«أمرني رسولُ الله صَّأَلَتَنَعَتَدِيَوَكَالِهِوَتِمَّةً أَن أَتَعلَّمَ السَّرِيانيةَ» (2). وبعد ذلك كان الرسول صَّالَتَنَعَتِيوَكَالِهِوَتَمَّةً يَصَدم زيدًا وَجَلِيَّةَ تَنْ على كثير من كبار الصحابة في كتابة الوحى وكتابة الرسائل إلى

⁽¹⁾ رواه الترمذي.

⁽²⁾ ابن حجر العسقلاني، تخريج مشكاة المصابيح.
(48)

قادة وزعماء العالم، فكانت النتيجة أنه صنع شابًا يمكن الاعتماد عليه في المستقبل، وهذا ما كان بالفعل، فبعد وفاة رسول الله صَالِقَتَهُ عَلَيْهِ وَعَالِدِوَسَالَةِ، وموت كثير من حفظة القرآن، خاصة بعد معركة اليمامة التي استشهد فيها سبعون صحابيًا من حفظة القرآن، هالَ هذا الأمر على عمر بن الخطاب رَجَالِيُّهَاتَهُ، وخاف أن يضيع شيء من القرآن بموت حفظته، وقد كان القرآن لم يُجمع بعد في مصحف واحد، فأشار الفاروق رَعَوَلِتَهُ عَنهُ على الخليفة أبى بكر الصديق يَتَوَلِّنَهُ عَنْهُ بِفكرة جمع القرآن في مصحف واحد، فاستدعى أبو بكر الصديق رَعَوَلِيَّكَ عَنهُ زيد بن ثابت رضي الله وكلفه بمهمة جمع الوحي المنزل في كتاب واحد، فقبل زيدبن ثابت رَسِّؤَلِقَهُ عَنهُ التحدي وأعلن قبوله لهذه المهمة الخطيرة التي وصفها بقوله:

اوالله لو كلفوني نقل جبل من مكانه لكان أهون علي مما أمروني به من جمع القرآن»(1).

وبـدأ زيـد بـن ثابـت رَحَلِتُهُ عَنهُ بالعمـل، وصـار يتنقـل بـين

⁽¹⁾ رواه ابن حبان في صحيحه.



الصحابة ليجمع كلام الله المحفوظ عندهم، وأبلى بلاء عظيما في مهمته، وصار يقابل ويعارض ويتحرى مكانه، ويصف زيد بن ثابت رَحَيْشِيَّة ما كان يقوم به في ذلك الوقت بقوله:

" فكنتُ أتبع القرآن أجمعه من الرّقاع والأكتاف والعُسُب وصدور الرجال (1).



وبعد عمل شاق ومتواصل، استطاع زيد بن ثابت وَيَشَهَنَهُ وجزاه كل خير إنجاز مهمة جمع كلام الله في مصحف واحد، لذلك فلا تقلل أبدًا من قيمة الطفل الذي تراه أمامك، فهذا

⁽¹⁾ رواه ابن حبان في صحيحه.



الطفل قد يغير من مجرى التاريخ في المستقبل، فأنت عندما تقرأ القرآن الكريم من المصحف الشريف، فإنك في حقيقة الأمر إنما تقطف ثمرة من ثمار تعامل الرسول صَلَّشَتَيْوَعَلَيْوَسَدُ الناجح مع الأطفال، فهذا القرآن الذي تقرأه تم جمعه على يد شاب أنصاري من بني النجار، كان طفلًا صغيرًا رآه رسول الله صَلَّشَتَا لِمَوْعِلَيْ المِرْسَدُ، فأمن بقدراته، وعامله بحب وحنان، واستشمر في تعليمه، ليتحول ذلك الطفل فيما بعد إلى العملاق الذي جمع آخر وحي منزل من السماء!

ولكن... هل اقتصرت رعاية الرسول صَلَّقَتُنَعَيْمِوَ الْهِرَسَلَةَ على الأطفال الدُكور فقط؟ أم أنه كان يشمل الأولاد والبنات في رعايته وتربيته؟ وماذا عن المرأة؟ كيف كان تعامل الرسول صَّلَشَنَةِمِوَّا الْهِرَسَةُ مع المرأة بشكل عام؟

يتبع...

മാ∳അ





كان لرسول الله صَلَّ الله عَلَى ا وَعَلَيْكَ عَهَا، وهي بنتُ بنتِه رَيْن وَيَنْ وَيَنْ الله عَلَى الله عَلَى

«أن رسولَ الله سَالِمَنَعَقِيهِ وَسَالًا كان يصلي، وهو حساملً أمامة بنتَ زينب، بنتِ رسسولِ الله سَالِسَعُونَا اللهِ سَاللَّهُ وَالْبِي العاصِ بنِ الربيعِ بنِ حبدِ شمسٍ، فإذا سجد وضعَها، وإذا قام حملَها) (2).

 ⁽¹⁾ رواه أبر داود في سننه، والترمذي في سننه، وابن حجر العسقلاني في تخريج مشكاة المصابح، والسيوطي في الجامع الصغير، والشوكاني في الفتح الرباني.
 (2) رواه البخارى ومسلم في صحيحيهما.

اهتمام الرسول صَلَاتَهُ عَلَيْهِ وَعَلَالِهِ وَسَلَّمَ بِالأطفال لم يقتصر فقط على الأولاد الذكور دون الإناث، بل كانت دروسه التربوية تشمل الجميع، إضافة لذلك شدد بشكل خاص في كثير من أحاديثه على أهمية العناية بالبنات تحديدًا، محاربًا بذلك بعض الأفكار الجاهلية التي كانت سائدة في جزيرة العرب، فقد كان كثير من العرب في فترة الجاهلية يفضلون إنجاب الأولاد على البنات، فجاء سيدنا محمد صَأَلِتَهُ عَلَيْهِ وَعَلَالِهِ وَسَلَّمَ ليحارب هذا الفكر الجاهلي المتخلف الذي يميز بين البشر بطريقة ظالمة على أساس النوع، وربما كان هذا سببًا من الأسباب التي جعلته يحمل حفيدته الصغيرة معه في الصلاة، ربما أراد الرسول صَأَلِتَهُ عَلَيْهِ وَعَلَالِهِ وَسَلَّمْ إرسال رسالة واضحة إلى المجتمع العربي والعالم بأسره بحمله لتلك الصغيرة أمام الجميع، إضافة لـذلك شدد الرسول صَالِمَتُنَاتِهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ فِي كثير من أحاديثه على ضرورة إكرام البنت وتربيتها تربية صالحة لكي تصبح امرأة قوية تشارك بشكل فعال في بناء الحضارة وصناعة المستقبل، ووعد الرسول صَلَّاللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَّالِهِ وَسَلَّمَ من يرعاها ويحسن إليها بالأجر الجزيل،

وجعل حسن تربيتها ورعايتها أمرًا ينال فيه المسلم أجرًا كبيرًا، فأوضح في أحد أحاديثه أن الذي يرعى جاريتين، يعني بنتين، حتى تبلغا، سيكون قريبًا جدًا من الرسول صَلَّقَتَنَيَّهَ وَعَلَّا الْوَرَيَّةُ يُوم القيامة، فقال صَلَّقَاعَيِّهُ وَيَلًا جدًا

> «من عال جاريتين حتى تبلغا، جاء يوم القيامة أنا وهو (وضم أصابعه)»^(۱).

لقد كان الرسول صَلَّ المَنْعَلَى وَاللَّهِ وَسَلَّمَ يَعرص أثناء حياته على
بناء مجتمع سليم يشكل نواة لجيل قوي يساهم في بناء الحضارة
الإنسانية ويشارك في رقي العنصر البشري، والمجتمعات بطبيعة
الحال لا تتكون من رجال فقط، فالمرأة تمثل نصف المجتمع،
وفي بعض الأحيان تمشل أكثر من ذلك، فكثير من الدول
المتقدمة صناعيا في هذا الزمان كان للمرأة الدور الأبرز والأكبر
في تقدمها، فألمانيا الحديثة على سبيل المثال كانت المرأة فيها
هي الأساس في إعادة بنائها بعد هزيمتها المذلة في الحرب
العالمية الثانية وما أعقبها من دمار شبه كامل في بنيتها التحتية،

(1) صحيح مسلم.

خاصة مع مقتل الملايين من الجنود الرجال وأسر الملايين منهم ليعملوا في معسكرات الاتحاد السوفييتي السابق، لذلك فإن الظروف التي تمربها المجتمعات تحتم عليها التعامل وفق معطياتها الواقعية، والمجتمعات السليمة ينبغي أن يعمل بها الجميع للنهوض بها كل حسب طاقته وطبيعته، فهذه الأرض هي ملك للمرأة مثِلما أنها ملك للرجل، والمرأة ليست كائنًا غريبًا جاء من كوكب آخر، وهي مثلها مثل الرجل تنتمي لبني الإنسان، لديها روح وعقل ومشاعر وآراء واجتهادات تصيب وتخطئ، فالأصل في المرأة والرجل أنهما سواء، ولا يختلف الرجل والمرأة سوى في أمور استثنائية قليلة ميز الله بها بعضهم على بعض لتناسب طبيعة تكوين كل منهما، أما فيما عدا ذلك من الأمور فهي مثلها مثل الرجل تمامًا، وهذا ما أوضحه الرسول صَلَّابِتَهُ عَلَيْهِ وَعَلْآلِهِ وَسَلَّةً بكلمات واضحة ومختصرة:

«النساء شقائق الرجال»(١).

⁽¹⁾ وواه أبو داود في سننه، والترمذي في سننه، وابن حجر العسقلاني في تخريج مشكاة المصابح، والسيوطي في الجامع الصغير، والشوكاني في الفتح الرباني.

وللمرأة في الإسلام دور كبير يغفل عنه كثير من المسلمين للأسف، والقارئ الجيد لحوادث التاريخ، وقصص الأمم السابقة الواردة في القرآن الكريم، وأحداث السيرة النبوية التي حفظتها كتب الحديث والسير، يدرك تمام الإدراك أن دور المرأة عبر التاريخ كان دورًا محوريًا وهامًا في بناء الأمة الإسلامية، فهذا الدين الذي بين أيدينا ما كان ليصلنا لولا أن سخر الله للإنسانية نساء عظيمات نصر الله بهن دينه، فكانت المرأة، خديجة بنت خويلد رَخِاللهُ عَنهَا، أول من آمن برسالة محمد صَلَّاللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَّا لِهِ وَسَالًمْ من البشر أجمعين، وكانت المرأة، سمية بنت خباط رَسِيَاللَّهُ عَنهَا، أول الشهداء في تاريخ الإسلام، وكانت المرأة، عائشة بنت أبي بكر رَهِ وَلِيَّةَ عَنهَا، هي الشخص الذي اختاره الرسول صَلَّاتَتُهُ عَلَيْهِ وَعَلَّالِهِ وَسَلَّمَ لكي يموت بجانبه، وكانت المرأة، هاجر عليها السلام، هي الإنسانة التي بدأت معها الحياة في مكة قبلة المسلمين، وكانت المرأة، آسية بنت مزاحم عليها السلام، هي الإنسانة التي تصدت لفرعون أكبر طاغية في التاريخ، وكانت المرأة، أم موسى عليها السلام، هي الإنسانة التي بدأت معها

أولى خطوات بناء الأمة من جديد، بعد سنوات طويلة من الضعف والهوان، لقد كان بناء أمة باسرها يبدأ بامرأة واحدة:

﴿ لَمُسْتَدُنُ الْمُنْ عَلَى مَانِتُ الْكِنْبِ النَّهِينِ ﴿ لَمُلْكَ بَنَخُ الْمُنْفِ النَّهِينِ ﴿ النَّمَا أَمْنِ مَنَ النَّمَا اللَّهِ مَنَ النَّمَا اللَّهِ مَنَ النَّمَا اللَّهِ مَنَ النَّمَا اللَّهِ مَنَ النَّمَا اللَّهُ مَنَ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مَنَ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللْمُنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ

والمتأمل في سيرة الرسول صَلَّقَتُكِوَعَقَالِيَوْتَكُمُّ يجد أَن المرأة شاركت وبقوة في وضع الأسس الأولى للحضارة الإسلامية منذ فجر الإسلام، ولم تكن المرأة معزولة عن المجتمع

⁽¹⁾ سورة القصص، الأيات من 1-7.

الإسلامي في المدينة على النحو الذي يتخيله البعض، فقد كانت المرأة في عهد الرسول محمد صَأَلِقَهُ عَلَيْهِ وَعَلَا آلِهِ وَسَأَمَةُ تعمل وتتعلم وتعلم، وامتلكت المرأة في دولة المدينة استقلالية في التصرف بأموالها وأملاكها، وكان لها مطلق الحرية في رفض أو قبول الشخص الذي يتقدم لخطبتها، وكانت تملك حرية واسعة في طلب الانفصال من الزوج الذي لا تشعر بسعادة معه، حتى وإن كان يوفر لها كل شيء ويعاملها معاملة حسنة، وكانت المرأة في عهد الرسول محمد صَلَّاتَنَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَّالِهِ وَسَلَّمَ تشارك بآرائها بكل حرية في مختلف القضايا الفقهية والاجتماعية وحتى السياسية، وسنحاول خلال السطور القادمة تسليط الضوء على بعض النقاط التي من شأنها إظهار الصورة الحقيقية لحياة المرأة في عهد رسول الإسلام محمد صَزَّانِتَهُ عَلَيْمِوَعَا الْهِوَسَلَّمَ:

آ. احترام المراة: حرص الرسول مَنْ الله عَنْ الله عَلَى احترام المراة في جميع مراحل حياتها، فكان يرفع حفيدته الصغيرة في الصلاابة، وكان يذكر الصحابة في أحاديثه بالنساء العظيمات اللواتي ساهمن في صناعة التاريخ، من أمثال آسية بنت مزاحم عليها السلام وهاجر عليها السلام من أمثال آسية بنت مزاحم عليها السلام وهاجر عليها السلام من أمثال آسية بنت مزاحم عليها السلام وهاجر عليها السلام من إسمالية المسلام وهاجر عليها السلام وهاجر عليها السلام من أمثال آسية بنت مزاحم عليها السلام وهاجر عليها السلام من المسلام وهاجر عليها السلام وهاجر عليها السلام وهاجر عليها السلام من المسلام المسلام وهاجر عليها السلام وهاجر عليها السلام وهاجر عليها السلام وهاجر عليها السلام المسلام المسلم المسلام المسلام المسلم الم

ومريم عليها السلام وغيرهن، وكان الرسول صَّاتَشَكَيْتَوَكَّالِهُوَتَكَدُّ يوصي أصحابه كثيرًا بالنساء، وحتى في خطبة الوداع التي فارق الحياة بعدها بأيام، لم ينس أن يوصي خيرًا بالنساء، وقد أظهر الرسول صَّالِشَتَيْدَوَكِالِهُوَتِكَةُ احترامه للمرأة منذ طفولتها وحتى مفارقتها للحياة، ومن أعظم مظاهر احترام الرسول صَلَّشَتَيْدَوَكَالِهُوتِكَةٌ للمرأة أنه كان يحرص بنفسه على الصلاة عليها بعد موتها، وفي الحديث الصحيح الذي رواه النسائي عن الصحابي أبي أمامة بن سهل بن حنيف الأنصاري:

انَّ مِسكِنةً مرضَت، فأخْبِرَ رسولُ الله صَلْفَكِيْوَعَالِهِوَسَدُ بِمرَضِهِا، وَكَانَ رسولُ الله صَلْفَتَكِيوَعَالِهِوَسَدُ يمسودُ المساكِنَ، ويسأَل عنهُم، فقالَ رسولُ الله صَلْفَتَكِيوَعَالِهِوَسَدُ إِذَا المساكِنَ، ويسأَل عنهُم، فقالَ رسولُ الله صَلْفَتَكِيوَقَالِهِيَتَدُ إِذَا رسولُ الله أَخْبِرَ باللّذي كانَ منها، وسولُ الله أُخْبِرَ باللّذي كانَ منها، فقالَ: اللّم آمُرْكُم أَن تؤذنوني بِها، قالوا: يا رسولَ الله كرِهْنا أَن نوقِظَكَ لِبلاً، فخرجَ رسولُ الله حتَّى صسفً كرِهْنا أَن نوقِظَكَ لِبلاً، فخرجَ رسولُ الله حتَّى صسفً بالنَّاس على قبرها، وَكَبَرَ أَربَعَ تَكْبِراتٍ»(1).

⁽¹⁾ رواه النسائي في سننه.

2. العلم: بَيَّن الرسول سَيَّاتَفَكَيْوَعَالَهِ يَسَدُّ بشكل واضح أن طلب العلم فريضة على المسلمين جميعًا دون استثناء، وذلك في المحديث الصحيح الذي رواه أنس بن مالك يَعَلَقَهَنَدُ: طلبُ العلمِ فريضةٌ على كلَّ مسلم، وإنَّ طالبَ العلمِ يستغفِرُ له كلُّ شيء، حتى الحيتان في البحريه(١٠).

والمعنى إذا كان على مسلم فالمسلمة دخلت، لأنه ما وجب على هذا وجب على هذا كما تقدم، الأحكام بينهم ثابتة، فما وجب على المسلم وجب على المسلمة، وما وجب عليها وجب على المسلم إلا ما خصه الدليل بواحد منهما(2). لذلك فقد حرصت النساء في عهد النبي صَأَلِتَهُ عَلَيْهِ وَعَلَالِهِ وَسَلَّمَ على تحصيل العلم، ليس في المجال الديني فقط، بل في المجال الطبي الذي ساعد من عملت منهن في مجال الطب والتمريض كرفيدة الأسلمية رَضَالَتُكَانَا، وفي مجال علوم الطبيعة الذي ساعد من عملت منهن في مجال الزراعة، ووصل تشجيع الرسول صَأَلِقَهُ عَلَيْهِ وَعَالِهِ وَسَلَّمَ للمرأة في تحصيل العلم إلى تخصيصه مجلسًا

⁽¹⁾ جامع بيان العلم وفضله، الحافظ ابن عبد البر.

⁽²⁾ فتاوي الجامع الكبير، ابن باز.

علميًا خاصًا للنساء تلبية لطلب إحدى النساء المسلمات، فعن أبي سعيد الخدري وكالشَّعَة قال:

﴿جَاءَتِ الْمَرَأَةُ إِلَى رَسُولِ الله صَلَّتَتَعَيْرَعَالِهِوَتَةُ فَقَالَتْ: يَا رَسُولِ الله صَلَّتَتَعِيرَعَالِهِوَتَةُ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ الله عَلَيْكِ، فَاجْمَلُ لَنَا مِنْ نَفْسِكَ يَوْمَا تَأْتِيلَ فِي أَمْلُمُنَا مِمَّا عَلَّمَكُ الله فَقَالَ: ﴿اجْمَعِمْنَ فِي تَعْمُ كَنَا وَكَذَا وَكَذَا فِي مَكَانِ كَنَا وَكَذَا ، فَاجْمَمُعْنَ، فَأَتَاهُـــنَ رَسُولُ الله صَلَّمَهُ الله الله عَلَيْمَةُ الله (١٠).

ولم تكتفِ المرأة في فجر الإسلام بالتحصيل العلمي، بل كانت هناك نساء معلمات يتعلم منهن النساء والرجال على حد سواء، مثل السيدة عائشة رَهِيَلِيَّهَ التي كانت عالمة كبيرة يأتيها الرجال بعد وفاة رسول الله سَيَّالتَمْ يَتَهِيَ الْمَتِينَ لِلترود بالعلم.

3. العمل: اشتركت النساء في عهد الرسول صَّالَتُمُكِيْهِ وَعَلَيْهُ فِي عهد الرسول صَّالَتُمُكِيْهِ وَعَلَيْهُ فِ بناء المجتمع الإسلامي، فكانت هناك من تعمل في مجال الطب والتمريض كرفيدة الأسلمية وَعَلَقَهُمُ التي كانت تداوي المسلمين في المعارك بما تمتلكه من خبرات علاجية ودواثية واسعة، فكانت

⁽¹⁾ رواه البخاري ومسلم في صحيحيها، واللفظ للبخاري.

النساء المسلمات يخرجن مع جيوش المسلمين، لمداواة الجرحى، وتطبيبهم، والقيام على رعايتهم، ودليل ذلك ما روته الصحابية الجليلة أم عطية يَحْلِلَهُ مَا التي قالت:

> "غزوتٌ مع رسولِ الله مَالِّلْتَمْثَيْدَيَثَالِّهِزَسَدِّ سِيعَ غزواتٍ، أُخلِّفُهم في رِحالِهم، فأصنع لهم الطعامَ، وأُداوي الجَرحى، وأقوم على المَرضى، (17).

وعملت المرأة أيضًا في مجال الزراعة، فكانت النساء تقطف الثمار، وترعى الرزع، وقد وقف الرسول مَا الله مَنْ الله وترعى الرأة أراد أحد الرجال منعها من العمل، فعن الصحابي جابر بن عبد الله مَنْ الله قال:

ا طُلُّقَتُ خالتي، فأرادت أن تبعدُ نخلها، فزجرها رجلٌ أن تخرجَ، فأنتِ النبيَّ سَأَلِقَنَئَيْوَئَالِ وَسَلَّ فقال: بلى، فجدي نخلكِ، فإنك عسى أن تصدَّفي أو تفعلي معروفًا (2).

وفي دولة المدينة، عملت المرأة أيضًا في الأشغال اليدوية دون أن يمنعها الرسول سَلِّشَنَيْ يَوَظِّلِهِ وَسَلِّرَ مَن ذلك، فقد ورد أن



⁽¹⁾ صحيح مسلم.

⁽²⁾ صحيح مسلم.

الصحابية الجليلة رائطة زوجة ابن مسعود رَمَوْلِيَّهُ عَنْهُا

اكانتِ امرأة صَنَاعًا وليس لعبد الله بنِ مسعودٍ مال،
 وكانت تُنفِقُ عليه وعلى ولدِه مِن ثمرةِ صنعتِها، (1).

4. لا يجوز إكراه المرأة على الزواج من أحد: شدد الرسول صَلَاللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَالِهِ وَسَلَّمَ عَلْمِي أَنْ مِن شروط صحة الـزواج موافقـة الطرفين، وأكد في أحاديثه أن من حق المرأة قبول أو رفض الشخص الذي يتقدم لها، سواء أكانت بكرًا لم يسبق الزواج لها، أو كانت في حالة المرأة الأيم، أي المرأة سبق لها الزواج من قبل، وفي الحالة الأولى يجوز لها أن تصرح بردها بالقبول أو الرفض، أو أن تسكت إذا غلب عليها الحياء فيكون السكوت علامةً للقبول، أما في الحالة الثانية فيجب التصريح بـالرد قبـولًا أو رفضًا، وفي جميع الحالات يُشترط موافقة المرأة لصحة

وقد ثبت ذلك عن رسول الله صَّلَقَتَقَدَهَ وَاللَّهِ مَثَلَقَتَ وَعَلَّالِهِ مَثَلًا بِما لا يدع مجالًا للشك في أصح كتابين للحديث، صحيح البخاري

⁽¹⁾ أخرجه ابن حبان في صحيحه.



وصحيح مسلم:

﴿ لا تُنكَحُ الآيُّمُ حتَّى تُستَأْمَرَ، ولا تُنكَحُ البِكْرُ حتَّى تُستأذَّنَ ا (١٠)

لذلك فليتَّقِ الله كل من يحاول إكراه المرأة على الزواج من أي رجل دون موافقتها، وليَعلم من يقوم بذلك أنه يحارب الله ورسوله سَيَّلْتُنْتَيْمَتَى الْإِسَادُ بارتكابه لمثل هذه الجريمة.

5. تعامل الزوج مع الزوجة: حدد رسول الله صَلَاتَه عَنْه وَعَلَى اللهِ صَلَاتَه عَنْه وَعَلَالِه وَتَكَرَّ اللهِ عَلَى الله عَلَى اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُهُ عَلَى اللهُ عَلَى الله

«أكملُ المؤمنين إيمانًا أحسنُهم خُلقًا، وخيارُكم خيارُكم لنسانهمه(2).

وقد طلب الرسول صَلَّقَتَ عَنْهَ وَاللَّهِ مَتَّالُمِن الصحابي الجليل عثمان بن عفان وَعَلِيَّفَتَهُ أن يبقى بجوار زوجته المريضة ليعتني بها بدلًا من الاشتراك بالقتال في غزوة بدر الكبرى، وذلك على

⁽²⁾ رواه الترمذي في سننه.



⁽¹⁾ رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما.

الرغم من قلة عدد المسلمين مقارنة بعدد مقاتلي جيش مشركي قريش، واعتبر الرسول صَلَّقَتَهُ وَقَوْلَهُ عَمْدان رَحَيَّقَةَ مَا الرَّحَانَة وَقَوْلَ عَمْدان رَحَيَّقَةَ مَا بِجانب زوجته في محنتها بمثابة المشاركة في القتال في أعظم معارك المسلمين على الإطلاق، لذلك فإن ذا النورين عثمان بن عفان رَحَقَقَتَهُ يعتبر من البدريين على الرغم من عدم مشاركته الفعلية في ساحة المعركة، فقد قال له رسول الله مشاركته الفعلية في ساحة المعركة، فقد قال له رسول الله

«إِنَّ لَكَ أَجْرَ رَجُلِ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا وَسَهْمَهُ»(١).

ولم يكتفِ الرسول صَلَّاللَهُ عَنِيوَكَاللَهُ وَمَا بالنظير لحسن معاملة الزوجة، بل كانت حياته الزوجية مثالًا على ذلك، فكان كثيرًا ما يذكر بالخير زوجته الأولى خديجة بنت خويلد رَوَّيَكَ عَنَهُ، ولا يخجل من ذكر فضالها عليه، وحتى بعد موتها كان صَلَّللَهُ عَنَيْهُ وَلا المَوْمَنِين عائشة وَيَعَلَيْهُ عَنَهُ احتراها لذكراها، وتصف زوجته أم المؤمنين عائشة وَيَعَلِيَهُ عَنَهُ هذا الأمر بقولها:



⁽¹⁾ صحيح البخاري.

«ما غرت على أحد من نساء النبي صَّالَتُنَعَيْنَ الْاَلِيَ اَسَا غرت على خديجة، وما رأينها، ولكـن كـان النبي صَالَّتُنَعَيْنَ اللَّالِينَةُ بكثر ذكرها، وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء ثم يمثها في صدائق خديجة (1).

ولم يكن الرسول مَالِشَّئِدَوَثَلِّلُووَتَدُّ يِخْجِل أَيضًا مِن ذكر حبه لزوجته عائشة أمام الناس، وهذا ما حصل عندما سأله الصحابي الجليل عمرو بن العاص رَعَلِثَهَانَهُ عن هوية أحب الناس إليه:

«فَأَتَيْتُه فقلتُ: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: عَائِشَةُ" (2).

ويكفسي القسول فقسط أن آخس لحظسات رسسول الله صَّلَّالْمُنْعَدِينَاً اللَّهِ وَسَلَّمَ فِي هسلَّهِ السَّدَيٰيا كانست وهسو علسى صسدر أم المعة منين عائشة (حَوَلَيَّاتِمَةُ (³⁾.

6 . الطلاق: على عكس كثير من الأديان، كفل الإسلام
 للمرأة حق طلب الطلاق من زوجها إذا ما شعرت بأنها لا

~(``)~

⁽¹⁾ رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما.

⁽²⁾ رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما.

⁽³⁾ رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما.

تستطيع الاستمرار معه، حتى وإن كان زوجها يعاملها معاملة حسنة ويوفر لها كل شيء، فيكون من حقها في هذه الحالة أن يتم التطليق مقابل أن ترد عليه ما أخذته منه، وهو ما يعرف فقهيًا بالخلع، فعن ابن عباس رَوَلِيَّةَنَا:

"أن امرأة ثابت بن قيس أتت النبي عنَّ الله عَلَية عَدَى الله فقالت: يا رسول الله، ثابت بن قيس ما أعنب عليه في خلق ولا دين، ولكني أكره الكفر في الإسلام. فقال رسول الله عَنْ عَنْ الله عَنْ اللهُ عَنْ الله عَنْ عَلْمُ عَنْ الله ع

7. التعامل مع المراة المطلقة والأرملة: تتعرض المرأة المطلقة والأرملة في كثير من الثقافات في العالم لظلم كبير، وفي بعض الثقافات الأوروبية القديمة كانت المرأة تحرق مع زوجها عند موته، وما زالت المرأة المطلقة أو الأرملة في بعض الدول الآسيوية تتعرض لتمييز واضطهاد كبيرين، وللأسف فإن

(1) صحيح البخاري.



كثيرًا من الناس في المجتمعات المسلمة لديهم نظرة سلبية للمرأة المطلقة والأرملة، هؤلاء لم يقرأوا جيدًا سيرة رسولهم محمد عرَّاتِفَا عَيْنَا الميرة والله من معلقات وأرامل، ولك أن تعلم أن كل أمهات المؤمنين باستثناء عائشة وَعَلِيَقَتَهَ كُنَّ إما مطلقات أو أرامل، فهل ترضى أن تكون لك مثل هذه النظرة السلبية على من قدَّر الله لهن أن يكن مطلقات أو أرامل مثل أمهات المؤمنين وزوجات رسولك يكن مطلقات أو أرامل مثل أمهات المؤمنين وزوجات رسولك صَرَّاتِشَنَيْدِيَة الله الله الله المؤمنين وزوجات رسولك

وقد شاهدنا في خضم حديثنا عن عمل المرأة في فجر الإسلام كيف أن الرسول سَرَّاتُنَكِيْدَوَكِلَّهِوَتَكَدُّ وقف في صف امرأة مطلقة حاول أحد الرجال منعها من العمل، فالحقيقة التاريخية التي تؤكدها المراجع التاريخية، أن المرأة المطلقة والأرملة عاشت بكل احترام وتقدير في زمن الرسول سَرَّاتُنكَدَّوَكُلُّهُوتَكُرُ، وساهمت بشكل فعال في بناء الحضارة الإسلامية وتطورها، وأن نظرة الكثير منا للمطلقات والأرامل نابعة من جاهلية جاء الإسلام أصلًا لمحاربتها، وقد حان الوقت علينا لتغيير كثير من

الأفكار السلبية الموروثة عن المطلقات والأرامل، فالمطلقة والأرملة مثلها مثل بقية النساء، لا تطلب منا سوى الاحترام! 8 . حق المرأة في الميراث: على عكس ما كان معمولًا به في زمن الجاهلية عند كثير من العرب، جاء الإسلام ليؤكد على حق المرأة في الميراث، ولتحقيق مبدأ العدالة في تقسيم الميراث لعدة حالات وفقًا لقرب الورثة من الشخص المتوفي ووفقًا للأعباء الاقتصادية الملقاة على عاتق كل وريث، قسم الإسلام الميراث على الورثة بطريقة غاية في الدقة لا يتسع المقام هنا لشرحها، ولكن ما يعنينا هنا هو نصيب المرأة من الميراث: ففي 7 حالات تحصل المرأة على نصيب مساو لنصيب الرجل، وفي 4 حالات فقط تحصل على نصيب أقل من نصيب الرجل، بينما تحصل المرأة على نصيب أكبر من نصيب الرجل في 11 حالة، وهناك بعض الحالات تحصل فيها المرأة على كل شيء

وقد أكدر سول الله سَأَلِقَنَا عَبُهُوَ اللهِ مَالَ مَنْ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ الل

ولا يحصل فيها الرجل على أي نصيب!

الميراث، فقال في الآية الكريمة التي وردت ضمن آيات الميراث: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمُولَ الْمُسْتَمَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُعُلُونِهِمَ اَلْأَوْسَدَهَمَانُونَ مَنْهِمًا (اللهِ ١٠٠٠).

وحــــذر الرســـول صَأَلِتَهُ عَلَيهُ وَعَلَى اللهِ وَسَلَّمَ كُــل مــن يســتغل ضـعف المر أة ليظلمها، فقال:

تعراه بيطنمها، فعال. «اللهم إِنِّي أُحَرِّجُ حَقَّ الضَّعِيفَيْنِ: الْيَيَيم وَالْمَرْ أَةِ»⁽²⁾.

وحــــذر الرســـول صَّأَلِقَهُ عَلِيهِ وَعَلَّالِهِ وَسَلَّةٍ مَــن خطـــورة أن يتعـــدى الإنسان على أرض غيره، فقال:

«مَنْ ظَلَمَ قِيدَ شِبْرٍ مِنْ الأرْضِ طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ »(3).

وللأسف فإن كثيرًا من المسلمين في هذا الزمان يعاملون المرأة معاملة الكفار في الجاهلية، فيمنعون أخواتهم وبناتهم من الحصول على حقوقهن في الميراث، هذه الحقوق التي منحها

(3) صحيح البخاري.



⁽¹⁾ سورة النساء، الآية 10.

⁽²⁾ رواه ابن ماجة في سنىه.

الله سبحانه وتعالى لهن من فوق سبع سماوات، لذلك فليحذر كل من يمنع المرأة من الحصول على حقها من الميراث، فالأمر في غاية الخطورة، فهو بهذا الظلم يعرض نفسه لخطر مواجهة محسومة النتيجة مع الله الجبار المنتقم!

9. مشاركة المرأة الفعّالية في قضايا الدولية: شاركت المرأة بشكل فعّال في أهم القضايا التي برزت للمسلمين وذلك منذ بزوغ أول شعاع لفجر الإسلام، فما أن رجع الرسول صَأَلِتَهُ عَلَيْهِ وَعَلَالِهِ وَسَلَّمَ من غار حراء بعد لقائه الأول مع الملك جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، حتى تحركت السيدة خديجة رَضَّوَ لِللَّهُ عَنَّهَا لتكون هي الشخص الذي فكر بإحضار ورقة بن نوفل وَمَنْاتَهُ الذي أوضح للرسول صَلَّاللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى اللِّهِ وَسَلَّمُ أَنْ الذي جاءه هو ملك الـوحي، وأنـه الرسول الذي تنتظره البشرية، وقد كان ذلك من حسن تدبير ورجاحة عقل السيدة خديجة رَعِوَاللَّهُ عَهَا، وقد تحدث القرآن الكريم عن كثير من النساء اللواتي أثبتن رصانتهن الفكرية وذكاء في التصرف، لعل ملكة سبأ بلقيس مثال على ذلك، فقد جنيت هذه المرأة العاقلة شعبها من الدمار بحسن تصرفها مع نبي الله

سليمان عَدَياتَكُمْ، والأمثلة القرآنية التي تتحدث بشكل إيجابي عن النساء كثيرة، إلا أن بعض المسلمين، ولسبب غير مفهوم، يركزون فقط على مثال المرأة في قصة سيدنا يوسف عَيَاتَكُمْ، ولكن الحقيقة الغائبة على كثير منا أن رأي المرأة في بعض الأحيان كان هو الرأي الصواب، مثال على ذلك ما ورد في القصة الشهيرة عن الفاروق عمر سَيَّلَيَّهُمَّةُ عندما كان رئيسًا للدولة واعترضت على أحد قرارته امرأة مسلمة تبين لعمر تَحَيَّلُهُمَّةُ صحة رأيها وخطأ رأيه، ليكون رأيها هو الذي أخذ به معذ أن قال:

«امرأةُ أصابَتْ ورجلٌ أخطأً»(1).

ولعل قصة الرسول صَّلْتُنَعَدُ مِنْ الْمَرْمَةُ فِي الحديبية تبين هذا الأمر بشكل واضح، فلقد كنان رأي المرأة ممثلًا برأي أم المومنين أم سلمة وَيَوْفَهُمُ هو الرأي الذي أخذ به رسول العالمين محمد صَلَّتُهُمَّ عَلَيْهُمُ والذي استطاع من خلاله حل المشكلة التي اعترضته، وفي هذا أكبر رد على الذين يقللون من

⁽¹⁾ ابن حجر العسقلاني، فتح الباري.

شأن المرأة ويشككون بآرائها في القضايا المهمة، فبعد أن عقد الرسول صَلَاللَّهُ عَلَيْهِ وَعَالَالِهِ وَسَلَّم صلح الحديبية، حزن أغلب المسلمين من قبولهم ببنود الاتفاق التي كانوا يرون فيها ظلمًا للمسلمين، إلا أن الرسول صَالَاتَهُ عَلَيه وَعَلَى الِهِ وَسَلَّمَ كانت نظرة بعيدة الأمد أثبتت صحتها فيما بعد، ولكن المسلمين في ذلك الوقت أصيبوا بالحزن، خاصة مع علمهم أنهم لن يتمكنوا من أداء العمرة في هذا العام كما كانوا يرجون، وعندما أراد الرسول صَٰٓإِللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَّالِهِ وَسَلَّمَ الرجوع إلى المدينة أمرهم بأن يتحللوا من إحرامهم، ولكنهم كانوا في حالة نفسية صعبة منعتهم من القيام بذلك، الأمر الذي أحزن الرسول صَلَّاتَتُ عَلَيْهِ وَعَلَّالِهِ وَسَلَّم، قَبل أَن تشير إليه أم المؤمنين أم سلمة رَجَالِتُهُ عَهَا بحل يدل على رجاحة عقلها:

الما كتب رسولُ الله صَلَّاتَنَكِيرَعَا النِّسَدُّ القَصْيَةَ بِينه وبين مُسْركي قريش، وذلك بالحديبية عام الحُديبية، قال لأصحابه: قومُوا فانحروا واحلِقوا، قال: فواللهِ ما قام منهم رجلٌ، حتى قال ذلك ثلاثَ مرات، فلما لم يقمُ منهم أحدٌ، قام فدخل على أمَّ سلمةً، فذكر ذلك لها، فقالت أمُّ سلمةَ: يا نبيَّ الله، اخرُجُ ثم لا تُكلِّمُ أحدًا منهم بكلمةٍ، حتى تنحرَ بُدْنَكَ وتدعوَ حلَّاقِكَ فتحلقَ. فقام فخرج فلم يكلِّم منهم أحدًا، حتى فعل ذلك، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضُهم يحلِقُ بعضًا،(1).

ولكن... كيف تعامل الرسول صَلَّاتَنَكِيَوَكَالِّهِرَسَدُّ بعد ذلك مع العهد الذي عقده مع كفار قريش؟ ولماذا كان الرسول العهد الذي عقده مع كفار قريش؟ ولماذا كان الرسول صَلَّاتَكَيْءَ يَكُلُورَ مَنْ نظرته الاستراتيجية بعيدة الأمد من خلال عقده لهذا الصلح؟ وهل يجب على المسلمين احترام عهودهم مع الكفار، أم أن الكفار لا عهد لهم؟

يتبع...

જા∳ભ

⁽¹⁾ ابن جرير الطبري، تفسير الطبري.



﴿وَأَوَفُواْ بِالْمَهَدِّ إِنَّ الْمَهَدَكَاكَ مَسْتُولًا ١٠٠٠

قبل معركة بدر الكبرى مباشرة...

كان الصحابيان حذيفة بن اليَمان وَعَلِيَّهَ عَهُ وأبوه اليَمان حُسيل بن جابر رَعَلِيَّهَ عَهُ خارج المدينة، وبينما هما في طريقهما قابلهم كفار قريش الذين كانوا يستعدون لقتال المسلمين، فألقوا القبض عليهما بداعي أنهما يريدان الانضمام إلى رسول الله سَرَّالْهَ عَيْدَ وَعَلَيْهِ وَتَكُرُه فأوضح الصحابيان أنهما إنما يريدان الرجوع إلى المدينة وليس الانضمام للرسول صَلَّاتَنَا عَيْدَ وَالِس الانضمام للرسول صَلَّاتَنَا عَيْدَ وَالِس الانضمام للرسول صَلَّاتَنَا عَيْدَ وَالِس الانضمام الله ول صَلَّاتًا عَلَيْه وَالْمَا وَالْمَالُونُ وَالْمَالُونُ المَدينة، فوافقا ومِيناقًا بألا يشتركا في المتال وأن ينصر فا إلى المدينة، فوافقا

(1) سورة الإسراء الآية 34.



على ذلك الشرط، فأطلق الكفار سواحهما، فأتيا الرسول صَّأَلِقَتُكِيْوَكُلْلِهِوَتَاتُمُ وهو يستعد للقتال، وأخبراه بما حصل لهما، فطلب منهما الرسول صَلَّقَتُكِيْوَكُلْلِهِوَتَاتُهُ الالتزام بالعهد الذي قطعاه مع الكفار، وألا يشتركا في القتال، وقال لهما الرسول صَلَّفَتُكِمُوكِلَالِوَتَكُرُ:

«انصرفا، نفي لهم بعهدهم، ونستعين الله عليهم»(١).

هذه القصة العجيبة تبين لنا كيف أن الرسول سَهَالْتُعَيْمَوَ الْكَلَّهُ الْمَعْتَمِوَ الْمَعْتَمِوَ الْمَعْتِمِ من كان يحترم العهود والمواثيق حتى مع ألد أعداثه، فبالرغم من أن هؤلاء كفار قريش أخذوا العهد من حليفة وأبيه تَوَالِيَّهَ عَلَىٰ بعد اعتقالهما دون وجه حتى، وبالرغم من تعرض الرسول مَن قبل هؤلاء الكفار، وبالرغم من قلة عدد المسلمين في غزوة بدر بالنسبة لجيش قريش الذي كان يقدر عدده بثلاثة أضعاف عدد المسلمين، إلا أن الرسول سَهَالْتَنْتِينَ عَلَيْهِ وَسَدَّةً رفض انضمام هذين الصحابين إلى جيش المسلمين، لكي يوضح للمسلمين

(1) صحيح مسلم.



درسًا في منتهى الأهمية، وهو أن المسلمين ينبغي لهم الالتزام بالعهود واحترام المواثبت، حتى وإن كانت هذه العهود والمواثيق مع غير المسلمين، بل وحتى وإن كانت هذه العهود والمواثيق مع الأعداء الذين ارتكبوا الجرائم والفظائع في السابق، هذا هو الدرس العظيم الذي أراد الرسول صَأَلِتَهُ عَلَيْهِ وَعَلَالِهِ وَسَلَّمَ تعليمه إيانًا من خلال هذه الحادثة، أراد الرسول صَلَاتَهُ عَلَيْهِ وَعَلَا الِهِ وَسَلَّمَ أَن يوضح لنا أن الوفاء بالعهود شيء مقدس بالإسلام، بغض النظر عن أي عوامل أخرى يمكن للبعض استخدامها كمبرر لعدم الوفاء بالعهود، فالمسلم ينبغي لتعاملاته مع الآخرين أن تكون انعكاسًا لتعاليم هذا الدين العظيم، لا أن تكون انعكاسًا لردّات الفعل الغاضبة والرغبة الإنسانية لمعاملة الآخرين بالمثل دون أي ضوابط، فمشاعر الغضب والرغبة بالانتقام لا يصح أن تكون هي من يحدد أفعال المسلم، وقد أوضح الرسول صَلَّاتَتْمَعَتْهِوَعَابَّالِهِوَسَلَّمْ ذلك بشكل جلى عندما نهى عن الخيانة حتى مع الخونة، فقال صَأَلِتَهُ عَلَيْهِ وَعَلَا الْهِ وَسَلَّمَ: «أَدِّ الأَمَانَةَ إِلَى مَنْ اثْتَمَنَكَ، وَلا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ»(1).





ونحن عندما نتحدث عن الالتزام بالعهود فإننا لا نعني فقط المعاهدات الرسمية، فالعهد يشمل كل الأمور التي يقطعها الإنسان على نفسه أمام الآخرين، كعهد الزوجين لبعضهما البعض في بداية حياتهما الزوجية، وعهد رب العمل لعماله قبل أن ينجزوا العمل المطلوب، وعهد الموظف لمديره باحترام العمل واتقانه، وعهد الأصدقاء لبعضهم البعض باللقاء في ساعة زمنية محددة، والسؤال هنا: هل نحرص على الالتزام بعهودنا؟

ولإدراك خطورة عدم الوفاء بالعهود، يكفينا فقط أن نقرأ بعض ما جاء في هذا الأمر في الكتاب والسنة:

يقول الله تعالى في كتابه الكريم:

﴿ وَأَوْفُواْ مِسَهِ لِهَ اللَّهِ إِذَا عَهَدَتُّمُ وَلَا نَقْضُوا الْأَبْنَنَ بَمَّدَ وَخِيدِهَا وَفَدْ جَمَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمُ مُكَيْلًا إِنَّالِلَّهُ يَمْلُمُ مَا تَفْعَلُونَ ۞ (11).

في حين يوضح الرسول صَلَّاتَلَنَاتَدَهُوَعُالِّهِيَسَةُ أَنْ إِخْلَافَ الوعد يُعد من علامات المنافقين:

⁽¹⁾ سورة النحل الأية 91.



«آيةُ المنافِق ثلاثٌ: إذا حدَّثَ كذَبَ، وإذا وعَدَ أخلَفَ، وإذا اؤتُمِنَ خان¹⁰⁾.

وحتى في أوقات الحروب، فإن الرسول صَّأَتَتَنَكِيوَعَّالِهِوَسَدُّ كان يحذر الأمراء والجنود من الغدر، وكان إذا أرسل جيشًا أو سريةً أوصى الجنود بعدة وصايا، كان من بينها:

«ولا تَغُلُّوا ولا تغدِروا ولا تُمَثَّلوا ولا تقتلوا وليدًا»(2).

ولم يكتفِ الرسول صَلَّ الشَّيْدَوَ اللَّهِ التحذير من الغدر بالمسالمين من غير المسلمين، بل شمل هذا التحذير أيضًا كل من حصل منهم على عهد بالأمان من قبل المسلمين، حتى المقاتلين منهم، ويشمل هذا الأمر بطبيعة الحال المواطنين من غير المسلمين الذين يعيشون في بلدانهم ذات الأغلبية المسلمة، ويشمل أيضًا الأجانب من غير المسلمين، سواء كانوا من الذين يعيش المسلم معهم بأمان ضمن عهد اجتماعي في بلدان



⁽¹⁾ رواه البخاري ومسلم.

⁽²⁾ صحيح مسلم.

غير مسلمة، أو كانوا من الأجانب المستأمنين في بلاد المسلمين، فهؤلاء لم يدخلوها إلا بإذن، وهذا في حد ذاته عهد بالأمان، فلا يجوز الاعتداء عليهم، لا بالقتل المباشر، ولا بالتفجيرات، ولا بالسرقة، ولا بأي نوع من الاعتداءات التي حرمها الإسلام، فدماؤهم وأموالهم معصومة، والمتعرض لهم إنما يعرض نفسه لخطر البعد الكبير عن الجنة الذي حذر الرسول مَنَاتَهُ عَيْمَ عَيْمَ المَنْ منه في الحديث الصحيح الذي رواه الإمام البخاري:

"هَنْ قَتَلَ مُمَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُّ مِنْ مَسِيرَةَ أَرْبَعِينَ عَامًا» ⁽¹⁾.

ولم يكتفِ الرسول صَّالتَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَّالِهُ وَعَلَى الصحابه عن الغدر، بل أثبت شخصيًا بشكل عملي التزامه بالعهود التي عقدها مع الآخرين، حتى تلك العهود التي قد يرى البعض في بنودها إجحافًا في حق المسلمين، ففي صلح الحديبية الذي



⁽¹⁾ صحيح البخاري.

عقده الرسول صَلَّقَهُ عَيَّهُ وَعَالِّهُ وَسَلَّمَ مع مشركي قريش في العام 6 للهجرة الموافق 627 للميلاد، اشترطت قريش على الرسول صَلَّقَتَيْهُ وَعَلَّالِهُ وَسَلَّم يَخْرِج إلِيه من مكة بعد عقد الاتفاق، ويوضح الصحابي أنس بن مالك رَحَيَّقَهُ مَا جرى لحظة كتابة الصلح الذي كتبه الصحابي علي بن أبي طالب لحظة كتابة الصلح الذي كتبه الصحابي علي بن أبي طالب

«أن قريشًا صالحوا النبي صَأَلَتُهُ عَلَيهِ وَعَالِهِ وَسَلَّم، فيهم سهيل بن عمرو، فقال النبي صَأَلِتَهُ عَلَيْهِ وَعَالَالِهِ رَسَلَمَ لعلى: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم، قال سهيل: أما باسم الله فما ندرى ما بسم الله الرحمن الرحيم، ولكن اكتب ما نعرف باسمك اللهم، فقال (الرسول صَأَلِقَا عَلَيْهِ وَعَالِهِ وَسَلَّمَ): اكتب من محمد رسول الله، قالوا: لو علمنا أنك رسول الله لاتبعناك! ولكن اكتب اسمك واسم أبيك، فقال النبي صَلَاتَهُ عَلَيْهِ وَعَلَالِهِ وَسَلَّمَ: اكتب من محمد بن عبد الله، فاشترطوا على النبى صَأَلِقَهُ عَلَيْهِ وَعَلَا لِهِ وَسَلَّةَ أَن من جاء منكم لم نوده عليكم، ومن جاءكم منا رددتموه علينا، فقالوا يا رسول وبالفعل، رفض الرسول صَّلَاتَهُ عَلِيهُ وَعَالِدُوتَكُمُ استقبال من جاءه من المسلمين من مكة وفاءً منه بالعهد، رخم شدة ذلك الأمر على قلبه وقلوب أصحابه، ولكن هؤلاء المسلمين المكيين



خرجوا من مكة، واستقروا في منطقة قطعوا من خلالها طريق تجارة قريش بين مكة وبلاد الشام، الأمر الذي دفع قريشًا إلى اللجوء للرسول صَلَّاتَنَا عَدَى اللهِ عَلَيْنَا بِالغاء هذا البند المجحف الذي اشترطوه هم من قبل، وناشدت الرسول



⁽¹⁾ صحيح مسلم.

صَّلَةُ عَنِّهُ وَاللَّهُ أَنْ يسمح لهو لاء المسلمين بالإقامة في المدينة، فوافق الرسول صَّالِلَةُ عَنِّهُ وَعَلَّالِهُ وَسَالًا المضطهدين في مدينته.

ولكن... لماذا كان الرسول صَلَّ اللَّهُ عَلَيْوَ عَلَيْهُ وَمَا اللَّهُ عَلَى على عقد صلح مع كفار قريش؟ وما الشيء الذي قام به مباشرة بعد عقد الصلح؟ وما حكاية رسائله إلى ملوك العالم؟ وما هي القصة العجيبة التي حدثت مع إمبراطور الإمبراطورية الرومانية البيزنطية عندما وصلته رسالة الرسول صَلَّ المَّنَّ عَلَيْهُ وَعَلَيْهُ وَمَا لَهُ السول صَلَّ المَّنْ عَلَيْهُ وَمَا المَّاسِول صَلْ المَّاسِلَة اللَّهِ تميز بها الرسول صَلَّ المَّنَّ عَلَيْهُ وَمَا المَّاسُول عَلَيْهُ وَمَا الرسول مَلْ المَّاسِل مَلْ المَراطور الإمبراطور الإمبراطور الإمبراطور المرمالة الرسالة؟

يتبع...

क्ष्र∳ख



﴿ يَكَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ مَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَمَّالِمَتَندِقِينَ ﴾ (١)

في يوم من الأيام، اجتمع زعماء قريش في مجلس من مجالسهم يتناقشون أمر الرسول سَلِّاتَتْنَيْبَرَعْ الدِيَّرَةُ، فقام أحد زعماء قريش واسمه النضر بن الحارث، فقال لهم:

"با معشر قريش، إنه والله قد نزل بكم أمر ما أتبتم له بحيلة بعد، قد كان محمد فبكم غلامًا حدثًا أرضاكم فيكم، وأصدقكم حديثًا، وأعظمكم أمانة، حتى إذا رأيتم في صدفيه الشبب، وجاءكم بما جاءكم به، قلتم ساحر، لا والله ما هو بساحر، لقد رأينا السحرة ونفثهم وعقدهم، وقلتم كاهن، لا والله ما هو بكاهن، قد رأينا الكهنة

(1) سورة التوبة الآية 119.



وتخالجهم وسمعنا سجعهم، وقلتم شاعر، لا والله ما هو بشاعر، قد رأينا الشعر، وسمعنا أصنافه كلها، هزجه ورجزه، وقلتم مجنون، لا والله ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون قما هو بخنقه، ولا وسوسته، ولا تخليطه، يا معشر قريش، فانظروا في شأنكم، فإنه والله لقد نزل بكسم أمر عظيم!».

كان الرسول صَّالِقَاتَكَ وَوَالْهِرَسَةُ مَسْهُورًا فِي مَكة بصدقه وأمانته، وكان قومه يلقبونه بالصادق وبالأمين لأنهم لم يعهدوا عليه كذبًا قط، فلما بُعث بدين الإسلام، كان من السهل معرفة صدقه في دعوته، ولكن كثيرًا منهم كذبوه واتهموه بتهم كثيرة، على الرغم من أن أغلبهم كان يدرك في قرارة نفسه أنه صادق، ولكن الكبر الذي ملاً قلوبهم منعهم من تصديقه.

وقد حرص الرسول صَّالَقَهُ عَلَيْهَ وَاللَّهِ عَلَى ترسيخ مبدأ الصدق لدى المسلمين، وقد كان لصدق الصحابة والتابعين والمسلمين من بعدهم أشر كبير في نشر الإسلام في العالم، فالناس بفطرتهم تحب التعامل مع الإنسان الصادق، وتتقبل

~(§)~

الاستماع إلى دعوته، على عكس الكاذب الذي ينفر الناس منه ومن أحاديثه، لذلك فإن الإسلام انتشر في أكبر دولة مسلمة وهي إندونيسيا وغيرها من الدول الآسيوية والأفريقية نتيجة لتعامل سكان تلك المناطق مع التجار المسلمين، الذين تعلموا من مدرسة محمد صَالِمَتُهُ عَلَيهِ وَعَالِ آلِهِ وَسَالَة معنى أَن يكون الإنسان صادقًا في جميع تعاملاته، على عكس بعض المسلمين في هذا الزمان للأسف، الذين يعكسون بكذبهم وتعاملاتهم السيئة مع الناس صورة سلبية عن الإسلام والمسلمين، على عكس الصورة الحقيقية للإسلام التي يعتبر فيه الصدق من أهم ركائزها، وهو الأمر الذي أوضحه رسول الإسلام محمد

صَّأَلْتَنْعَبُوعَا البَوْسَلَةِ فِي أحاديث عديدة، فقال صَّأَلْتَنَعَيَهُ وَعِيْ الْحَرْسَلَةِ: «عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البَّر، وإن البَّر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقًا. وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى

وللصدق أهمية كبيرة يغفل الكثيرون عن التحدث عنها، فأغلب من يتحدثون عن الصدق والكذب يركزون على تأثير فأغلب من يتحدثون عن الصدق والكذب يركزون على تأثير ذلك على المجتمع والتعاملات الإنسانية بين الناس، ولكنهم ينسون أهمية الصدق على نفسية الإنسان نفسه، فالإنسان الصادق يعيش في طمأنينة عجيبة لا يدرك روعتها الإنسان الكاذب الذي يعيش حياته في شك وريبة وخوف، هذا الأمر التفات إليه الرسول سَيَّاتُنَعَيْرَعَيَّالِوَسَكَّمَ بذكاء في أحد أحاديثه:

«دعْ ما يُريبُكَ إلى ما لا يُريبُكَ، فإنَّ الصدقَ طُمأنينةٌ، وإنَّ الكذبَ رِيبَةٌ»(2).

وقد كانست صفة الصدق التي اتصف بها الرسول صَّالِقَهُ عَيْدَيُّ اللِّهِ مِن بين الأشياء المهمة التي استفسر عنها عظيم الروم عندما وصلته رسالة الرسول صَّالِّتُهُ عَلَيْدَ عَيْلَادِيَّ التي

⁽²⁾ حديث صحيح رواه الترمذي.



⁽¹⁾ صحيح مسلم.

يدعوه فيها إلى الإسلام، فبعد أن وضعت الحرب أوزارها بين قريش والمسلمين نتيجة للهدنة التي نتجت عن صلح الحديبية، تفرغ أهل مكة لتجارتهم، فخرجت قافلة تجارية من مكة إلى الشام، بينما تفرغ الرسول صَأَلِتَهُ عَلَيهِ وَعَلَالِهِ وَسَلَّمُ أَخيرًا لنشر دعوته العالمية في أنحاء الأرض، بعد سنوات طويلة من محاربة قريش له وصده عن دعوة الناس، فشكل الرمسول صَأَلَتُهُ عَلَيْهِ وَعَالَاهِ وَسَلَّمَ مباشرة بعد الحديبية فريقًا دبلوماسيًا رفيع المستوى للتواصل مع العالم الخارجي، وأرسل عدة رسائل إلى ملوك وقادة العالم يدعوهم بها إلى الإسلام، وكان أحد هؤلاء القادة هو هرقل عظيم الروم.

وهرقل هو الاسم المختصر لفلافيوس هرقل أغسطس «Flavius Heracles Augustus» إمبراطور الإمبراطورية الرومانية البيزنطية، وهي الإمبراطورية التي كانت تتنافس مع الإمبراطورية الفارسية الساسانية بهدف السيطرة على أراضي العالم القديم، وهرقل الذي ينتمي لأصول أرمنية ذات مكانة دينية رفيعة كان قبل جلوسه على كرسي الإمبراطورية يساعد أباه الذي كان واليًا للرومان على تونس، وفي ذلك الوقت كانت الإمبراطورية الرومانية تمر بمرحلة ضعف بعد مقتل الإمبراطور موريس «Maurice» عام 602م، فدبت الفوضي والانقسام بين الروم، واستغل الفرس الساسانيون هذه الفرصة للانقضاض على الرومان في محاولة لاسترجاع أمجاد الإمبراطورية الفارسية الأخمينية السابقة، وتمكن إمبراطور الفيرس كسيري الشاني «Khosrow II» عيام 608م مين التوغيل بجيوشه داخل أراضي الروم حتى وصل إلى الجانب الآسيوي المقابل لعاصمة الإمراطورية الرومانية الحصينة القسطنطينية، وفي نفس الوقت تقدمت قبائل الآفار والسلاف المتحالفين مع الفرس في البلقان لتطوق القسطنطينية من الجانب الأوروبي، وغزت جيوش تلك القبائل كذلك عامة البلقان حتى وصلت إلى حدود أثينا، وبدا أن الإمبراطورية الرومانية البيزنطية في طريقها إلى الدمار النهائي!

في تلك اللحظة، تحرك والدهرقل حاكم تونس الروماني، الذي كان اسمه هرقل الأكبر "Heraclius the Elder"، وفي محاولة •



أخيرة لإنقاذ الإمراطورية من السقوط، أعلن هرقل الأكبر تخليه عن دعم الإمبراطور الروماني الضعيف فوكساس «Phocas»، وأرسل ابنه هرقل لمهاجمة العاصمة القسطنطينية، واستطاع هرقل بالفعل إزاحة الإمبراطور فوكاس وقتله وتنصيب نفسه إمبراطورًا جديدًا للرومان عام 10 6م، ليقود بعدها الحرب ضد الفرس، الـذين واصـلوا انتصـاراتهم على الرومـان رغـم وجـود الإمراطور الجديد، فتمكن الفرس بقيادة كسرى الثاني من تحقيق انتصارات كبيرة على الروم، توجوها بالاستيلاء على إيلياء القدس «بيت المقدس» عام 14 6م، ودمر الفرس كنيسة القيامة، واستولوا على الصليب المقدس (الذي يعتقد النصاري أن عيسي عَلَيْهِالسَّلَامْ صُلب عليه)، ونقلوه الى عاصمتهم المدائن، ثم تقدم الفرس إلى مصر، فسقطت الإسكندرية في أيديهم سنة 19 6م، وترتب على ذلك انقطاع القمح عن القسطنطينية وازدياد سوء الأحوال الاقتصادية، ثم واصل كسرى انتصاراته العسكرية على الروم، واستطاع الفرس بذلك الوصول إلى أغلب حدود الإمبراطورية الأخمينية القديمة، فانهارت معنويات الروم بشكل

كبير، واشتعل الصراع الداخلي بينهم من جديد، وأصبحت مسألة سقوط الإمبراطورية الرومانية البيزنطية عند كثير من المراقبين مجرد مسألة وقت!

في نفس ذلك الوقت، ولكن في مكان آخر، وبالتحديد في جزيرة العرب، كانت أخبار انتصارات الإمبراطورية الفارسية الساسانية على الإمبراطورية الرومانية البيزنطية تصل إلى أهل مكة، فأخذ مشركو قريش يسخرون من المسلمين ويشمتون بهم بسبب هزائم الرومان المتتالية، فقد كان المشركون يحبون أن يظهر أهل فارس على الروم لأنهم وإياهم يعبدون الأوثان، فقد كان الفرس يدينون بالديانية الزرادشتية، المعروفية عند العرب بالديانة المجوسية، وهي ديانة فارسية قائمة على عبادة «أهورا مزدا» «Ahura Mazda» إله النور عند الفرس، لذلك كانوا الفرس يقدسون الشمس والنار التي يرون أن إلههم يتجلى في ضوئها، بينما كان الدين الرسمي للروم هـو النصـرانية، أي أنهـم كانوا أهل كتاب، وهم بذلك أقرب للمسلمين من الفرس المجوس، فقال مشركو قريش للمسلمين:

"إنكم أهل كتاب والنصارى أهل كتاب، ونحن مراد)

فأخبر أبو بكر الصديق وَخَالِقَاعَنهُ الرسول صَأَلِقَاعَلَيْهِ وَعَالِلْهِ وَسَلَّمَ بهذا الأمر، فأخبره الرسول صَالِمَتَهُ عَلَيْهِ وَعَالِآلِهِ وَسَلَّة بأن الحرب ستنتهى في نهاية الأمر لصالح الروم، وقال له: «أما إنهم سيغلبون(⁽²⁾»، فذكر أبو بكر رَسِيَالِلَهُ عَنهُ هذه البشارة النبوية لهم، فقالوا له: «اجعل بيننا وبينك أجلًا فإن ظهرنا كان لنا كذا وكذا، وإن ظهرتم كان لكم كذا وكذا، فحدد أبو بكر رَجَالِشَهَنهُ مدة خمس سنين كموعد لانتصار الروم وظهورهم، ولكن الروم لم يظهروا في هذه المدة، فجاء المسلمون للرسول صَلَاتِنْهُ عَلَيْهِ وَعَلَا آلِهِ وَسَلَّمَ بِخصوص هذا الأمر، فحدد الرسول صَلَّاتَتُهُ عَلَيْهِ وَعَالَالِهِ وَسَلَّمَ مدة الأجل بتسع سنوات كحد أقصى، وقد كان تحديد الرسول صَاَلِقَهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لموعد محدد بمدة زمنية قصيرة يمثل تحديًا كبيرًا للكفار الذين يكذبون دعوته، لا سيما أن كل المعطيات على الأرض كانت تشير إلى رجحان كفة الفرس في هذه الحرب التي بدت في ذلك

⁽²⁾ رواه الترمذي في سننه.



⁽¹⁾ الواحدي النيسابوري، أسباب النزول.

الوقت محسومة لصالحهم، وزاد من هذا التحدي نزول سورة الروم في تلك الأثناء، ففي هذه السورة المكية يؤكد الله سبحانه وتعالى أن الروم سيخلبون في بضع سنين، أي في تسع سنوات كحد أقصى، ليس ذلك فحسب، بل أخبر الله سبحانه وتعالى في كتابه المعجز أن وقت غلبة الروم سيتزامن مع نصر لله يفرح به المؤمنون:

وصار الكفار يتابعون أخبار انتصارات الفرس على الروم ويترقبون انتهاء مدة الأجل لكي يثبتوا للعالم بأسره كذب رسول الله سَيَّاتَنَكِيْوَكَا الْمِيَّامَةِ.

ولكن... وقبل انتهاء مدة الأجل... حدث أمر عجيب!

⁽¹⁾ سورة الروم، الآيات 1 –5.

ففي عام 624م، وبينما كانت الإمبراطورية الرومانية على وشك السقوط بعد احتلال الفرس لأغلب أراضي الإمبراطوريية في الأناضول والشيام ومصير، قيام الإمبراطيور الروماني هرقل بمناورة عسكرية خطيرة لم يتوقعها أحد، فبدلًا من أن يتوجه بجيوشه لمواجهة الفرس لتحرير الأراضي التي انتزعوها منه، تـرك هرقـل هـذه الأراضـي تحـت الاحـتلال الفارسي وتوجه بجيشه مباشرة إلى عقر دار الفرس، واستطاع الالتفاف حول بلاد فارس لاقتحامها من شمالها عن طريق الإبحار من البحر الأسود والمسير عبر أرمينيا وأذربيجان للولوج من هناك إلى الداخل الفارسي، فاستطاع هرقل بهذه المناورة الذكية الانتصار على الفرس في معركة فاصلة في هذه الأرض، وقيام بعدها بتدمير أحد أكبر وأشهر معابد النيار للمجوس على الإطلاق، وهو المعبد المجوسي المعروف بـ «آذركشنسيب» «Adur Gushnasp» وتعنيى بالفارسية «نيار المحاربين»، وقد قام هرقل بتدمير هذا المعبد المجوسي الضخم انتقامًا من الفرس المجوس الذين دمروا كنيسة القيامة قبل ذلك بسنوات قليلة.



وبعد هذا النصر الكبير للروم، قاد الإمبراطور هرقل بنفسه جيوش الإمبراطورية الرومانية للانتصار على الفرس في معارك متتالية، حتى جاء يوم 12 ديسمبر 627م، وهو يوم انتصار الروم على الفرس في معركة نينوي «Battle of Nineveh»، وهي المعركة الفاصلة التي تمكن فيها هرقل من هزيمة الفرس شر هزيمة، وحاصر عاصمة الإمراطورية الفارسية «قطسيفون» «Ctesiphon»، المعروفة لدى العرب باسم «المدائن»، وأثناء حصار الروم لعاصمة الفرس، ونتيجة للهزائم المذلـة التي لحقت بهم، قام أحد أبناء الإمبراطور كسرى الثاني واسمه قباد الثاني(1) «Kavadh III» بالانقلاب على أبيه، وبعدها قتل أباه

(1) قباد الثاني يُسمى أيضًا اشيرويه؟.

كسرى الثاني(١) وثمانية عشر من إخوته، ثم أعلن قباد الثاني قبوله بكل الشروط المذلة التي اشترطها هرقل عليهم ليقبل بوقف الحرب والرجوع عن عاصمتهم، وكانت هذه الشروط تقضى بانسحاب الفرس إلى حدود ما قبل الحرب الفارسية الرومانية الأولى، وإطلاق سراح جميع الأسرى، وإرجاع الصليب المقدس لعهدة الدولة البيزنطية في القدس، وبذلك تكون تلك الحرب المعروف بالحرب الساسانية-البيزنطية⁽²⁾، والتي امتدت بين عامي 602–628 ميلاديًا، قد انتهت بغلبة الروم وظهورهم على الفرس تمامًا كما أخبر بذلك الله ورسوله صَلَّاتَهُ عَلَيْهِ وَعَلَالِهِ وَسَلَّمَ منذ بضع سنوات، لتكون نتيجة

~ ~

⁽¹⁾ قبل هذه الهزيمة المذلة لكسرى الثاني ونهايته بداه الطريقة البشعة قام كسرى بتمزيق رسالة رسول الله مؤلفانه وفاله وترك فدعا عليه الرسول مؤلفانه بنواه رسق . جاء في صحيح البخاري: «أنَّ رسول الله مؤلفانه وهوته رسل بكتابه إلى كسرى، فأمره أن يدفقه إلى عظيم البحرين، يدفعه عظيمُ البحرين إلى كسرى، فلما قرأه كيسرى مزَّقهُ فحسبتُ أنَّ ابنَ المسيبِ قال: فدعا عليهم رسولُ الله مُؤلفانية بنوالهوته:
(أن يُمزِّقوا كلَّ معرق)».

⁽²⁾ الساسانية: نسبة للعائلة المالكة في فارس، والبيزنطية: نسبة لمدينة «بيزنطة» الأثرية التي بنيت على أتقاضها مدينة الفسطنطينية «إسطنبول» عاصمة الإمبراطورية الوومانية.

هذه الحرب دلالـة على صـدق رسـول الله صَالِّتُهُ عَلَيْهُ وَسَالِهُ مَا اللهُ صَالِّتُهُ عَلَيْهِ وَسَالَةٍ وإعجاز كتابه الكريم.

﴿ الدِّنَ كَا لِكَتِهِ الرَّوْمُ ﴿ فَ الذَّنَ الأَوْمِنُ وَهُمْ مِنَ المَّدَّ الْأَوْمِنُ وَهُمْ مِنَ المَّدَّ فَلَيْ مِنْ المَّذِينَ اللَّهُ الْمَوْمِنُ اللَّهُ الْمُؤْمِنُ اللَّهُ الْمُؤْمِنُ اللَّهُ يَنْصُرُ مَن يَسَانُهُ الْمُؤْمِنُ الْمُؤْمِنُ ﴿ اللَّهُ مِنْكُ أَنْ مِنْكُ أَنْ مِنْكُ أَنْ مَنْكُ المَّوْمِنُ ﴿ اللَّهُ مِنْكُ الْمُؤْمِنُ ﴿ اللَّهُ مِنْكُ اللَّهُ اللَّهُ مِنْكُ اللَّهُ اللْمُنْ الْمُنْ الْمُنْعُلِيلُولُ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْ

ولكن ما هو ذلك النصر بالتحديد الذي فرح بـه المؤمنون وفقًا لهذه الآيات؟

لقد توافقت سنة 224م وهي سنة أول انتصار كبير للروم على الفرس مع السنة التي تحقق فيها أول انتصار كبير للمسلمين على كفار مكة، فغزوة بدر الكبرى والتي فرح المؤمنون بنصر الله فيها وقعا في نفس السنة 224م، بينما كانت سنة 227م هي نفس السنة التي وقعت فيها أحداث معركة نينوى الفاصلة، وأحداث صلح الحديبية، الصلح الذي كان

⁽¹⁾ سورة الروم، الآيات 1-5.

لحظة مفصلية في تاريخ الإسلام، والذي كان بلا شك نصرًا من الله وفتحًا مبينًا: ﴿ إِنَّا فَتَحَنَّا لَكَ فَتُحَامُّهِينًا ﴾ (١)، ويحتمل أن يكون أحد هذين النصرين هو النصر المقصود بالآية، ويحتمل أن يكون المقصود هو فرح المؤمنين بانتصارات الروم التي قدرها الله لهم، وهو سبحانه ينصر من يشاء من عباده، ويحتمل أن تكون هذه الاحتمالات مجتمعة هي المقصود بالآية، الله أعلم بذلك، ولكني حرصت على ذكر الخلفيات التاريخية لحرب الروم والفرس التي تزامنت مع بعثة الرسول صَّالِللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَالِهِ وَسَلَّمَ هذا الشكل المفصل، لأنني وجدت اختلافًا عند المفسرين رحمهم الله في تحديدهم للنصر المقصود في هذه الآيات، دون أن أجد كتابًا صدر قديمًا أو حديثًا -حسب علمي- تطرق بشكل مفصل لأحداث وتواريخ المعارك التي وقعت إبان حرب الفرس والروم وعلاقة ذلك كله بأحداث السيرة النبوية، فقررت أن أكتب هذه السطور وأضيف هذه المعلومات، لعلها تكون إضافة جديدة يستفيد منها طلبة العلم المهتمين بدراسة السيرة، ولعلها تكون إثباتًا تاريخيًا جديدًا لمصداقية رسول الله

⁽¹⁾ سورة الفتح الآية 1.

صَّأَلَتُنَكِيْنَةُ لِلْهِوْمَتُلَةُ وإعجاز القرآن الكريم فيما يتعلق بحرب الفرس والروم.

ولكن ماذا حصل بعد انتصار الروم على الفرس؟

دخلت الإمبراطورية الفارسية في طور من الضعف والتشرذم والتمزق، وتعاقب على كرسي الإمبراطورية عدة ملوك وملكات لم تدم فترة حكمهم إلا لفترات قصيرة جدًا، حتى تم تنصيب يز دجر د الثالث «Yazdegerd III» بمباركة من هر قل كإمبراطور على الفرس، وفي عهده تمكن أصحاب محمد صَأَلِتَهُ عَلَيْهِ وَعَا الْهِ وَسَلَّمَ من هزيمة الفرس المجوس ودخول عاصمتهم المداثن التي لم يتمكن هرقل سابقًا من دخولها، قبل أن ينهى المسلمون إمبراطورية فارس المجوسية إلى الأبد في زمن صاحب رسول الله صَالَّاتَهُ عَلَيْهُ وَعَلَّالِهِ وَسَلَّمَ الفاروق عمر بن الخطاب رَعِيَاللَّهُ عَنهُ، وذلك أعقاب معركة نهاونـد الفاصلة (Battle of Nahayand)



أما الروم فبعد انتصارهم الكبير في معركة نينوى نهاية سنة و25م، وتمكن إمبراطورهم هرقل من استرداد أراضي الإمبراطورية واستعادة الصليب المقدس من الفرس، أصبح هرقل بطلا قوميًا ودينيًا لدى الشعب الروماني، وقرر أن يحج إلى القدس ماشيًا على قدميه لكي يشكر ربه على الانتصار، فصادف وجوده في القدس وصول رسالة رسول الله على الأنت من قوم رسول الله من الله على المناس من قوم رسول الله أناسٌ من قوم رسول الله أناسٌ من قوم رسول الله إلى الذات كان ما يزال كافرًا في ذلك الوقت، كان ما وحودًا

في مدينة غزة الفلسطينية في تجارة لقريش، ولنستمع إلى أبي سفيان يَوْلِيَقِيَة لكي يروي لنا ما جرى في تلك الأثناء:

انطلقت في المدة (1) التي كانت بيني وبين رسول الله سَرَّ اللَّهُ عَلَيْهِ وَاللَّهِ عَبِينا أَنَا بِالشَّام، إذ جيء بكتاب من رسول الله سَرَّ اللَّهُ عَلَيْهِ وَاللَّهِ عَلَى هِ وَلَى وَلَى اللَّهِ اللَّهِ عَلَيْهِ اللَّهِ عَلَيْهِ فَلَهُ فلا عظيم بصرى (3) فلا فعه عظيم بصرى إلى هرقل، فقال هرقل: هل هاهنا أحد من قوم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ قالوا: نِعم. فلا عيت في نفر من قريش، فلخلنا على هرقل، فأجلسنا بين يديه، فقال أيكم أقرب نسبًا من هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ فقلت: أنا. (4) فأجلسوني بين يديه، وأجلسوا

(4) الأمويون الذين يتمي إليهم الرسفيان بين حرب رضي الله عنه هم أبناء عمومة الهاشميين الذين يتمي إليهم الرسول طالفتندوالافتئاء وهم جميعًا ينتمون لعشيرة عبد مناف، فجد الأمويين عبد شمس بن عبد مناف، هو الأخ التوام لهاشم بن عبد مناف هو الأخ التوام لهاشم بن عبد



⁽¹⁾ يقصد بالمدة: الهدنة التي نتجت عن صلح الحديبية.

⁽²⁾ دحية الكلبي: هو الصحابي الجليل دحية بن خليفة الكلبي رضي الله عنه، اشتهر إضافة إلى رجاحة العقل بوسامته، وكان يضرب به المثل في جمال الوجه وحسن الصورة، وكان الملك جبريل عليه السلام يأتي على صورته.

⁽³⁾ عظيم بصرى: هو ملك مملكة الغساسنة التابعة للإمبراطورية الرومانية، وكان بمثابة والي الروم على الشام، كانت عاصمتهم مدينة بصرى الشام.

أصحابي خلفي، ثم دعا بترجمانه، فقال له: قل لهم إني سائل هذا عن الرجل الذي يزعم أنه نبي، فإن كَذَبَني فكذّبوه.

يعلق أبو سفيان رَوَّقَهَءُ على هـ ذا الأمر: وايـم الله لـولا مخافة أن يؤثر على الكذب لكذبت!

وفي رواية أخرى:

فلقد عرفت أني لو كذبت ما ردوا علي، ولكني كنت امرءا سيدا أتكرم وأستحي من الكذب، وعرفت أن أدنى ما يكون في ذلك أن يرووه عني، ثم يتحدثونه عني بمكة فلم أكذبه(١) .

> ثم قال هرقل لترجمانه: سله كيف حسبه فيكم؟ قلت: هو فينا ذو حسب.

> > قال: فهل كان من آبائه ملك؟

قلت: لا.

قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟

 ⁽¹⁾ كان عرب الجاهلية يأنفون من الكذب ويعتبرونه ضعفًا لا ينبغي للسادة أن يُعرفوا به.



قلت: لا.

قال: ومن يتبعه أشراف الناس أم ضعفاؤهم؟

قلت بل ضعفاؤهم.

قال: أيزيدون أم ينقصون؟

قلت: لا بل يزيدون.

قال: هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخل فيه سمخطة له؟

قلت: لا.

قال: فهل قاتلتموه؟

قلت: نعم.

قال: فكيف كان قتالكم إياه؟

قلت: تكون الحرب بيننا وبينه سجالًا، يصيب منا ونصيب

منه.

قال: فهل يغدر؟

قلت: لا ونحن منه في مدة لا ندري ما هو صانع فيها.

يعلق أبو سفيان رَهِيَّهُ عَنْ جوابه الأخير بقوله: فوالله ما أمكنني من كلمة أدخل فيها شيئا غير هذه! (١).

قال هرقل: فهل قال هذا القول أحد قبله؟

قلت: لا.

فقال هرقل لترجمانه: قل له إني سألنك عن حسبه فزعمت أنه فيكم ذو حسب، وكذلك الرسل تبعث في أحساب قومها. وسألنك هل كان في آبائه ملك، فزعمت أن لا، فقلت لو كان من آبائه ملك قلت رجل يطلب ملك آبائه. وسألتك عن أتباعه أضعفاؤهم، وهم أتباع الرسل. وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال، فزعمت أن لا، فقد عرفت أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس ثم يذهب فيكذب على الناس ثم يذهب فيكذب على الأ وسألنك هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخله سخطة له فزعمت أن لا وكذلك الإيمان إذا خالط بشاشة يدخله سخطة له فزعمت أن لا وكذلك الإيمان إذا خالط بشاشة

⁽¹⁾ كان أبو سفيان رضي الله عنه يحكم كونه كافرًا إفي ذلك الوقت يرغب في ذكر أي شيء مسلبي بحتى الرمسول متألفته في الهوتية، فعماول التشمكيك بوضاء الرمسول متألفته وقراله وتشمل بالمعاهدة، ولكن هذه المقولة لم يعرها هرقل أي اهتمام.

القلوب وسألتك هل يزيدون أو ينقصون فزعمت أنهم يزيدون وكذلك الإيمان حتى يتم وسألتك هل قاتلتموه فزعمت أنكم قد قاتلتموه فتكون الحرب بينكم وبينه سجالا ينال منكم وتنالون منه، وكذلك الرسل تبتلى ثم تكون لهم العاقبة. وسألتك هل يغدر فزعمت أنه لا يغدر، وكذلك الرسل لا تغدر، وسألتك هل قال هذا القول أحد، قبله فزعمت أن لا، فقلت لو قال هذا القول أحد قبله قلت رجل ائتم بقول قبل قبله!

ثم سأل هرقل أبا سفيان رَوْلَيْكَانَة قائلًا: بم يأمركم؟

فأجابه أبو سفيان رَحَهَهَهُهُ: يأمرنا بالصلاة والزكاة والصلة والعفاف.

فقال إمبراطور الروم هرقل: إن يكن ما تقول فيه حقا، فإنه نبي، وقد كنت أعلم أنه خارج، ولم أكن أظنه منكم (1)، ولو أني أعلم أني أخلص إليه لأحببت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه، وليبلغن ملكه ما تحت قدمي!

~(m)~

 ⁽¹⁾ كان هرقل على علم ديني واسع، وقد كان يتوقع خروج نبي آخر الزمان الذي بشرت به الكتب السابقة، ولكن يبدو أنه كان يعتقد أنه سيخرج من بين اليهود.

يكمل أبو سفيان رَجَالِشَة، ما جرى في ذلك اليوم: ثـم دعـا بكتاب رسول الله سَؤَلِمَنْ لَيْدِينَ اللهِ اللهِ اللهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ اللهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَل

من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد:

فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، وإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين⁽¹⁾،

(1) الأريسيين: نسبة للقسيس الليبي الأمازيغي الموحد آربوس الذي ظهر في الإسكندوية نهاية القرن الثالث الميلادي وبداية القرن الرابع الميلادي، وحارب فكرة تأليه المسيح عليه السلام التي تبناها أسقف الإسكندوية في ذلك الوقت، وقد عانى ووقف في وجه مألهي المسيح عليه السلام في مجمع نيقية عام 225، وقد عانى الأرسيون من الإضطهاد والقتل والتعذيب في رمن الإمبر اطورية الرومانية التي كان هرقل إمبراطورية الموافقة التي كان الأهواء والنحل عن آربوس جاء فيه: ووالتصارى فرق منهم أصحاب والأهواء والنحل وكان قسيسا بالإسكندوية، ومن قوله التوحيد المجرد، وأن عيسى عليه السموات والأرض، وأورد السام عبد مخلوق، وأنه كلمة الله تعالى التي بها خلق السموات والأرض، وأورد مسلم البن تيمية في كتابه والمعرات الصحوح لعن يذل دين المسيح، رسالة لرجل مسلم

~®~

و يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئًا ولا يتخذ بعضنا بعضًا أربابًا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون.

يروي أبو سفيان رَمِيَّالِيَّةَـغَـٰهُ ما جرى بعد قراءة رسالة رسول الله صَالِّلَهُمُنِيِّدُوَعِبُالِهِوَسَلَّمَ:

فلما فرغ من قراءة الكتاب، ارتفعت الأصوات عنده، وكثر اللغط، وأمر بنا فأخرجنا، فقلت لأصحابي حين خرجنا: لقد

كان نصرائيا اسمه الحسن بن أيوب، في هذه الرسالة أورد الحسن بعضًا من أسباب إسلامه: ولما نظرت في مقالات النصارى وجدت صنفا منهم يعرفون بالأربوسية يجردون توحيد الله ويعترفون بعودية المسيح عليه السلام و لا يقولون فيه شيئا مما يقوله النصارى من ربويية و لا بنوة خاصة و لا غيرهما وهم متمسكون بإنجيل المسلمين أن الأريسيين هم الفلاحين الذين بعيشون في أراضي الإمبراطورية، والحقيقة أنني لم أجد في المصادر الرومانية أو الغربية ما يشير إلى إطلاق الرومان اسم الأريسيين على الفلاحين، بل على العكس، هناك إجماع من المؤرخين المرافورية الغربين ورجال الكنيسة أن اسم الأريسيين أطلق على أنباع آريوس عبر التاريخ الذين أنكروا عقيدة التليث ومساولة المسيح عليه السلام بالله و قد شرحت حكاية الأرسين بالتفصيل والوثائق الإسلامية والغربية في كتابي "ماتة من عظماء أمة الإسبين بالتفصيل والوثائق الإسلامية والغربية في كتابي "ماتة من عظماء أمة الإسلام غيروا مُجرى التاريخ».

-0¹⁰⁷0-

أمر أمر ابن أبي كبشة (1¹⁾! إنه ليخافه ملك بني الأصفر! فما زلت موقنًا بأمر رسول الله صَّالِثَهُ عَيَّدَةِ اللَّهِ اللَّهِ سَلَّاللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهِ اللهِ سيظهر حتى أدخل الله عليَّ الإسلام.

وبالفعل... أسلم أبو سفيان رَحِيَقَهَ عند فتح مكة، وتحول إلى أحد أبطال الأمة بعد أن فقد عينيه الاثنتين وهو يقاتل في سبيل الله، ولكن كثيرًا من زعماء مكة الذين حاربوا الإسلام من قبل ماتوا قبل أن يسلموا، بعد أن منعهم الكبر عن تصديق دعوة رسول الله مَ الله عَيَاللَّهُ عَلَيْهِ وَ اللهِ عَلَيْهِ وَاللّهِ عَلَيْهِ وَا اللّهِ عَلَيْهِ وَاللّهُ عَلَيْهِ وَعَلّمُ وَاللّهُ عَلَيْهِ اللّهِ عَلَيْهِ وَاللّهِ عَلَيْهِ وَاللّهِ عَلَيْهِ وَعَلْهِ وَاللّهُ عَلَيْهِ وَاللّهُ عَلَيْهِ وَاللّهِ عَلَيْهِ الللّهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ وَاللّهِ عَلَيْهِ وَاللّهِ عَلْهِ عَلَيْهِ وَاللّهِ عَلَيْهِ وَاللّهِ عَلَيْهِ وَاللّهُ عَلَيْهِ وَاللّهِ عَلَيْهِ اللّهِ عَلَيْهِ وَاللّهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ وَاللّهِ عَلَيْهِ وَاللّهِ عَلَيْهِ وَاللّهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ وَاللّهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ وَاللّهِ عَلْهِ عَلْهِ عَلْمَا عَلْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلْمَا عَلْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلْمِيْهِ عَلْمَا عَلْمِ عَلْمَا عَلْمَالْهِ عَلَيْهِ عَلْمَا عَلَيْهِ عَلْمِلْهِ عَلْمَا عَلْم

(1) أبو كبشة: قبل: هو جد الذي متالة نتاية فإلات أمه، وهو والد أمه آمنة واسمه وهب بن عبد مناف بن زهرة. وقبل: هو جد الذي متألفت في المجدة أبيه، وهو والد اسلمي الأنصارية الخزرجية والدة عبد المعلب، وهو ابن عمرو بن زيد بن لبيد المخزي السعدي زوج حليمة التي أرضمت لبيد المخزي السعدي زوج حليمة التي أرضمت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في صغره. وقبل: هو وجزء بن غالب بن عامر بن المحارث بن غيشان الخزاعية، أو وجز بن غالب، وهو من خزاعة قم من بني غيشان الخزاعية، أو وجز بن غالب، تسمية قريش النبي عاقباته، وقبل عن سبب تسمية قريش النبي عائفة في المقاتمة بالمي كبشة: أن مشركي قريش أطلقوا على النبي عائفة في النبي مائفة قريشا أي كبشة حين دعا يال الله وخالف أدبانهم، تشميه لا لإس كبي كبشة حين دعا عام المخالفة المورك، الذي يخرج في شدة الحرك، عند يسبوه إليه للإنسة تراك في مطلق المخالفة، وقبل: إن قريشا كانت تسبب النبي عائفة في علم عبو معروف تحقيزًا له، لأن العرب كانت إذا حقرت عائفة في المعالفة.

~®~

ولكن... كيف كان الرسول صَلَّقَتُهُ عَيْمَ عَلَيْهُ مَتَلَا يَتَحَاور مع زعماء قريش من قبل؟ وما هو الأدب الذي تحلى به رسول الله صَلَّقَتَهُ عَيْمَوَ اللّهِ اللّهِ عَلَيْهِ مَن المسلمين في هذا الزمان؟

يتبع...

80 **¢**03





«أقد فرغت يا أبا الوليـــــد؟»(1)

في يوم من الأيام، وبينما نبي الله محمد ما لله عَلَيْنَ عَلَيْوَ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِ وَمَلَّهُ وَعَلَيْهِ وَمَل جالس في المسجد الحرام وحده، اجتمع سادة قريش في ناديهم يتناقشون في أمر دعوة محمد ما لله تَعْيَدَ وَاللهِ عَلَيْهِ وَمَلْهِ وَقَد زخمًا جديدًا بعد إسلام حمزة بن عبد المطلب وَعَلَيْهَ عَلَى وقد رأى زعماء مكة أن أصحاب محمد ما لله تعيير وقائد يزيدون ويكثرون، فقام كبير بني عبد شمس وأحد وجهاء قريش وزعمائها أبو الوليد عتبة بن ربيعة العبشمي القرشي الكناني، وقال لسادة قريش:

يا معشر قريش، ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أمورا لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء، ويكف عنا؟

(1) السيرة لابن هشام.



فقالوا: بلي يا أبا الوليد، قم إليه وكلمه.

فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله صَّالِتَمُعَلِيَهُوَعَلَالِهِوَسَلَّةِ فقال:

يا ابن أخي، إنك مناحبث قد علمت من السطة (1) في العشيرة والمكان في النسب، وإنك قد أتبت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم، وسفهت به أحلامهم، وعبت به آلهتهم ودينهم، وكفرت به من مضى من آبائهم، فاسمع مني أعرض عليك أمورًا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها.

فقال رسول الله صَلَّالِلهُ عَلَيْهِ وَعَلَى إلهِ وَسَلَّمَ: ﴿ قُلْ يَا أَبَّا الوليد أسمع ﴾.

قال عتبة: يا ابن أخي إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً، جمعنا لك من أموالنا، حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد به شرقًا سودناك علينا، حتى لا نقطع أمرًا دونك، وإن كنت تريد به ملكًا ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئيًا تراه لا تستطيع رده عن نفسك، طلبنا لك الطب، وبذلنا فيه



⁽¹⁾ السطة: الشرف.

أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوي منه.

وبعد أن انتهى عتبة من استعراض كل ما لديه من كلام ورسول الله صَمَّاتُنَعَيَّدَوَعَا الوَسَلَّة يستمع إليه، قسال لــه الرسول صَالِّمَتَعَيِّدَعَظِّالِوَسَلَةُ:

أقد فرغت يا أبا الوليد؟

قال: نعم.

قال: فاسمع مني.

قال: أفعل.

فقال رسول الله صَأَلِللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمُ:

بِنْ ____مِ ٱللَّهِ الرَّحْزَ الرَّجِي __مِ

﴿حَمَّ ﴿ كَانَدِيلٌ مِنَ الرَّحَنِي الرَّعِيدِ ۞ كِنَتُ فُسِلَتْ مَابَئُهُ فُرْمَانًا عَرَبِيًّا لِغَوْمِ بِمَلْمُونَ ۞ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَلْمَوْنَ أَكْتَرُكُمُ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ ۞ وَقَالُوا قُلُوبُنائِ أَكَوْنَ أَكِنَا لِلْمَانِّ إِلَيْهِ وَفِي مَاذَانِنَا وَقُرُّ وَمِنْ

بَيْنِيَا وَيَنِيكِ جِمَاثُ فَأَعْمَلَ إِنَّنَا عَنِيلُونَ ۞ قُلْ إِيِّمَا أَثَا بَشَرُّ وَشَلَكُوْ بُوحَى إِلَىٰ أَنْمَا الِمُكُثُّو اِللَّهُ وَيَشَّدُ فَاسْتَقِيمُونَا إِلَيْهِ وَاسْتَغْهِرُوهُ وَيَقْلُ لِلْلَمُسُرِكِينَ ۞﴾(١).

ثم مضى رسول الله صَالِقَهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ وَعَلَيْهِ وَسَلَّةً بِقَرأَ على عتبة ما جاء في سورة فصلت، بينما ألقى عتبة يديه خلف ظهره معتمدًا عليهما وهو يستمع إلى هذه الآيات، حتى إذا انتهى رسول الله صَالِّفَتُكِيْهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمُ إلى السجدة من هذه السورة، فسجد ثم قال:

قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت، فأنت وذاك.

فرجع عتبة بن ربيعة إلى أصحابه في نادي قريش، فلاحظ سادة مكة أن ملامح وجه عتبة قد تغيرت بعد رجوعه من عند رسول الله سَلِّلْمُثَالِيَوْمَثِلِيْوِسَكِّر، فقال بعضهم لبعض:

نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به! فلما جلس عتبة إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟

قال: وراثي أني قد سمعت قولًا والله ما سمعت مثله قط،

⁽¹⁾ سورة فصلت: الآيات 1-6.



والله ما هو بالشعر، ولا بالسحر، ولا بالكهانة، يا معشر قريش، أطيعوني واجعلوها بي، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم، وعزه عزكم، وكنتم أسعد الناس به.

قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه!

قال عتبة بن ربيعة العبشمي: هذا رأيي فيه، فاصنعوا ما بدا لكم.

الإنسان بطبيعته يرى الأشياء بمرآته الخاصة، بمعنى أن الشيء الواحد قديراه عدة أشخاص بعدة أشكال مختلفة وفقًا لزاوية الرؤية الخاصة بكل واحد فيهم، أو وفقًا للمعلومات المختلفة التي تتوفر لديهم، والتي تمثل انعكاسًا للخبرات المكتسبة التي مربها كل واحد منهم في حياته الخاصة، أو حتى وفقًا للثوابت التي يقدسها كل منهم بسبب بعد عقائدي خاص نابع عن إيمان حقيقي أو موروث ثقافي، لذلك أصبح لزامًا على كل صاحب فكرة أو رسالة يريد نشرها أو توضيحها للآخرين

~~~

أن يبينها لهم بكل أبعادها وتفاصيلها، وهذا ما يتطلب بالضرورة فتح باب للحوار معهم، والحوار لا يعني أن يكون الكلام أحادي الجانب، بل يعني أن يكون هناك أخذ ورد من الجانبين، ولكبي يكون الحوار ناجحًا ينبغي للمتحاورين أن يتحلوا بأدب الإنصات إلى الطرف الآخر، وهذا للأسف ما يفتقده كثير منا في هذه الأيام، فمن منا مستعد أن ينصت إلى الآخر حتى يكمل فكرته؟ ومن منا يصبر على الإهانات التي قد توجه إليه أثناء الحوار حتى لا يغير مسار الحوار الأصلي ويحوله إلى مسألة شخصية؟ بل من منا يقبل من الأساس أن يدخل في حوار مع خصمه؟!

المشكلة التي تواجه كثير منا في هذا الزمان أن أدب الإنصات صار عملة نادرة بيننا، وأن أغلب حواراتنا مع بعضنا البعض تتحول إلى صراع للديكة يريد فيه كل طرف من الأطراف تهميش الطرف الآخر حتى دون أن يترك له فرصة لشرح وجهة نظره، وهذا ناتج لاعتقاد الشخص أن وجهة نظره مقدسة وغير قابلة للنقاش، وأن اجتهاداته في القضايا المختلفة

هي الحقيقة المطلقة التي لا غبار عليها، وأن وجهات النظر الأخرى لا تستحق الاستماع إليها، وحتى لو دخل في حوار مع الآخرين، فإنه يدخله بهدف إثبات فكرته، ليس من أجل الفكرة في حد ذاتها، وليس بهدف الوصول إلى الحق والكلمة السواء، بل من أجل إرضاء غروره الشخصي وإثبات وهمه الذي يعيشه بأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا خلفه، ولكن المتأمل في سيرة سيد بني آدم محمد صَأَلِتَهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّة يجد أنه كان ينتهج أسلوب الحوار مع الجميع، وأنه كان ينصت إلى محاوريه بأدب ويتركهم حتى يكملوا حديثهم إليه، وأنه لم يكن ينصت فقط إلى وجهات النظر المختلفة الصادرة من أصحابه، بل كان ينصت أيضًا إلى خصومه وأعدائه الذين كانوا يصفونه بالكذاب والمجنون والساحر، مع علمه أنه نبي الله، وأن دعوته هي دعوة الحق والهدي، وأنهم كانوا على الباطل والضلال، هـذا كله لـم يمنعه من محاورتهم والإنصات إليهم حتى النهاية، قبل أن يرد عليهم بكل أدب، ويقارع الحجة بالحجة، ويفند الأفكار المغلوطة بالحقائق الثابتة، وفي نهاية الحوار يترك المجال لمحاوريه لاتخاذ قراراتهم الخاصة دون أن يفرضها هو عليهم،

بعد أن يكون قد أوصل رسالته إليهم عن طريق الحوار.

انتهاج رسول الله محمد صَأَلِتَهُ عَلَيْهِ وَعَالِهِ وَسَلَّمَ لأدب الإنصات للآخر المختلف يحتم علينا كمسلمين أن نتعلم منه، فالإنصات للآخرين هو الطريق الأمثل للحوار الناجح، وهذا لا يعني بالضرورة أن الطرف الآخر سيقتنع مباشرة بوجهة نظرك لمجرد أنك أنصت إليه، ولكن الإنصات سيساعدك دون شك علم. فهم ما يريده الطرف الآخر، وبالتالي سيتيح لـك المجـال للتفكير بكلامه إما للاقتناع به أو الردعليه، ومهما كان من يحاورك مستفزًا ويفتقد للمنطق في حواره من وجهة نظرك، تذكر كيف كانت ردة فعل رسول الله صَزَّلتَهُ عَلَيهِ وَعَالَاهِ وَسَأَ استفزازات أبي الوليد أثناء حواره معه، فقد قام ذلك الرجل باتهام الرسول صَأَلِتَهُ عَلَيْهِ وَعَلَى اللهِ وَسَلَّمَ في انتماثه الوطني، واتهمه بأنه يعمل على إثارة الفتنة في مجتمعه، وأنه ينشر أفكارًا فاسدة وغريبة عن ثقافة شعبه، وشكك في قدراته العقلية وفي مسألة الوحى، ليتهمه ضمنًا بأنه كاذب في دعوته، قبل أن يعرض عليه رشوة مباشرة مقابل إيقاف دعوته، كل ذلك والرسول

صَّالِقَمْتَكِيْوَكِلَّ اللهِ وَيَستمع إلى كُلُ هَذَه السخافات بكل هدوء وثبات انفعالي، دون أن يقاطعه ولو لمرة واحدة، ليقول له بعد أن تركه ينتهي من كلامه هذه العبارة التي تحمل كثيرًا من معاني أدب الإنصات:

### «أقد فرغت يا أبا الوليد؟».

ولكن... هل يعني إنصات الإنسان للآخرين أن الاختلاف في وجهات النظر سيختفي مباشرة؟ أم أن اختلاف الأراء يمكن أن يظل قائمًا بالرغم من إنصات بعضنا لبعض؟ وما هي الطريقة التي ينبغي لنا التعامل بها في هذه الحالة؟

يتبع...

જા∳ભ





«قال الشافعي: الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة»<sup>(1)</sup>

بعد انتصار المسلمين في معركة الأحزاب مباشرة، أراد الرسول صَلَّاللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَّالِهِ وَسَلَّمَ أَن يؤدب الخونة من بني قريظة الذين ثبتت عليهم تهمة الخيانة العظمي بتحالفهم مع الأعداء الذين خططوا لغزو المدينة، على الرغم من وجود اتفاقية دفاع مشترك عن المدينة وقعها معهم رسول الله صَأَلَتَهُ عَلَيْهِ وَعَلَالِهِ وَسَلَّمَ فِي السابق، فتوجه الرسول صَلَاتَهُ عَلَيْهِ وَعَلَالِهِ وَسَلَّمَ نحو حصون بني قريظة، وقال لأصحابه: لا يصلين أحدالعصر إلا في بني قريظة، فلبس الصحابة رَمِّوَالِيَّهُ عَنْفُر سلاحهم، وتوجهوا نحو ديار بنبي قريظة، وعندما دخل على بعضهم وقت صلاة العصر دون أن يكونوا قـد وصـلوا ديـارَ بنـي قريظـة، اختلفـوا في أمـرهم، فاعتقـدت

مجموعة أنه وفقًا لما قاله الرسول صَلَّاتَهُ عَلَيْهُ وَعَلَّالِهِ وَسَلَّمَ فإنه لا يجوز لهم أن يصلوا العصر إلا بعد وصولهم إلى هدفهم عند بني قريظة، بينما قال البعض الآخر أن الرسول صَّالِتَهُ عَلَيْهَوَعَلَىٰ الِوَسَلَمُ لَـم يكن يقصد بكلامه ظاهر اللفظ بالنهى عن صلاة العصر إلا في ذلك المكان بالتحديد، وإنما قال ذلك مجازًا لحث الصحابة بسرعة التحرك إلى بنى قريظة، فصلى بعض الصحابة صلاة العصر في وقتها، وأجل بعضهم الصلاة إلى ما بعد مغيب الشمس، فذكر الصحابة بعد ذلك ما حدث معهم في الطريق لرسول الله صَمَّاللَّهُ عَلَيْهِ وَعَايَاتِهِ وَسَلَّم، وصار البعض يترقب أي الفريقين قام بالفعل الصحيح، فكانت ردة فعل الرسول صَأَلِتَهُ عَلَيْهِ وَعَلَالِهِ وَسَأَلِتُهُ عَلَيْهِ وَعَلَا لِلِهِ وَسَلَّم على غير ما توقعه الكثيرون!

ويحكي لنا الصحابي عبدالله بن عمر رَوَيَّشَهَنَا ما جرى بالضبط في ذلك اليوم:

"قال النبي صَلَّالْنَعْنَوْقَالِهِرَسَّةِ يوم الأحزاب: لا يصلين أحد المصر إلا في بني قريظة، فأدرك بعضهم العصر في الطريق، فقال بعضهم لا نصلي حتى نأتيها، وقال



# بعضهم بل نصلي لم يرد منا ذلك، فذكر ذلـك للنبي سَّالِثَنَيَّةِ مِرَثَالِ الْمِرْتَةِ، فلم يعنف واحدًا منهم، (1<sup>)</sup>.

لعل هذه القصة الجميلة التي حدثت في زمن الرسول صَأَلِلَّهُ عَلَيْهِ وَعَالِهِ وَسَلَّمَ من بين أروع القصص التي يمكن للمسلمين الاستفادة منها، فهي توضح لنا درسًا في غاية الأهمية ربما غاب عن كثير منا، فقد اختلف أصحاب محمد صَّالِتَهُ عَنِهُ وَعَلَى الْهِ وَسَلَّمَ باجتهاداتهم في ذلك اليوم، مع الأخذ بعين الاعتبار أنهم كانوا يعيشون في زمن الرسول صَلَّانتَهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إلِهِ وَسَلَّةٍ، وكانوا ينهلون العلم من نفس النبع الصافي، ليس ذلك وحسب، بل إن حديث رسول الله صَلَّاللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَّالِهِ وَسَلَّمَ فِي ذلك اليوم وصلهم مباشرة، أي أنهم كانوا متأكدين يقينًا من صحته، ولكنهم وبالرغم من كل ذلك اختلفوا في تفسيره، والأجمل من ذلك كله أن الرسول صَلَّاتَتُنَكِّنَهِ وَعَلَالِهِ وَسَلَّمَ عندما وصله أمر اختلافهم في معنى حديثه لم يعنف واحدًا من الفريقين، وكأن الله سبحانه وتعالى قدر أن تحدَّث هذه القصة في زمن الصحابة والرسول صَلَاتِهُ عَلَيْهِ عَلَى الْهِ وَسَلَّمَ

(3) صحيح البخاري.



لكي نتعلم منها أن الأختلاف في الاجتهادات الفقهية كان وما زال وسيظل موجودًا بين المسلمين، فإذا كان الصحابة اختلفوا في اجتهاداتهم زمن الرسول صَلَّاتَتُ عَلَيْهِ وَعَلَّالِهِ وَسَلَّمَ، فكيف بمن جاء بعدهم بعدة قرون؟! ونحن هنا عندما نتحدث عن الاختلاف فإننا نعني به الاختلاف السائغ في الأمور التي لم يثبت حكمها بدليل قطعي من كتاب أو سنة أو إجماع، فمن غير المعقول أن يتخذ البعض ما حدث بين الصحابة من اختلاف فقهي في القصة المذكورة لكي يغير المعلوم من الدين بالضرورة، أي أن يغير ثوابت هذا الدين، مثل أن يدعى الاجتهاد في فرضية الصلاة أو عدد ركعاتها، أو فرضية الصوم في شهر رمضان، مثل هذه الأمور لا مجال للاجتهاد فيها لأنها وبكل بساطة أمور ثبتت بالدليل وأجمع المسلمون على حكمها عبر مثات السنين، ولكن ما نقصده هو الاختلاف في الأمور الفرعية الفقهية، فقد اختلف الصحابة في مثل هـ ذه الأمور، واختلف التابعون من بعدهم، واختلف علماء الأمة عبر الأزمنة المختلفة، ولكن من يقرأ ما ورد في كتب التاريخ والسير من كلام أئمة المسلمين عن مخالفيهم في الاجتهادات الفقهية، يجد نفسه أمام أناس في قمة

الأدب والرقي الإنساني في فهمهم لطبيعة الاختلاف في الأراء الفقهية، ونذكر هنا بعض الأمثلة التي توضح هذا الأمر:

قال الصحابي أنس بن مالك رَسِكَالِتَهُ عَنهُ:

«كنا نسافر مع النبي صَّالِتَهُ عَيَّدِينَ الهِ وَسَالَةُ فَلَم يعب الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم»(1).

قال الإمام أحمد بن حنبل رَحَمُاللَّهُ:

«لم يعبر الجسر إلى خراسان مثل إسحاق، وإن كان يخالفنا في أشياء، فإن الناس لم يزل يخالف بعضهم بعضا».

ويضيف: "ولو أنا كلما أخطأ إمام في اجتهاده في أحاد المسائسل خطأ مغفوراً له قمنا عليه وبدعناه وهجرناه لما سلم معنا لا ابسن نصر ولا ابن مندة ولا من هو أكبر منهما، والله هو هادي الخلق إلى الحق وهو أرحسم الراحميسن، فنعسوذ بالله من الهسوى والفظاظة» (2).

قال الإمام الذهبي رَحَنَاتَنَا في ترجمته لبعض من كان يخالفهم

<sup>(2)</sup> سير أعلام النبلاء للذهبي.



<sup>(1)</sup> صحيح البخاري.

### في اجتهاداتهم:

«مازال العلماء يختلفون ويتكلم العالم في العالم باجتهاده، وكل منهم معذور مأجور، ومن عائد أو خرق الإجماع فهو مأزور، وإلى الله ترجع الأمور». «ولو أن كل من أخطأ في اجتهاده مع صحة إيمانه وتوخيه لاتباع الحق أهدرناه ويدعناه لقل من يسلم من الأئمة معنا».

"ثم إن الكبير من أثمة العلم إذا كثر صوابه وعلـــم تحريه للحق واتسع علمه وظهر ذكاؤه وعـــرف صلاحه وورعه واتباعه يغفر له زلله ولا نضلله ونطرحه ونسى محاسنه"(1).

قال الإمام الشافعي رَحْنَاتُهُ اللَّذي وضع مذهبًا غير مذهب أبي حنيفة رَحَنَاتُهُ:

«الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة»<sup>(2)</sup>.

<sup>(2)</sup> سير أعلام النبلاء للذهبي.



<sup>(1)</sup> سير أعلام النبلاء للذهبي.

قال الإمام القرطبي رَحَمُاللَّهُ:

اكان أبو حنيفة وأصحابه والشافعي وغيرهم يصلون خلف أثمة أهل المدينة من المالكية وإن كانوا لا يقرأون البسملة لا سراً ولا جهرًا" (1).

هذه الأمثلة القليلة التبي ذكرناها تبين كيف أن أئمة المسلمين كانوا يختلفون مع بعضهم البعض منذ زمن النبوة في الاجتهادات الفقهية، ولكنهم وبالرغم من ذلك كانوا يتحلون بأدب الاختلاف، هذا الأدب الذي لم يستوعبه كثير منا في هذا الزمان للأسف، فالبعض منا يدعى اتباعه لنهج السلف الصالح، ولكن غاب عنه أن أئمة السلف الصالح لم يكفروا أو يفسقوا من لم يتفق مع اجتهاداتهم الفقهية من بقية المسلمين، كحال بعض التكفيريين في هذا الزمان، ولم يتهموا مخالفيهم في النوايا مثلما يفعل بعض من يدعى معرفته بما في قلوب البشر في زماننا هذا، ولم يخونوا بعضهم البعض، ولم تكن ألفاظهم نابية في حديثهم عن مخالفيهم، بل على العكس من ذلك، كانوا في قمة

<sup>(1)</sup> الجامع لأحكام القرآن، القرطبي.

الأدب في تعاملهم الحضاري مع بعضهم البعض، هؤلاء استوعبوا أدب الاختلاف الذي تعلموه من مدرسة محمد صلحة عندين المعلم المتواضع الذي أبدى تفهما شخصيًا للاختلاف الفقهي في اجتهادات تلاميذه من الصحابة، على الرغم من أنه كان نبيًا يتلقى الوحي الإلهي من فوق سبع سماوات!

ولكن ماذا عن الاختلاف مع غير المسلمين؟ وكيف كان الرسول سَّأَلِثَنَّ يَتِيَّالِهُوْسَلَّةٍ يَتعامل معهم؟ وما هي طبيعة العلاقة التي حددها الإسلام في التعامل الإنساني مع غير المسلمين؟ يشع...

જા∳ભ



"إِن النبي صَأِلَّةُ عَلَيْهِ وَعَلَّالِهِ وَسَلَّةٍ مَرَّت به جنازة فقام، فقيل له: إنها جنازة يهودي، فقال: أليست نفسًا؟ <sup>(1)</sup>

في العام العاشر من البعثة النبوية الموافق لعام 619 للميلاد، ازدادت وطأة المعاناة والآلام التي لاقاها رسول الله صَلَّاتَتَكِبَوَعِيَّ الرَّبَتُمَ لدرجة سمي بها ذلك العام بعام الحزن، فقد توفيت فيه زوجته الوفية خديجة وَعَلَقَهَ التي كانت بمثابة الحصن النفسي له، وقبل وفاتها بثلاثة أيام توفي عمه أبو طالب الذي كان بمثابة الحصن الدفاعي له، فقد كان أبو طالب يقود جبهة الدفاع عن رسول الله صَلَّ التَّنْعَيَّة وَعَلَيْ الْمَتَارُ أَصام أذى كفار

(1) صحيح البخاري.



قريش، واستطاع بما يملكه من مكانة عشائرية أن يقنع من لم يسلم من بني هاشم وبني المطلب بالدفاع عن رسول الله سَرَّالِشَّنَةِ وَعَلَيْهِ وَسَلَّمَ بغض النظر عن اختلافهم معه في الدين، ولكن الوضع اختلف بعد موته، فقد انتقلت الزعامة الهاشمية إلى أخيه أبي لهب أكبر أعداء الرسول سَرَّالتَّنَفَيْوَ وَالَيْهَ وَسَلَي من لم يسلم من بني هاشم وبني المطلب أبا لهب في موقفه هذا ضد رسول الله صَلَّالْمَنَفَيْوَ وَعَلِي الوَسَلِي المُنْكَارِيَةُ (١٠).

وفي هذا العمام اشتد اضطهاد قريش لرسول الله من المسؤل الله تعدّ المنافقة عرض المنافقة عرض الله على دعوة شبه مسدود بعد تضييق الخناق من قبل كفار قريش على دعوة الرسول من المنافقة على وكلن رسول الله من المنافقة على وكلن رسول الله من المنافقة على التي مر في ذلك الوقت العصيب من حياته، فقد كان يدرك أن هناك ما هو أهم من ذلك، إنها رسالة الإسلام، الرسالة التي سيتوقف من بعدها إرسال الأنبياء إلى

<sup>(1)</sup> د. خطاب إسماعيل أحمد في مجلة كلية العلوم الإسلامية 2013 - جامعة الموصل.



الأبد، لذلك كان آخر نبي يبعث في التاريخ محمد صَأَبْلَهُ عَلَيْهِ وَعَلَالِهِ وَسَلَّمَ يدرك أن اليأس غير مسموح به على الإطلاق، وأن هذه الرسالة التي اختير هو لها لكي يقوم بتبليغها لبقية أهل الأرض ينبغي لها أن تستمر رغم كل الآلام والجراح التي كان يعانيها في داخله، لـذلك قـرر رسـول الله صَلَّاتَهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ أَنْ الوقـت قـد حـان للانتقال بدعوته إلى خارج مكة، وذلك بعد أن أصبح الخطر الـذي يتهـدد الـدعوة في مكـة خطـرًا وجوديّـا، فبـدأ الرسـول صَاِّلِتَهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ وَسَلَّمُ بِالبحث عن مكان آخر ليكون ملاذًا آمنًا لدعوته العالمية، فوقع اختياره على مدينة تقع في الشرق من مدينة مكة تسمى مدينة الطائف، وقرر السفر إليها داعيًا أهلها إلى الإسلام وطالبًا النصرة والمنعة منهم، وقد كان اختيار الرسول صَأَلِقَتُمَا يَدِهُ وَعَلَى الْهِوَسَلَّمَ لَهِذَهِ الْمَدِينَةُ لَتَكُونَ القَاعِدَةِ الْجَدِيدَة لدعوته اختيارًا استراتيجيًا مدروسًا، فالطائف كانت ثاني أكبر مدينة في الجزيرة العربية بعـد مكـة مباشـرة، وهـي مدينـة ذات موقع استراتيجي مميز قوية جغرافيًا جعلها موقعها بأعالي الجبال محصنة طبيعيًا، وكما أن مكة تقع على أرضها الكعبة

التي يقصدها العرب من كل مكان، فإن الطائف كانت تشرف على أكبر أسواق العرب على الإطلاق، سوق عكاظ، والذي كان يقصده العرب كل عام كأكبر فعالية اقتصادية في فترة الجاهلية، بالإضافة لذلك فقد كان سوق عكاظ يعتبر أكبر ملتقى أدبى وإعلامي في الجزيرة العربية، وكـان كبـار الأدبـاء والشعراء والمفكرين من مختلف القبائل العربية يتواجدون فيه كل عام للتبارز الأدبي والفكري، وبالتأكيد فإن الرسول صَلَّاتَهُ عَلَيْهِ وَعَلا لِلهِ وَسَلَّمَ كَان يخطط لعرض دعوته في هذا الملتقي الإعلامي الكبير عندما فكر باتخاذ الطائف كقاعدة جديدة ينطلق منها لنشر دعوته، إضافة لهذا كله فقد كانت قبيلة ثقيف التي تسكن الطائف من أكبر القبائل العربية وأقواها عسكريًا، ولو تمكن الرسول صَلَاتَهُ عَلَيه وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّة مِن الحصول على النصرة والمنعة من هذه القبيلة القوية فإن ذلك سيكون رادعًا قويًا لقريش التي تحاول إيذاءه، خاصة في ظل التنافس السياسي والتجاري والثقافي بين المدينتين مكة والطائف.

وبالرغم من بعد المسافة بين مكة والطائف والتي تقترب



من 100 كيلومتر، وبالرغم من ارتفاع درجة الحرارة في ذلك الوقت من السنة، قرر الرسول صَأَلِنَهُ عَلَيْهُ وَعَلَىٰ إِلٰهِ وَسَلَّمَ أَنْ يسلك تلك المسافة ذهابًا وإيابًا مشيًا على الأقدام، ولم يصطحب معه في تلك الرحلة الشاقة سوى زيد بن حارثة رَحَالِقَهُ عَنهُ، ويبدو أن هذا الأمر كان مخططًا له من ناحية استراتيجية أيضًا<sup>(1)</sup>، فالرسول صَلَّاتَهُ عَلَيْهِ وَعَلَالِهِ وَسَلَّم يعلم أنه في تحركه إلى الطائف طلبًا للنصرة والمنعة سيعتبر بمثابة الخائن لدي زعماء مكة، وبالتالي كانت السرية في هذا التحرك الجريء مطلوبة من ناحية أمنية، لذلك حرص على مغادرة مكة دون دابة لكي لا يلفت الانتباه لسفره، وحرص على اصطحاب زيد بن حارثة دون غيره من أصحابه، فزيد بن حارثة رَحَالَتُهُ عَنْهُ كَانَ يعتبر في ذلك الوقت ابن الرسول صَّالِللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إلِهِ وَمَالَتِهِ مِن وكان يطلق عليه في مكة زيد بن محمد، ورؤيته بجانب أبيه بالتبني في ذلك الوقت خارجين مشيًا على الأقدام بعيدًا عن مكة لن يلفت انتباه أحد، وفي نفس الوقت سيكون وجوده مفيدًا للرسول صَلَّاتِتُمُعَلَيْهِ وَعَلَّالِهِ وَسَلَّمَ في تلك

<sup>(1)</sup> د. راغب السرجاني – موقع قصة الإسلام. - (121)

الرحلة الشاقة، لقد كان الرسول صَلَّقَتْكَيْمُوَ اللَّهِ أَستاذًا بِما تحمله الكلمة من معنى في علم التخطيط الاستراتيجي!

ولكن سبحان الله... بالرغم من كل الاحتياطات التي اتخذها الرسول صَلْلَقَاعَلَيْهِ وَعَلَىٰ الْهِ وَسَلَّمَ في رحلة الطائف، وبالرغم من كل الاعتبارات المنطقية التي وضعها الرسول صَأَيْتَهُ عَلَيْهِ وَعَلَّالِهِ وَسَلَّمَ في حسبانه قبل القيام بهذه الرحلة، فإن الأمور في الطائف لم تسر بالشكل المطلوب، فقد توجه الرسول صَأَلِتَهُ عَلَيه وَعَلَى الْهِ وَسَلَّمَ فور وصوله الطائف إلى نفر من زعماء الطائف هم يومئذ سادة ثقيف وأشرافهم، وهم إخوة ثلاثة: عبد ياليل بن عمرو الثقفي، ومسعود بن عمرو الثقفي، وحبيب بن عمرو الثقفي، فجلس إليهم رسول الله صَلَّاللَّهُ عَلَيْهِ وَعَالِآلِهِ وَسَلَّمَ، فدعاهم إلى رسالة الإسلام، وطلب منهم النصرة والمنعة، فرفض هؤلاء الإخوة الثلاثة قبول دعوة الإسلام، ورفضوا نصرة الرسول صَالِبَلَهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ وَعَلَا لِهِ وَسَلَّمَ، ورفضوا حتى منعته، أي رفضوا مجرد منحه حق اللجوء لديهم، ولم يقتصر الأمر على رفضهم لطلب اللجوء الذي تقدم به الرسول صَلَاتَةَ عَلَيْهُ وَعَلَالِهِ وَسَلَّةٍ ، بل قاموا أيضًا بالاستهزاء والسخرية منه بكلام جارح وأسلوب منحط لم يراعوا فيه مكانته كحفيد لسيد قريش السابق عبد المطلب بن هاشم، بل ولم يراعوا فيه حتى مشاعره كإنسان سافر إليهم مشيًا على الأقدام طالبًا للجوء بعد أن فقد أحباءه وضاقت به أرضه، وصاروا يستخفون في كلامهم برسول الله صَأَلِتَهُ عَلَيْهِ وَعَلَالِهِ وَسَلَّمَ في محاولة لكسره، فأخبره عبد ياليل ساخرًا بأنه سيمرط (1) ثياب الكعبة إن كان الله أرسله، وسأله مسعود باستهزاء: أما وجد الله أحدًا يرسله غيرك؟ بينما قال أخاهما حبيب لرسول الله صَلَاتَهُ عَلَيْهِ وَعَلَاتِهِ وَسَلَّمُ بكل وقاحة: لئن كنت رسولًا من الله كما تقول، لأنت أعظم حطرًا من أن أرد عليك الكلام! ولئن كنت تكذب على الله، ما ينبغي لي أن أكلمك! (2).

فلما وجد الرسول صَلَقْنَعَلَىوَ اللَّهِ مَا وجده من هؤلاء الإخوة الثلاثة طلب منهم طلبًا إنسانيًا بسيطًا، وهو أن يكتموا خبر مجيئه إليهم، وذلك خوفًا من أن تعلم قريش بذلك، وقال



<sup>(2)</sup> يمرط: يمزق.

<sup>(3)</sup> السيرة لابن هشام.

لهم رسول الله صَالَتَهُ عَلَيْهِ وَعَلَى اللهِ وَسَلَّةٍ: ﴿ إِذْ فَعَلْتُم مَا فَعَلْتُم فَاكْتُمُوا عني الله على العكس من ذلك قاموا بتسريب هذا الخبر إلى زعماء قريش، فصارت حياة الرسول صَلَاتَهُ عَلَيْهِ وَعَلَى الْهِ وَسَلَّمَ مهددة في حال عودته إلى مكة، ولم يكتفِ زعماء الطائف بكل ما فعلوه، بل قاموا بطرده من أرضهم وتحريض سفهائهم وصبيانهم عليه ليسبوه ويطاردوه وهم يلقون عليه الحجارة، فسمالت الدماء من قدمي رسول الله صَأَلِنَهُ عَيْدِوَعَ ﴿ اللَّهِ عَالِمُ اللَّهِ صَالِلُ زيىد بن حارثة رَخَوَاللَهُ عَنهُ حماية الرسول صَالِلَهُ عَلَيهِ وَعَالِهِ وَسَلَّمَ حتى شجت رأسه ونزف الدم منها، ولم يزل السفهاء يرمونهما بالحجارة حتى لجأ الرسول صَأَلْلَهُ عَلَيْهِ وَعَلَالِهِ وَسَلَّمَ وزيد رَمِوَلِيَلَهُ عَنْهُ إلى بستان يقع على بعد ثلاثة أميال من الطائف، هذا البستان كان يملكه رجلان من أغنياء قريش الذين يملكون البساتين في الطائف المشهورة بالزراعة، وهما عتبة و شيبة ابني ربيعة، وقد قـدر الله أن يكـون هـذان الـرجلان في زيـارة للبسـتان في تلـك الأثناء، ويبدو أن حالة الرسول صَأَلِقَهُ عَلَيْهِ وَعَلَالِهِ وَسَلَّمْ والدماء تسيل من قدميه كانت حالة صعبة للغاية، فلما رآه عتبة وشيبة على

(٦) السيرة لابن هشام.

هذه الحالة تحركت له رحمهما، على الرغم من كوبهما من زعماء الكفار في قريش، فدعوا غلامًا لهما نصرانيًا، يقال له عداس، فقالا له: خذ قطفًا من هذا العنب، فضعه في هذا الطبق، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل، فقل له يأكل منه.

ففعل عداس، ثم أقبل به حتى وضعه بين يدي رسول الله صَّالِتَهُنَئِينَوَكَالِيوَسَدِّ، ثم قال له: كل!

فلما وضع رسول الله صَلَّلَتَلَّعَلَيْهَ عَلَّالِهِ مَثَلَّ فِيه يده، قال: باسم الله. ثم أكل.

فنظر عداس في وجهه، ثم قال: والله إن هذا الكلام ما يقولـه أهل هذه البلاد!

فقـال لـه رسـول الله صَالِقَتَعَيْنِيَوَ اللهِ وَمِن أهـل أي البلاد أنت يا عداس، وما دينك؟

قال: نصراني، وأنا رجل من أهل نينوي.

فقال رسول الله صَالِمَتَنَا عَلَيْهَ عَالِمَهُ اللهِ عَالَمُ اللهِ عَلَى الصالح يونس بن متى؟

فقال له عداس: وما يدريك ما يونس بن متى؟!



فقال رسول الله صَّالِتُهُ عَيْدِوَكِلَّالِهِوَتَـُدَّةِ: ذَاكَ أَخْتِي، كَانْ نَبِيًّا، وأَنَا نبى.

فأكب عداس على رسول الله صَيَّاتُتَنَّعَيْوَقَالِمَوَتَلَ يَقَبل رأسه ويديه وقدميه، فلاحظ ابنا ربيعة ما يدور بين عداس والرسول صَالِّمَتَّاعِوَيُّ الْمِرَتَّةِ، فقال أحدهما لصاحبه: أما غلامك فقد أفسده عليك!

فلما جاءهما عداس، قالاً له: ويلك يا عداس! مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه؟

قال: يا سيدي ما في الأرض شيء خير من هذا، لقد أخبرني بأمر ما يعلمه إلا نبي!

قالا له: ويحك يا عداس، لا يصرفنك عن دينك، فإن دينك خير من دينه (١).

ثم تحرك الرسول صَلَّاتَنَا لَنَهُ اللَّهِ وَسَلَّهُ اللَّهِ اللهِ مَكَةَ مع زيد بن حارثة وَعَلِيَّةِ عَنْهُ وقد علم أن قريشًا وصلها خبر رحلته إلى

<sup>(1)</sup> السيرة لابن هشام.



الطائف، وأدرك أن رجوعه إلى مكة دون سند عشائري يحميه من بطش زعماء مكة يعني تعريض نفسه وأصحابه للهلاك، وتعريض رسالته للضياع، فقرر أن يستخدم قانونًا قبليًا كان سائدًا في جزيرة العرب في ذلك الوقت، هذا القانون العربي الأصيل كان يُسمى «الإجارة»، ويقضى هذا القانون بتقديم شخص أو قبيلة النصرة والغوث والحماية إلى شخص آخر طالب للحماية أو قبيلة أخرى تطلب الحماية، فيكون الشخص المُجارِ أو القبيلة المُجارَة في حماية الشخص المُجيرِ أو القبيلة المُجِيرة، وقد كان هذا القانون مقدسًا لدى قبائل الجزيرة العربية، بحث كانت العرب تعتبر أي اعتداء على أي شخص مُجار بمثابة اعتداء شخصي على الشخص المُجير أو القبيلة المُجيرة بأسرها، وقد كان يشترط على كل من يقبل بإجارة المستجير أن يحفظ حق الجوار ويدافع عنه بروحه، وإلا نزلت عليـه السُّبة وازدراه العـرب أبـد الـدهر، لـذلك كـان العـرب مستعدين لخوض الحروب الطاحنة مقابل حماية من يجيرونه، وقد قامت بالفعل حروب عديدة بسبب هذا الأمر، لعل من

أبرزها حرب البسوس الشهيرة التي استمرت لمدة أربعين عامًا، فهذه الحرب لم تقم كما يعتقد البعض بسبب ناقة البسوس التي كان اسمها الحقيقي سعاد بنت منقذ التميمية، بل اشتعلت شرارة هذه الحرب بسبب أعمق من ذلك بكثير، وبالتحديد بسبب قضية حق الجوار التي كانت تعتبر قضية مقدسة عند العرب، لـذلك قرر الرسول صَزَّاللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَّا آلِهِ وَسَلَّهُ بعد أن فقد الحماية العشائرية من بني هاشم وبني المطلب أن يلجأ لهذا القانون السائد في بيئته العربية، فقبل أن يدخل مكة بعث برسالة من حدود مكة إلى أحد سادة مكة الأقوياء المعروف عنه الشهامة والمروءة، فقد كان هذا السيد القرشي أحد الستة الشجعان الذين رفضوا الظلم الذي قامت به قريش في حصارها لبني هاشم وبني المطلب، فقام هؤلاء الستة بنقض الصحيفة التبي كتبها كفار قريش وعلقوها في الكعبة، لينتهي بسببهم الحصار الظالم الذي فرض على بني هاشم وبني المطلب بسبب دفاعهم عن الرسول صَأَلِتَهُ عَلَيْهِ وَعَلَى الْهِ وَسَلَّمَ، هذا السيد القرشي الشهم كان يدعى المُطعِم بن عَدي، والذي ما إن وصلته رسالة محمد سَّالِتَهْ عَلِيَوْ اللَّهِ وَسَلَّةِ بطلب الدخول في جواره، حتى قام من مجلسه، ولبس سلاحه، ونادي بنيه، وقال لهم:

تلبَّسوا السلاح، وكونوا عند أركان البيت، فإني قد أجرت محمدًا.

فدخل رسول الله صَلَّقَهُ عَلَيهُ وَعَلَقِهِ وَمَعَ وَيعد بن حارثة وَعَلَيْكَمَةُ حتى انتهى إلى المسجد الحرام، فقام مطعم بن عدي على راحلته، فنادى:

يا معشر قريش، إني قد أجرت محمدًا، فلا يَهِجْه أحد منكم! فانتهى رسول الله سَلَّاتَكَ يَدَعَلَا وَسَدُّر إلى الركن فاستلمه وصلى ركعتين وانصرف إلى بيته، ومطعم بن عدي وأبناؤه مطيفون برسول الله صَلَّالَة عَيْدَتَالِه وَسَلَّالًا \* أَنْ

المتأمل الجيد في قصة الرسول سَلَّ اللَّهُ عَلَيْدَ عَلَيْهِ اللَّهِ وَلَهُ الطَّائِفُ سيجد عبرًا ودروسًا لا يتسع المقام هنا لحصرها جميعًا، وإنما أردت التركيز على نقطة مهمة ربما تكون قد

<sup>(1)</sup> الطبقات الكبرى لابن سعد.



غابت عن كثير من المسلمين في هذا الزمان بالتحديد، فبعيدًا عن المجاملات والنفاق الذي يدعيه البعض، لا شـك أن هنـاك اختلافًا عقائديًا بين المسلمين وغير المسلمين من الناحية الدينية، فلا ديننا هو دينهم، ولا عقيدتهم هي عقيدتنا، ونحن كفار بما يؤمنون به، وهم كفار بما نؤمن به نحن، وهذا الاختلاف الديني كان ولايزال وسيبقى موجودًا أبد الدهر بين البشر، شئنا أم أبينا، ولكن هذا الاختلاف الديني لا يمنع من وجود مساحة كبيرة للتعايش السلمي المشترك القائم على احترام القيم الإنسانية النبيلة التي يجمع البشر بطبيعتهم الفطرية على احترامها، مثل العدل ومساعدة الضعفاء والنفور من الظلم وغير ذلك من القيم الإنسانية المشتركة التي لا يكاد يختلف عليها اثنان، وهذه المساحة الكبيرة من القيم المشتركة تسمح للبشر المختلفين دينيًا بالتعاون فيما بينهم إنسانيًا، فالمطعم بن عدى على سبيل المثال الذي استعد للدفاع عن رسول الله صَلَّاتَهُ عَلَيْهِ وَعَلَّالِهِ وَسَلَّمَ بروحه لم يكن مسلمًا، ومع ذلك لم يمنع هذا الأمر رسول الله صَاَّلَة عَلَيه وَعَالَا إِلهِ وَسَلَّة من التواصل معه في السابق وإقامة علاقيات متبادلية قائمية على احترام القيم الإنسانية

المشتركة بين الطرفين، فالمطعم أجار الرسول صَلَاتَهُ عَلَيْهُ وَعَآ الْهِوَسَلَّةِ بعد عودته من الطائف، وقبل ذلك كان من بين النفر الستة الذين عملوا على إنهاء الحصار على الرسول صَأَلَتَهُ عَلَيْهِ وَعَالِهِ وَسَأَةٍ ومن بني هاشم وبني المطلب، وبالمناسبة هؤلاء الستة كانوا جميعًا غير مسلمين، وقد يتوقع البعض أن رجلًا بأخلاق المطعم بن عدى قد أسلم فيما بعد، ولكن هذا الأمر لم يحدث، فقد مات المطعم بن عدي كافرًا دون أن يؤمن بدعوة الرسول صَالِتُهُ عَلَيه وَعَالِهِ وَسَلَّة، ولكن هذا الأمر لا يمنع أن نشيد بشهامته ونصرته للحق التي قد يفتقدها كثير من المسلمين في هذا الزمان، والرسول صَأَلِتَهُ عَلَيْهِ وَعَلَ اللهِ وَسَلَّمَ نفسه لم ينسَ شهامة المطعم بن عـدي حتى بعـد موتـه، فقـد أوضـح الرسـول صَلَّاللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَّالِهِ وَسَلَّم بعد ذلك (1) أن المطعم بن عدي لوحيًّا زمن معركة بدر وطلب الشفاعة في أسرى قريش لقام الرسول صَٰؤَابَلَهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ بِإِطْلاقِ سِر احهم، وذلك تكريمًا واحترامًا لمواقف هذا الرجل الإنسانية، فحكاية المطعم بن عدي مع

(1) صحيح البخاري.



الرسول صَلَاتَهُ عَلَيْهِ وَعَلَالِهِ وَسَلَّمُ ومدى الاحترام الإنساني المتبادل بين الرجلين المختلفين في الدين تبين لنا القصور الكبير الذي يعاني منه الكثيرون في استيعاب فقه التعامل مع غير المسلمين، فبعض المسلمين يضعون جميع البشر الذين لا ينتمون لدين الإسلام في سلة واحدة، فيعتبرونهم جميعًا أعداء ينبغي على المسلم الحقيقي بغضهم والتعامل معهم بقسوة وجفاء، وقد يصل التطرف بالبعض على الاعتقاد بجواز استباحة دمائهم، فاستشهدوا بأحاديث نبوية لم يفهموا مفرداتها العربية الفصيحة ولم يدرسوا معناها الحقيقي، وآيات قرآنية لم يفقهوا أسباب نزولها ولا مناسبتها الزمانية والمكانية ولا دلالات سياق الآيات في القرآن الكريم، فأصبح جميع من لا ينتمي للإسلام في نظرهم يدخلون في خانة الأعداء، والمشكلة الكبرى التي تواجه هـؤلاء ممـن يعتقـدون أنهـم يتكلمـون باسـم ديـن محمـد صَنَّاللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَّا لِهِ وَسَلَّمَ أَنْهِم من الأساس لم يقرأوا سيرة نبيهم، وإن كانوا قد قرأوها فإنهم حتمًا لم يفهموها جيدًا، ولو تفكروا قليلًا في سيرة الرسول صَرَّالِتَهُ عَلَيْهِ وَعَلَالِهِ وَسَلَّة للاحظوا الفرق بين أبي لهب الذي حارب الرسول صَلَّاللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَّى آلِهِ وَسَلَّمُ وأبي طالب الذي دافع

~@~

عنه حتى آخر رمق في حياته، وبين أبي جهل الذي عذب المسلمين واضطهدهم، والمطعم بن عدى الذي استعد للموت دفاعًا عن رسول الله صَلَاللَهُ عَلَيْهِ وَعَلَالِهِ وَسَلَّمَ، وبين اليهودي حيى بن أخطب الذي تنقل بين القبائل لكي يكون تحالفًا كبيرًا من الأحزاب لقتال الرسول صَأَلِقَهُ عَلَيْهِ وَعَلَالِهِ وَسَلَّمَ في معركة الخندق، واليهودي الآخر مخيريق(١) الذي أصر على القتال بنفسه مع الرسول صَلَاتَهُ عَلَيْهِ وَعَالِلهِ وَسَلَّمَ في معركة أحد وقتل بعد أن أوصى بماله للرسول صَلَاتِنَهُ عَلَيْهِ وَعَلَالِهِ وَسَلَّمَ يتصرف به كيفما يشاء، هؤلاء جميعًا لم يكونوا مسلمين، فهل كنان تعامل الرسول صَلَّاللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَّالِهِ وَسَلَّةً معهم في التعاملات الإنسانية تعاملًا واحدًا؟!

القاعدة الثابتة التي حددها الله سبحانه وتعالى للتعامل الإنساني مع غير المسلمين هي ما جاء في كتابه الكريم:

﴿ لَا يَنْهَنَكُوا لِلَّهُ عَنِ اللَّذِينَ لَتَهَمُّنِلُوكُمُّ فِي الَّذِينَ وَلَتَرْغُرِجُوكُمْ مَن يَتَكِيمُ أَنْ نَبْرُوهُمْ وَتَقْسِطُوا إِلَيْهِمْ أَنْ اللَّهَ يُمِثُ

 <sup>(</sup>٦) فتح الباري لابن رجب، شرح النووي على مسلم، البداية والنهاية لابن كثير،
 تاريخ الطبري، سير أعلام النبلاء للذهبي.

# اَلْمُقْسِطِينَ ۞ إِنَّنَا يَنَهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ تَنْلُوكُمْ فِى الَّذِينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِن يَنْكِهُمُ وَالْمَهُرُوا عَلَّا إِخْرَاجِكُمْ أَنْ قَالَوْهُمُّ وَمَن يَوَكُمُمْ قَالَتُهُو هُمُ الظَّلِيمُوكَ ۞ (11).

ويفهم من هاتين الآيتين أنه ينبغي التفرقة في التعامل مع غير المسلمين وفقًا لتصرفاتهم الإنسانية، فهناك الاستثناء في حالة المجرمين الذين يناصبون المسلمين العداء بقتال واضطهاد وغير ذلك من الأعمال العدائية، هؤلاء بطبيعة الحال يُعتبرون أعداءً وجب التصدي لهم، ولكن القاعدة العامة هي التعامل الإنساني مع غير المسلمين المسالمين، هؤلاء لا يدعونا الله فقط للتعايش معهم بسلام، بل يدعونا للتعامل معهم بالبر والقسط، وهذا مفهوم يفوق مفهوم التعايش السلمي المشترك بمراحل عديدة، فالقسط يعني العدالة، أي أن يكون المسلم عادلًا في تعاملاته مع غير المسلمين، أما كلمة البِّر فهي من الكلمات الصغيرة التي تحمل معنى كبير للغاية في اللغة العربية، فكلمة البِّر تدل على الاتساع، مثل البَّر في مقابل البحر، وهي

<sup>(1)</sup> سورة الممتحنة الآيات 8-9.

الأرض الواسعة، والبُّر وتعني القمح، لكثرة فوائده ومنافعه، أما كلمة البَّر فتعني الاتساع في فعل الخير، والاتساع في الإحسان والصدق والفضل، وقال القاضي المهدي: «والبِّرُ: هو الصِلة، وإسداء المعروف، والمبالغة في الإحسان»(1)، لذلك فإن كلمة البَّر لعظم دلالتها جاءت في أعظم العبادات بعد التوحيد، وهي بِرُّ الوالدين، لأن الوالدين سبب وجودنا في الدنيا، فأمر الله بيرً هما، فجاء ذكر البِّر للدلالة على عظم مفهوم العلاقة الإنسانية المشتركة مع غير المسلمين في الحالة الطبيعية، وكأساس للعيش المشترك معهم.

ومن حكم تجربة شخصية ناتجة عن سنوات عشتها في بلدان عربية وغربية مختلفة، وبعد تحليل موضوعي لكثير من المواد التي تنقلها وسائل الإعلام العربية والأجنبية ساعدني فيه تخصصي الأكاديمي في مجال الإعلام، وجدت أن كثيرًا من المسلمين، الذين يتحدثون بقسوة عن ما يسمونه «الغرب الكافر»، لم يقابلوا مواطنًا غربيًا واحدًا في حياتهم، ولم يسافروا

<sup>(1)</sup> صيد الأفكار للقاضي المهدي.

على الإطلاق إلى بلاد غربية، وإنما كونوا أحكامهم المسبقة عن الإنسان الغربي العادي نتيجة دون أن يطلعوا عن قرب على حياة وثقافة المجتمعات الغربية، أو نتيجة لسياسات حكومات غربية خاطئة تم تحميل مسؤوليتها المباشرة للمواطن الغربي العادي الذي قد يكون ضد هذه السياسات من الأساس، وكما أن الحضارة الغربية تحتوي على مظاهر سلبية لا تخفي على أحد، فمن الإنصاف القول أيضًا أن لدى الغرب كثيرًا من الأمور الإيجابية التي لا ينبغي إنكارها، وهذا ما أكده شخصيًا أحد أصحاب محمد صَالَللهُ عَلَيْه وَعَالِهِ وَسَالَمَ، وهو الصحابي الجليل عمرو بن العاص رَضَأَلِتُهُ عَنْهُ.

فقد كان عمرو وَ وَ وَ العالم، و العالم، و لله العالم، و العالم، العالم العالم العالم العالم العالم العالم الله و السعوب المختلفة، لذلك وصف عمرو بن العاص وَ الله العربين، أو الروم كما كانوا يُعرفون، بأنهم يتميزون بعدة خصال إبجابية:



إن فيهم لخصالاً أربعًا: إنهم لأحلم الناس عنــــد فتنة، وأسرعهم إفاقة بعد مصيبة، وأوشكهم كرة بعد فرة، وخيرهم لمسكين ويتيم وضعيف، وخامسة حسنة جميلة: وأمنعهم من ظلم الملوك<sup>(1)</sup>.

هذا الصحابي الحكيم كان منصفًا في وصف الغربيين بهذه الخصال التي لا يخفى على أحد أنها ما زالت تنطبق عليهم إلى يوم الناس هذا، فلم يمنع اختلاف عمرو بن العاص وَعَلِقَتَهُ معهم في الدين أن ينكر عليهم صفاتهم الإيجابية، على عكس كثير من الدعاة المسلمين في هذا الزمان، الذين يعتبرون الغرب بالمجمل مجرد شياطين لا وجود لأي مظهر إيجابي في حضارتهم وثقافتهم!

نفس ألشيء ينطبق أيضًا على بعض الغربيين الذين يعتقدون أن العرب والمسلمين مجرد أشرار وإرهابيين يجب القضاء عليهم واستئصالهم عن بكرة أبيهم، هؤلاء كونوا صورتهم النمطية عن العرب والمسلمين إما من خلال أفعال بعض

(1) صحيح مسلم.



المتطرفين الـذين لا يمثلون صورة الإسـلام الحقيقية، أو من خلال متابعتهم لوسائل إعلام محلية تسيطر عليها جهات معادية للإسلام والعرب، وقد عمل على شرح هـذه الظـاهرة بالتفصيل البروفيسور الأمريكي إدوارد سعيد، الـذي ينتمي لعائلة من أصول فلسطينية لبنانية تنتمي للكنيسية اليونانية الأرثوذكسية، حيث أوضح البروفيسور إدوارد سعيد أن مثل هـذا النوع مـن الفكر الغربي النمطى ناتج بالمقام الأول عن إرث استعماري استشراقي، وقد شرح البروفيسور إدوارد سعيد هذه الظاهرة بشكل مفصل في كتابه الأشهر «الاستشراق»(1)، لذلك فإن حل هذه المشكلة الثقافية الناتجة عن عدم معرفة الآخر المختلف يكمن في التواصل الحضاري والحوار الثقافي، فصحيح أن هناك من غير المسلمين من لديه كره مرضى تجاه الإسلام والمسلمين

(1) كتاب الاستشراق «Orientalism» الذي أصدره البروفيسور إدوار دسعيد عام 1978م، تناول فيه كثيرًا من المؤلفات والدراسات والمضاهيم الغربية عن الشرق الأوسطه والتي يجزم البروفيسور معيد أنها السبب الرئيسي في الشرخ الحاصل بين الحضارة الغربية والشرق أوسطية، وقد أثار الكتاب بمجرد صدوره الأول مرة في الولايات المتحدة الكثير من الاهتمام العالمي، وتناولته الكثير من المؤسسات الأكاديمية حول العالم بالقاش، وترجم إلى العديد من اللغات الأجنية، وصار يوس في كثير من الجامعات الغربية .



«إنه لا يقوم بدين الله إلا من حاطه من جميع جوانبه»<sup>(1)</sup>

كان رسول الله صَلَّاتُنَاعِبَوَالْ الله عَلَى العام العاسر للهجرة يدرك تمام الإدراك أن مستقبل الدعوة في مكة صار مهددًا تهديدًا وجوديًا، وحتى بعد تمكنه من الحصول على حماية عشائرية من المطعم بن عدي، فإن شخصًا بمشل فكر رسول الله صَلَّتُنَاعِبَوَعَالِ وَأَن المعلمم بن عدي أن التأكيد أن هذه الحماية كانت مؤقتة، وأن المطعم بن عدي قد يموت في أي لحظة، وأن زعماء قريش قد يقررون قتله أو قتل المطعم بن عدي، فأل عبد مناف الذين ينتمي إليها المطعم بن عدي لن يستطيعوا التصدي لجميع بطون قبيلة قريش إذا ما اتخذ زعماء مكة قرارًا جماعيًا

 <sup>(1)</sup> أخرجه ابن حبان في الثقات، والبيهقي في الدلائل، وابن عساكر في تاريخ مشق.



الإسلام محمد صَّالِتَلْعَلَىمَوَالِهِ مَسَلَّهُ، الذي وردعنه في أصح كتاب لدى المسلمين بعد القرآن الكريم أنه توفي ودرعه مرهونة عند يهودي<sup>(1)</sup>، أي أن رسول الله صَّالِسَّنَظِيرَعَالِيَوَسَّدُّ كان حتى آخر أيامه في هذه الدنيا، يتواصل إنسانيًا مع رجل على غير دينه، عاش تحت حكمه بسلام وحرية!

ولكن ... ماذا حدث بعد رحلة الطائف ودخول الرسول صَرَّالِتَهُنَكِنَوَعُالِهُوَسَلَّة في جوار المطعم بن عدي؟ وما هي الخطة الاستراتيجية الجديدة التي اتبعها الرسول صَرَّالْتُعَيِّدَيُعُالِهُوَسَلَّة بعد رجوعه إلى مكة؟ وما هي تفاصيل العرض المغري الذي عرض على سيدنا محمد صَرَّالتُنكِيْوَعُالِهُوَسَلَّة في تلك السنة؟ وما هو سبب رفضه لهذا العرض؟!

يتبع...

∞∳જ





وخاصة الضعفاء منهم لم يتمكنوا جميعًا من الحصول على حماية عشائرية تضمن سلامتهم من بطش كفار قريش، ورسول الله صَالِّتَهُ عَلَيْهِ وَعَالِهِ وَسَلَّمَ كَقَائِد عام للمسلمين كان يفكر بسلامة أصحابه الضعفاء المعرضين للخطر في أي وقت، لذلك بدأت تحركات الرسول صَلَاتَهُ عَلَيْهِ وَعَلَى اللهِ وَسَلَّمَ تأخيذ طابعًا متسارعًا للوصول إلى مخرج عاجل من هذه الأزمة الخطيرة، فبدأ باتباع استراتيجية جديدة في البحث عن موطئ قدم جديد لدعوته، فقرر الرسول صَلَّاتِلَهُ عَلَيْهِ وَعَلَّالِهِ وَسَلَّمَ في العام العاشر للبعثة بالتوجه إلى القبائل العربية لدعوتها إلى الإسلام في موسم الحج كعادته في السنوات الأخيرة، ولكنه في هـذه السنة سيقوم لأول مرة بدعوة القبائل العربية القوية إلى نصرته وإيوائه هـو وأصحابه، فانتظر موسم الحج الذي تسافر فيه القبائل العربية إلى مكة للحج والتجارة ليبدأ بدعوة تلك القبائل، واختار صديق عمره أبا بكر الصديق رَسَحُاللَهُ عَنهُ ليكون رفيقه الدائم أثناء جولاته الدعوية بين سادة العرب، وكان يرافقهما على بن أبي طالب رَمَوَلَلِلَهُ عَنْهُ، وفي بعض الأحيان كان يصاحبه عمه العباس رَمَوَلِللَّهُ عَنْهُ، وفي أحيان أخرى كان يرافقه زيد بن حارثة رَمَوَأَيْتَهُ عَنهُ، والواضح

بذلك، وقد حدث هذا الأمر بالفعل عندما اجتمع زعماء قريش بعد ذلك التاريخ بثلاث سنوات تقريبًا في دار الندوة لمناقشة الخطط المطروحة للتخلص من رسول الله صَلَّاللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلْى اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَّى اللَّهِ وَسَلَّم، ودار الندوة هي الدار التي كانت تعتبر بمثابة المقر التاريخي لاجتماعات زعماء قريش، ويرجع تاريخها إلى زمن سيد قريش الأسبق قصبى بن كلاب أحد أجداد الرسول صَلَّاللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَّالِهِ وَسَلَّم، وهـو الشخص الـذي أصبحت مكـة في زمنـه تحت قيادة قبيلة قريش بعد أن انتصر على قبيلة خزاعة التي كانت تحت تسيطر على مكة وشؤون البيت الحرام من قبل، وقصى بن كلاب هو الشخص الذي بني دار الندوة، وفي اجتماعهم في هذه الدار توصل زعماء قريش إلى قرار جماعي بقتل الرسول صَلَّاللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَّى آلِهِ وَسَلَّمَ على أيدي مجموعة اغتيال مكونة من شبان ينتمون لعديد من قبائل قريش الفرعية، وذلك حتى يتفرق دمه بين القبائل فلا يتمكن بنو عبد مناف من محاربتهم جميعًا(1)، ولكن الله أنجى رسوله صَلَاللَهُ عَلَيْهِ وَعَلَالِهِ وَسَلَّمَ من تلك المؤامرة، إضافة لهذا كله فإن الصحابة رَجَاللَّهُ عَامُ

(1) سيرة ابن هشام.



الرمسول صَاَّلِتَهُ عَلَيْهِ وَعَالَالِهِ وَسَلَّمَ النصرة والمنعة منهم، ومسيعمل الصديق رَضَاللهُ عَنْهُ بِبعض التصر فات الذكية على تصوير نفسه كمساعد شخصي للرسول صَلَّاللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَّالِهِ وَسَلَّمْ، وذلك لمنح الاجتماعات التي ستعقد بين الرسول صَّأَلِتَهُ عَلَيْهُ وَعَلَيْهِ وَسَلَّمٌ وزعماء تلك القبائل طابعًا رسميًا يتناسب مع طبيعة مثل تلك اللقاءات القبلية، هذا كله قبل أن يبدأ الرسول صَأَتَتَهُ عَنْ يَهِ وَعَلَّا لِهِ وَسَلَّمَ بِالتحدث إلى زعماء تلك القبائل، ويبدو أن اختيار الرسول صَأَلْتَهُ عَلَيْهِ وَعَاْ آلِهِ وَسَلَّمَ لَعَلَى والعباس وزيد رَضَالِقَهُ عَنْهُ ليكونوا معه في هذه المهمة الدعوية كان له بعد استراتيجي كبير، فمرافقتهم للرسول صَلَاتَة عَلَيْهِ وَعَالَاهِ وَسَلَّمَ سيكون له أهمية خاصة في مجتمع بدوي ذي طبيعة عشائرية مثل مجتمع الجزيرة العربية الذي تُقدَّر فيه منزلة الشخص بحسب مكانته الاجتماعية بين عشيرته، فوجود أشخاص من بني هاشم مثل ابن عمه على بن أبي طالب رَسِحَالِيَهُ عَنهُ والعباس بن عبد المطلب رَسِحَالِيَهُ عَنهُ إِضَافة لوجود مولاه زيد بن حارثة رَعِزَاتِهُ عَنهُ الذي كان في ذلك الوقت ابنه بالتبني سيعطى انطباعًا لدى القبائل العربية بأن الرسول صَزَالِتَهُ عَلَيْهِ وَعَالَ الْوَرْسَلَّة لم يكن وحيدًا أو مطرودًا من عائلته، لهذا السبب يبدو أن

أن اختيارات الرسول صَلَاتِنَهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ لرفاقه في هذه المهمة لـم تكن عشو ائية، بل كانت اختيارات ذكية تدل على معرفة تامة لطبيعة المهمة، فاختياره لأبي بكر الصديق رَحِيَّاتِهُ عَنهُ لهذه المهمة لم يكن فقط نتيجة للثقة التي كان الصديق رَحِيَالِيَّهُ عَهُ يحظي بها عند رسول الله صَلَّاتَهُ عَيْمُ وَعَلَّالِهِ وَسَلَّمُ، فبالرغم من الصداقة القديمة التي كانت تربط بين الرجلين، كان وجود أبي بكر الصديق رَسِّؤَلِثَهُ عَنْهُ مِهِمًا ومفيدًا للغاية في ذلك الوقت بالتحديد، فالشيء الـذي لا يعرف الكثيرون منا أن أبا بكر الصديق يَعَلَشَهَنهُ كان عالمًا كبيرًا في تاريخ وأنساب القبائل العربية المختلفة، ووجوده في هذه المهمة سيساعد الرسول صَّأَلِتُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ على معرفة الجوانب المختلفة للقبائل، وبالتالي اختيار الأسلوب المناسب لدعوة كل قبيلة بما يتناسب مع بعدها الثقافي وثقلها السياسي، وبالإضافة إلى دعوة جميع القبائل إلى الإسلام سيعمل أبو بكر الصديق رَمِّؤَلِقَهُ عَنْهُ على تحديد القبائل القوية منها والتي يمكن للرسول صَأَلِتَهُ عَلَيْهِ وَعَلَى الهِ وَسَلَّمَ طلب الحماية منها، وسيكون لأبي بكر رَخِوْلِقَهُ عَنهُ - كما سنرى - دور عبقرى في التمهيد لمساعدة القبائيل على أخيذ صبورة أوليية عين رسيالة الإسيلام وطلب

مثل أبي جهل، ولكن من غير الإنصاف تعميم هذه النظرة على الجميع، فهناك أيضًا من غير المسلمين من هم على شاكلة المطعم بن عدي، من الشرفاء المستعدين للتضحية بأرواحهم من أجل نصرة المظلومين والقضايا العادلة، ولا ينبغي لنا بالمقابل أن ننكر أن هناك من المسلمين من شوه صورة الإسلام بأفعالـه وأقوالـه وأفكـاره المتطرفـة، ولكـن مـن الظلـم تعمـيم تصرفات هؤلاء على أمة بأكملها، فتاريخنا المشرف يحتوي على سبجل طويل من التعايش السلمي المشترك مع غيسر المسلمين، تشهد عليه جامعات الأندلس في قرون أوروبا المظلمة، وتشهد عليه كنائس القدس العتيفة التي حافظ على سلامتها المسلمون لمثات السنين، وتشهد عليه حارات اليهود في مدن شمال أفريقيا، وتشهد عليه سفن المسلمين التي أنقذتهم من محاكم التفتيش في إسبانيا لتنقلهم إلى تلك المدن، وتشهد عليه كتب علماء الإغريـق التـي أحرقتهـا الكنيسـة وترجمهـا المسلمون وأنقذوها من الاندثار، بعد أن أصبحت الترجمات العربية لبعض هذه الكتب هي المصادر الوحيدة المتبقية لهذا الإرث الإنسان، وفوق كل هذا تشهد عليه سيرة عظيمة لرسول

الرسول سَآلِتَهُ عَيِّدَوَعَآلِهُ وَمَانَ لَعان يحرص على أن يرافقه أفراد من عائلته، حتى وإن كان العباس وَعَلَقَاتُهُ في ذلك الوقت ما يزال مشركًا غير مؤمن بدعوته، فوجود هؤلاء الأشخاص سيعمل على ضرب الدعاية العكسية التي كان يقوم بها عم الرسول سَرَّتُسَعَتَهُ وَعَآلَهُ مَتَلَدَ المَّدَ رأبو لهب بن عبد المطلب، والذي كان من يتبع الرسول سَرَّتُ الأَخر أبو لهب بن عبد المطلب، والذي كان العربية على عدم تصديق ابن أخيه، لذلك فقد كانت اختيارات الرسول سَآلَتُهُ عَدَى الله الدعوية الرسول سَآلَتُهُ عَدَى الله المعالمة في تلك المهمة الدعوية الخيارات مدروسة بعناية!

وعلى مدار موسم الحج من السنة العاشرة للبعثة، تنقل الرسول صَلْمَتَعَلِيمَوَّ اللَّهِ بِين كثير من القبائل العربية يعرض عليهم نفسه، كان من أبرزها قبيلة كِندة، وقبيلة كلب، وقبيلة بني بكر بن وائل، وقبيلة بني حنيفة، وقبيلة بني عامر بن صَعْصَعَة، وقبيلة محارب بن صَعْصَفة، وقبيلة عبس، وقبيلة همدان، وقبيلة ربيعة، وقبيلة بني شيبان، وغيرها من القبائل العربية والأفراد الذين كان يقابلهم في موسم الحج، فكان رد زعماء تلك القبائل مختلفًا، فمنهم من أساء الأدب في الرد، ومنهم من حاول ابتزاز

**√**1590~

الرسول سَيَّالِسَّنَيِّدِيَهُ اللَّهِ مَقابِل منحه الحماية، ومنهم من اعتذر بأدب لأسباب يرى أنها منطقية من وجهة نظره، وقد فصلت كتب التاريخ ما جرى من حوارات بين الرسول صَّالِشَّيِّدِيَهُ اللَّهِ التَّهِ عَلَيْهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ المَقام هنا لعرض تفاصيل وزعماء تلك القبائل، ولكن لا يتسع المقام هنا لعرض تفاصيل كل تلك الحوارات، لذلك سنكتفي بعرض ما ورد عن قبيلتين اثنين فقط، هاتان القبيلتان هما: قبيلة بني عامر بن صعصعة، وقبيلة بني شبيان.

بنو عامر بن صعصعة: قصد الرسول صَّالَّتَعَلَيْوَعَالِيْوَعَالَهُ وَقَدُ مِضَارِبِ قَبِيلَة بني عامر بن صعصعة عند سوق عكاظ، وقد كانت هناك أسباب مهمة دفعت الرسول صَّالِعَتْعَلَيْوَعَالَهُ وَمَدُ لاختيار هذه القبيلة العربية لتكون من بين القبائل التي يطلب منها الحماية واللجوء، فقبيلة بني عامر بن صعصعة قبيلة مقاتلة وشجاعة، وكانت تعد من أكبر القبائل عددًا، وهي واحدة من بين خمس قبائل عربية معروفة في الجزيرة العربية بأنها لم تخضع لأية قبيلة أخرى، ولم تتبع للملوك على الإطلاق، ولم تؤدي الجزية لأحد، مثلها في ذلك مثل قبيلة قريش، لذلك

~(5)%~

عرض الرسول صَّالِتَهُ عَلِيَوْكَالِدِيَتَةُ الإسلام على سادة بني عامر بن صعصعة الذين التقاهم في موسم الحج، وطلب منهم النصرة والمنعة، وبعد أن سمع وجهاء القبيلة دعوة رسول الله صَّالِتُنْكَيْدِيْكَالِدِيَتَةً، قال أحد زعمائهم واسمه بَيْحُرَة بن فراس:

## «والله لو أني أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب!»<sup>(1)</sup> .

ثم النفت بُيْحَرَة إلى رسول الله سَأَلِقَنَعَتَهُوَ اللهِ سَأَلِثَنَ عَلَيْهُ وَاللهِ إِياه: أرأيت إن نحن بايعناك على أمرك، ثـم أظهرك الله على من خالفك، أيكون لنا الأمر من بعدك؟

فرد الرسول صَلَّاتَهُ عَلَيْهِ وَعَلَالِهِ وَسَلَّمَ: الأمر إلى الله، يضعه حيث شاء.

فقال بُيْحَرَة: أفنهدُف نحورنا للعرب دونك، فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا؟! لا حاجة لنا بأمرك!

وبعد أن رفض بنوعامر بن صعصعة طلب الرسول



<sup>(1)</sup> سيرة ابن هشام.

صَأَلِتَهُ عَلَيْهِ وَعَلَالِهِ وَسَلَّةِ رجعوا إلى ديارهم، وهناك أخبروا أحمد شيوخهم الحكماء بما دار بينهم وبين الرسول صَأَلِقَهُ عَيْنِهُ وَعَالِهِ وَسَلَّمَ، وقد كان ذلك الشيخ طاعنًا في السن حتى صار لا يقدر أن يوافي مع أفراد قبيلته المواسم، فكانوا إذا رجعوا إليه حدثوه بما يكون في ذلك الموسم، فلما قدموا عليه ذلك العام، سألهم عما كان في موسمهم، فقالوا: جاءنا فتي من قريش ثم أحد بني عبد المطلب يزعم أنه نبي، يدعونا الى أن نمنعه ونقوم معه ونخرج به إلى بلادنا، فوضع الشيخ يديه على رأسه، ثم أخذ يلومهم على عدم قبول نصرة الرسول صَأَلِتَهُ عَلَيْهِ وَعَلَالِهِ وَسَلَّمٌ، وقال لهم: يا بني عامر، هل لها من تَلاف؟ هل لذُناباها من مَطْلب؟(1) والذي نفس فلان بيده، ما تَقوَّلها إسماعيلي قط<sup>(2)</sup>، وإنها لحق، فأين كان رأيكم وقتها؟!(د).

بنو شيبان: كان بنو شيبان من القبائل العربية القوية الكثيرة العدد التي تسكن في الركن الشمالي الشرقي من الجزيرة العربية

<sup>(3)</sup> البداية والنهاية لابن كثير.



<sup>(1)</sup> مثل عربي يُضرب لما فات، وأصله من ذنابي الطائر إذا أفلت من حباله، فطلبت الأخذ بذناباه، ويقترب من معني "صبق السيف العذل».

<sup>(2)</sup> أي ما ادعى النبوة كاذبًا أحد من بني إسماعيل.

على حدود العراق، وكانت مساكنهم تقع في المنتصف بين قبائل الجزيرة العربية وحدود الإمبراطورية الساسانية الفارسية، وكانوا بحكم موقعهم الجغرافي الاستراتيجي ملتزمين بتعهدات سياسية مع إمبراطورية فارس، وقد كانت قبيلة بني شيبان من أكثر القبائل أدبًا في الرد على دعوة رسول الله صَاَلَتَهُ عَلَيْهِ وَعَالَاهِ وَسَلَّمَ فِي تلك السنة، فالذي يتضح مما ورد في مصادر تاريخية متعددة<sup>(1)</sup> من تفصيلات للحوار الذي جرى بين الرسول صَرَالِتَهُ عَلَيْهِ وَعَالَ الِهِ وَسَلَّمَ وبين هذه القبيلة العراقية، أن بني شيبان امتازوا بالتنظيم والخلق الرفيع، وهو الأمر الذي أشاد به الرسول صَأَلِتَهُ عَلَيْهِ وَعَلَى إلْهِ وَسَأَر بنفسه، إضافة لصحابته الذين شهدوا معه ذلك الحوار الذي أثار إعجابهم، <sup>(2)</sup> وتروي كتب التاريخ عبارة جميلة يصف فيها الصحابي الجليل على بن أبى طالب رَحَالِتَهُ مَا عَجابه بهذه القبيلة، ويعبر فيها عن مدى تقديره لأبي بكر الصديق رَسَالِتَهُ عَنهُ:

#### «انتهينا إلى مجلس عليه السكينـــــة والوقار، وإذا

<sup>(2)</sup> د. خطاب إسماعيل أحمد في مجلة كلية العلوم الإسلامية 2013 - جامعة الموصل.



 <sup>(1)</sup> الثقات لابن حبان، ودلائل النبوة للأصبهاني، ودلائل النبوة للبيهقي، والبداية والنهاية لابن كثير.

### مشايخ لهم أقدار وهيئات، فتقدم أبو بكر فسلم، وكان أبو بكر مقدمًا في كل خير».

فقال لهم أبو بكر رَضَالِلَهُ عَنهُ: ممن القوم؟

قالوا: من بني شيبان بن ثعلبة.

فالتفت أبو بكر الصديق رَسَّطَيَّفَتَهُ إلى رسول الله صَلَّقَتَعَيَّبَوَالِهَ اللّهِ وقال: بأبي أنت وأمي، هؤلاء غرر الناس (1). وقد كان في القوم مفروق بن عمرو، وهانئ بن قبيصة، والمشى بن حارثة، والنعمان بن شريك، وكان أقرب القوم إلى أبي بكر مفروق بن عمرو، وكان مفروق بن عمرو قد غلب عليهم بيانًا ولسانًا، وكانت له غديرتان تسقطان على صدر (2)، فكان أدنى القوم مجلسًا من أبي بكر.

فقال أبو بكر رَمُولِيَّةَ عَنْهُ لمفروق بن عمرو: كيف العدد فيكم؟

فقال له مفروق: إنا لنزيد على ألف ولن تغلب ألف من قلة.

فقال أبو بكر رَمَّتَالِيَّهُ عَنْهُ: فكيف المنعة فيكم؟

فقال مفروق: علينا الجهد ولكل قوم جد.

<sup>(1)</sup> رجل أغر أي رجل شريف، وغرر الناس أي أشراف قومهم.

<sup>(2)</sup> غديرتان: خصلتان طويلتان من الشعر تلتويان.

فقال أبو بكر رَضِيَّقَهُ فن فكيف الحرب بينكم وبين عدوكم؟ فقال مفروق: إنا أشد ما نكون لقاء حين نغضب، وإنا لنؤثر الجياد على الأولاد، والسلاح على اللقاح، والنصر من عند الله يديلنا مرة ويديل علينا، لعلك أخو قريش؟ (1).

فقال أبو بكر رَحَيَّكَةَ: إن كان بلغكم أنه رسول الله فها هو ـذا.

فقال مفروق: قد بلغنا أنه يذكر ذلك.

ثم التفت مفروق إلى رسول الله صَأْلَتْنَا يُدَوَّقُوالِهُوَسَلَّهِ، فجلس وقام أبو بكر رَحِيَّلَيْهَمْمْ يظل بشربه رسول الله صَأْلِقَدْعَلِهُوَسِّلَةٍ، شم بدأ رسول الله صَالِقَة عَدِّمَةً يَدِيَوْلِهُوَسَلًا يعرض لبني شيبان دعوته.

قال رسول الله صَلَّقَتَهَيُوعَيَّهُوتِسَدِّ: أدعوكم إلى شهادة أن لا إلـه إلا الله وحـده لا شريك لـه وأني رسول الله، وأن تـؤووني وتنصروني حتى أؤدي عن الله الذي أمرني به، فإن قريشًا قد تظاهرت على أمر الله، وكذبت رسوله، واستغنت بالباطل عن

<sup>(1)</sup> يقصد النبي القرشي محمد مالهذب ويله رسد، بعد أن بدأت العرب تتناقل أخباره.



الحق، والله هو الغني الحميد.

قال له مفروق: وإلى ما تدعو أيضًا يا أخا قريش؟ فتلا رسول الله صَرَّاللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ مَثَالِهِ رَسَلًهُ قوله تعالى:

﴿ ﴿ قُلْ تَكَالُوا أَنْلُ مَا حَزَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا مُشَرِّكُوا بِدِ شَيْئًا وَبِالْوَلِدَيْنِ إِحْسَدُنًّا وَلَا تَقْدُلُوا أَوْلَندَكُم مِنْ إِمْلَتِي فَعْنُ نَزْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمُّ وَلَا نَقْرَنُوا ٱلْغَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَمَا وَمَا بَطَرَتُ وَلَا نَقَ لُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُو وَمَّسَكُمُ بِهِ. لَمَلَّكُو نَمْقِلُونَ ﴿ ثُلُولَا نَقْرَبُوا مَالَ ٱلْيَنِيدِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ لَمْسَنُ حَتَّى بِبَلْمَ أَشُدَتُم وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ ﴾ لَقِسَطٌّ لَا تُكَلِّفُ نَعْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ وَإِذَا قُلْتُدُ فَأَعَٰدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا فُرْنَى وَبِعَهِ لِمَالِلَهِ أَوْفُواْ ذَلِكُمْ وَصَّلَكُمُ بِهِ. لَمَلَكُوْ تَذَكُّرُونَ ﴿ إِنَّ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَطِى مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۗ وَلَا تَنَّبِعُوا الشُّبُلَ فَنَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۗ 

فقال له مفروق: وإلى ما تدعو أيضًا يا أخا قريش؟ فوالله ما

<sup>(1)</sup> سورة الأنعام الأيات 151-153. .

هذا من كلام أهل الأرض! ولو كان من كلامهم لعرفناه! فتلا رسول الله سَؤْلَتُنَاتَذِيوَثَوْلِدُوسَةُ ما جاء في كتاب الله:

إِنَّ اللهُ يَأْمُرُ بِالْمَدْلِ وَالْإِحْسَنِ وَإِينَاتِي ذِى
 الفُّرْف وَيَنْعَىٰ عَنِ الْفَحْشَلَةِ وَالْمُنْكِرِ وَالْبَغْيُ
 يَمِظُكُمْ لَمَلَكُمْ مَذَكُرُوك ﴿﴿﴾ (١).

فقال له مفروق: دعوت والله يا أخا قريش إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، ولقد أفك قوم كذبوك وظاهروا عليك.

ثم أشار مفروق إلى هانئ بن قبيصة، وكأنه أحب أن يشركه في الكلام، فقـــال: وهـــذاهــانئ بــن قبيصــة شــيخنا وصــاحب ديننا(2).

فقال هانئ لرسول الله سَلَّشَنَيْهَ مَعَلَّا اللهِ عَلَى قَدَ سمعت مقالتك يا أخا قريش، وصدقت قولك، وإني أرى إن تركنا ديننا واتباعنا إياك على دينك لمجلس جلسته إلينا ليس له أول ولا آخر لم نتفكر في أمرك وننظر في عاقبة ما تدعو إليه زلة في الرأي وطيشة في العقل

<sup>(2)</sup> صاحب ديننا: المسؤول عن الشؤون الدينية في الفبيلة.



<sup>(1)</sup> سورة النحل الآية 90.

وقلة نظر في العاقبة، وإنما تكون الزلة مع العجلة، وإن من وراثنا قومًا نكره أن نعقد عليهم عقدًا، ولكن ترجع ونرجع وتنظر وننظر.

ثم أشار هانئ إلى المثنى بن حارثة، وكأنه أحب أن يشركه في الكلام، فقال: وهذا المثنى شبخنا وصاحب حربنا(1).

فقال المثنى: قد سمعت مقالتك واستحسنت قولك يا أخا قريش، وأعجبني ما تكلمت به، والجواب هو جواب هانئ بن قبيصة، وتركنا ديننا واتباعنا إياك لمجلس جلسته إلينا، وإنا إنما نزلنا بين صريين(2) أحدهما اليمامة والآخر السماوة.

فقال له رسول الله صَاَّلِتَهُ عَلَيْهِ وَعَالَالِهِ وَسَلَّمَ: وما هذان الصريان؟

فقال له المثنى: أما أحدهما فطفوف البر وأرض العرب، وأما الآخر فأرض فارس وأنهار كسرى، وإنما نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى أن لا نحدث حدثًا ولا نؤوى محدثًا<sup>(و)</sup>، ولعل هذا الأمر الذي تدعونا إليه مما تكرهه الملوك، فأما ما

<sup>(3)</sup> أي لا نقوم بأمر جديد من شأنه إحداث تغييرات على الأوضاع المعتادة في المنطقة، ولا نقدم الإيواء لمن يقوم بذلك.



<sup>(1)</sup> صاحب حربنا: المسؤول العسكري للقبيلة.

<sup>(2)</sup> صريين: أي تجمعين سكانين.

كان مما يلي بلاد العرب فذنب صاحبه مغفور وعذره مقبول، وأما ما كان يلي بلاد فارس فذنب صاحبه غير مغفور وعذره غير مقبول، فان أردت أن ننصرك ونمنعك مما يلي العرب فعلنا.

فقال رسول الله سَؤَلَقُنَعَيْمَوَغَالِهِرَسَةً: ما أسأتم الرد إذ أفصحتم بالصدق، إنه لا يقوم بدين الله إلا من حاطه من جميع جوانبه.

لقد كان بمقدور الرسول صَلَّاتَهُ عَلَيْهِ وَعَلَالِهِ وَسَلَّمَ القبول بهذا العرض المغرى الذي قدمه وجهاء قبيلة بني شيبان، والرسول صَلَّاتِلَهُ عَلَيْهِ وَعَلَّ إِلَهِ وَسَلَّمَ في هذه الأثناء كان في أمس الحاجة لأي مساعدة، فقد عاد منذ قليل من الطائف مطرودًا والدماء تسيل من قدميه، وتخلى عنه أهله بنو هاشم، واضطهدته قبيلته قريش وضيقت عليه وعلى دعوته الخناق بشكل كبير للغاية، وصار وجوده في مكة محفوفًا بالمخاطر الحقيقية، وأصبحت الرسالة التي يريد تبليغها للبشر أجمعين مهددة تهديدًا وجوديًا، صارت مسألة بقاء الرسالة في خطر وهاهو الآن يحصل على عرض من إحدى أقوى القبائل العربية ليس فقط لإيوائه ومنحه الحرية لمواصلة دعوته الدينية، وليس فقط للدفاع عنه في وجه كفار قريش، بل

أيضًا عرضوا عليه الدفاع عنه أمام جميع قبائل جزيرة العرب بأسرها، إلا أن الرسول صَأَلِتَهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّةَ لَم يقبل هذا العرض لكي يوضح لي ولك وللإنسانية بأسرها قاعدة أخلاقية مهمة، ألا وهي أن المبادئ لا تتجزأ، وأنه لا يمكن للإنسان الإيمان بمبدأ أخلاقي في مكان ما والتخلي عن نفس هذا المبدأ في مكان آخر وفقًا لحاجاته ومخاوفه الشخصية، فعلى الرغم من مرونة الرسول صَلَّاتِهُ عَلَيْهِ وَعَلَى اللَّهِ وَسَلَّمَ في تعاملات الحياتية، فإن مسألة المبادئ بالنسبة إليه كانت مسألة ثابتة لا تتغير مهما واجه من متاعب ومصاعب بسبب ثباته على مبادئه، فلم يكن الرسول صَأَلِنَهُ عَلَيْهِ وَعَلَالِهِ وَسَلَّمَ ميكيا فِليَّا (1) لكي يقبل بتغيير أو تجزئة مبادئه، فالقارئ الجيد لسيرة محمد صَّأَلتَهُ عَلَيْهِ وَعَا الْهِ وَسَلَّر يجد أنه لا ينتمى ذلك النوع من البشر الذي يؤمن بالنفعية والواقعية السياسية التي لا تستند على أساس أخلاقي، ولم يكن من أتباع قاعدة «كـل مـا هـو مفيـد فهـو ضـروري بغـض النظـر عـن الجانـب

<sup>(1)</sup> الميكيافلية مبدأ نفعي ينسب للمفكر الإيطالي نيكولو دي برناردو دي ماكيافيلي الذي ظهر في فلورينسا في عصر النهضة وأوضح أفكاره السياسية في كتابه الشهير «الأمير» الذي وضع فيه أسس التشكير السياسي الواقعي.

الأخلاقي»، لذلك اعتذر الرسول صَأَلِتَهُ عَلَيْهِ وَعَلَالِهِ وَسَلَّمَ بأدب عن قبول عرض بني شيبان، ورفض من قبل الابتزاز الذي عرضه كبير قبيلة عامر بن صعصعة بأن يقدموا له الحماية في حياته مقابل انتقال الملك لهم بعد وفاته، وقد كان بمقدور الرسول صَلَّاتِنَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَّالِهِ وَسَلَّمَ القبول مِذَا العرض ولو بشكل مؤقت على أمل أن يغيروا قناعاتهم النفعية تلك بعد إسلامهم، أو أن يرحل عنهم لاحقًا بعد أن تستقر أوضاعه، ولكن مبادئ الرسول صَلَّاتَهُ عَلَيْهِ وَعَلَّالِهِ وَسَلَّمَ لهم تكن لتتجزأ على الإطلاق، نفس الشيء ينطبق على بني شيبان، فقد كان بإمكان الرسول صَأَلِتَهُ عَلَيْهِ وَعَالِهِ وَسَلَّمَ القبول بعرضهم بحمايته من العرب دون الفرس، فكان بإمكانه اللجوء أولًا إلى قبيلة بني شيبان ومواصلة دعوته من هناك للقبائل العربية، وفي أسوأ الظروف كبان بإمكانه الرحيل من أرضهم في حالة تهديد الفرس لهم، ولكنه رفض ذلك، على الرغم من أنه كان يعرف عن طريق الوحي أن أتباعه سينتصرون على جيوش إمبراطورية فارس الساسانية قريبًا، وسيكون بنو شيبان من بين المسلمين الذين سيشهدون ذلك النصر، وقد ظهر ذلك من كلام الرسول صَلَاتَهُ عَلَيْهِ وَعَالَالِهِ وَسَلَّمَ لُوجِهاء بنبي

شيبان، فقبل أن يودعهم بشرهم بأنه سيأتي يوم قريب سيتصرون فيه على إمبراطورية فارس، وقد حدثت هذه البسارة النبوية بالفعل بعد سنوات قليلة، وأصبح المسؤول العسكري لقبيلة بني شيبان المثنى بن حارثة الشيباني بعد إسلامه أحد أشهر قادة الفتوحات الإسلامية في العراق وفارس، ولكن الرسول صَلَّتَكَوَيَوَ الْهَوَى الراد من خلال اعتذاره عن قبول عرض بني شيبان إيصال رسالة مهمة للبشرية بشكل عام وللمسلمين بشكل خاص، هذه الرسالة تجسدت في تلك علما المقولة العجيبة التي اختصرت كثيرًا من المعاني العميقة في كلمانها القللة:

#### «إنه لا يقوم بدين الله إلا من حاطه من جميع جوانبه»

أي أن من أراد الالتزام بمبادئ هذا الدين، فعليه أن يعلم أن المبادئ لا تتجزأ، بمعنى أنه لا يمكن للمسلم اختيار جانب واحد دون غيره من جوانب الإسلام، وبمعنى آخر أنه لا يمكن للمسلم أخذ ما يريد من مبادئ الإسلام الثابتة وإهمال الجوانب الأخرى وفقًا لأهوائه ورغباته، فلا يمكن للمسلم مثلًا أن يلتزم بالعبادات مثل الصلاة والصوم وفي نفس الوقت

يكون كاذبًا ظالمًا متكبرًا بحجة أنه أفضل من بقية البشر فقط لأنه يلتزم بالعبادات، نفس الشيء ينطبق على المسلم الذي يختار الجانب الأخلاقي دون غيره من الجوانب، فيختار أن يكون صادقًا أمينًا وفي نفس الوقت يهمل العبادات التي فرضها الله عليه بحجة أن هذا الدين دين أخلاق ومعاملات، فهذا الدين كما أوضح رسول الله صَلَّقَتَنْكَ وَثَلَا اللهِ تَعْرَبُ لا يقوم به إلا من حاطه من جميع جوانبه، وليس من جانب واحد فقط!

وسبحان الله...

مباشرة بعد أن اعتذر الرسول صَلَّالْمُنْكِيرَ عَلَيْهُ مَلِي عَن قبول عرض قبيلة بني شيبان، وفي نفس اليوم، وبعد توديعهم مباشرة، وجد الرسول صَلَّالْمُنْكَلِيرَ عَلَيْهِ مَجموعة صغيرة تتكون من ستة أشخاص ينتمون إلى إحدى القبائل العربية، فذهب إليهم الرسول صَلَّالْمُنْكَلِيرَ وَالْحَرى معهم حوازًا قصيرًا تغيرت بعده موازين القوى ليس فقط في مكة أو الجزيرة العربية، بل تغيرت بعد هذا الحوار القصير مع هؤلاء الستة موازين القوى في الكرة الأرضية بأسرها!



فمن يكون هؤلاء الستة؟ وما هي تفاصيل الحوار الذي جرى بين الرسول سَرَّاللَّهَ عَيْدَوَ اللَّهِ وَبِينهم؟ ولماذا كان هذا الحوار فصيرًا؟ وما الذي جرى بعد ذلك؟ وهل كان اختيار الرسول سَرَّاللَّهَ عَيْدَوَ اللَّهِ اللَّهِ الذي لرفاقه في مهمته الدعوية اختيارًا استثنائيًا؟ أم أن الرسول سَرَّاللَّهُ عَيْدَوَ اللَّهِ اللَّهُ مَان يسير وفق منهجية معينة في اختياراته للأشخاص الذين يوكل إليهم المهمات الخاصة؟

يتبع...

**≥**000



## ﴿ ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرُوَّةَ مِن شَعَآبِرِ ٱللَّهِ ﴾ (١)

بعد فترة قصيرة من وصولها إلى مكة، نفد الماء الذي كان لدي السيدة هاجر عليها السلام، فأحست بالعطش، وأخذ طفلها الرضيع إسماعيل عَلَى ِالتَّلَامُ يتلوى من شدة العطش، فلم تكن مكة في ذلك الوقت مدينة تجارية يقصدها الناس من كل أنحاء العالم كما هي الآن، بل كانت مجرد وادٍ مجدب غير ذي زرع لا يسكنه أحد من الناس، فأخذت هاجر عليها السلام تبحث في مكة عن ماء أو رزق أو أي إنسان يغيثها قبل أن يفتك الجوع والعطش بها وبصغيرها، فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها، فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحدًا، فلم تر أحدًا، فهبطت من الصفاحتي إذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها ثم سعت

(1) البقرة 158.



سعى الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي، ثم أتت جبل المروة فقامت على الجبل، فنظرت هل ترى أحدًا، فلم تر أحدًا، فرجعت إلى الصفا من جديد، ثم مرة أخرى إلى المروة، وأخذت تسعى بين الصفا والمروة لسبع مرات دون أن ترى أحدًا أو أثرًا لحياة، وبعد ذلك سمعت صوتًا، فذهبت إلى موضع الصوت، فوجدت المَلك يخرج لها الماء من بين صخور مكة الصماء، فشربت وأرضعت وليدها، وأخذت تحوض الماء وتغرف منه، فتكونت بذلك «بئر زمزم» رمز الحياة الأولى في مكة، بعد ذلك مرت بالقرب من مكة قافلة لقبيلة من اليمن تسمى قبيلة «جُرهم»، فرأوا طيرًا يحوم فوق موضع في مكة، فقالوا: إن هذا الطائر ليدور على ماء! لعهدنا جذا الوادي وما فيه ماء! بعد ذلك ذهبوا فوجدوا أم إسماعيل عند الماء، وعقدوا اتفاقًا معها أن تسمح لهم بالتزود من ماء زمزم مقابل أجر لها، فتزودت هاجر بذلك بالغذاء لها ولطفلها، واستوطنت قبيلة جرهم اليمانية مكة لتكون أول قبيلة تسكنها (1).

<sup>(1)</sup> القصة بروايتها الأصلية وردت في صحيح البخاري.

الجميل في قصة السيدة هاجر عليها السلام أنها وبالرغم من وجودها وحيدة مع رضيعها في ذلك الوادي الصخري المجدب، لم تسلم نفسها لتكون ضحية لليأس، فقد كانت مؤمنة بأن الله لن يضيعها، ولكنها لم تقف مكتوفة الأيدي تنتظر فرج الله، بل أخذت تسعى بكل ما أوتيت من قوة للبحث عن الحياة بين الصفا والمروة، وبالرغم من إدراكها من المحاولة الأولى أنه لا يبدو في الأفق أي مظهر من مظاهر الحياة، استمرت في سعيها ولم تتوقف، وكررت المحاولة، ليس لمرة أو مرتين، بـل لسبع مـرات متتاليـة، وبعـد هـذه المحـاولات المستمرة التي ربما لو رآها بعض الناس تقوم بها لظنوا أنها محاولات عبثية لا جدوي منها، جاءها الفرج، والجميل أن الفرج جاءها بعد ذلك بطريقة أسهل وأعظم مما كانت تتوقعه! ولكن لماذا لم يبعث الله سبحانه وتعالى المَلك ليخرج لهاجر ماء زمزم منذ البداية بدلًا من تركها تسعى لسبع مرات بين الصفا والمروة؟



لعل الله أراد بذلك أن يعلمنا من خلال هذه المرأة المصرية البطلة أحد أهم المعاني في هذه الحياة، إنها المثابرة!

فالمثابرة هي أساس نجاح الإنسان، والناجحون في كافة المجالات ما هم سوى أشخاص مثابرين لا يتوقفون عن السعي وراء تحقيق أحلامهم، ولا ييأسون من أول فشل يعترضهم، بل يستمرون في محاولاتهم المتكررة دون كلل أو ملل، هؤلاء هم فقط الذين يصلون في نهاية الأمر إلى أهدافهم، بينما يفشل كثير غيرهم، ليس لأنهم أقل ذكاء أو قوة منهم، بل لأنهم افتقدوا لمعنى الاستمرارية والبقاء، افتقدوا لمعنى الاستمرارية والبقاء، افتقدوا لمعنى

والمتأمل في حياة الرسول محمد صَيَّاتَنتَهَ عَيْقَالِهِ رَسَةً سيجد أنه أمام إنسان مثابر بطبعه، لا يعرف معنى اليأس والانكسار، والأمثلة على ذلك في سيرته لا تكاد تحصى، ولكن يكفي أن يذكر الإنسان ما جرى له في عام الحزن، وكيف أنه استجمع قواه بعد وفاة زوجته الحبيبة وعمه الذي دافع عنه أمام الجميع، ليسافر إلى الطائف مشيًا على الأقدام أملًا في فرج لمحنته،

ليصدم هناك بأناس لم يكتفوا فقط برد طلبه للجوء عندهم، بـل حاولوا كسره من الداخل بالسخرية منه والحط من قدره، ليس ذلك فحسب، بل لوحق بعدها بالحجارة من شرذمة من السفهاء والصبية، ليرجع من حيث أتي، إلى وطنه الذي كانت فيه مراتع الصبا وملاعب الطفولة البريئة، ليكتشف أن هذا الوطن أصبح مغلقًا في وجهه، ليدخله في نهاية الأمر بعد أن أصبح لاجتًا في وطنه، ثم ينهض من جديد، ليتنقل بعدها دون توقف بين قبائل العرب يدعوهم لدعوة الإسلام ويعرض عليهم نفسه الشريفة، لترفضه القبيلة تلو الأخرى، ولكنه استمر في مسيرته، وواصل محاولاته دون يأس، ليس لمرة أو لمرتين أو لسبع مرات، بل دعا في تلك الأيام القليلة ما لا يقل عن عشرين قبيلة عربية، لم تقبله فيها أي قبيلة على الإطلاق، ورغم كل هذه المحاولات والأبواب المغلقة التي أوصدت في وجه رسول الله صَأَيْتَهُ عَلَيْهُ وَعَلَىٰ الِهِ وَسَلَّمَ في مدة زمنية لم تتعدَ الأشهر القليلة، اختار رسول الله صَلَّانَتُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى الِهِ وَسَلَّمَ قرار الاستمرار، قرار المثابرة، قرار التحدي، لكي يثبت للإنسانية بأسرها بأن تغيير التاريخ

يحتاج للكثير من العمل والصمود في وجه العواصف العاتية التي تواجه الإنسان في مسيرة حياته.

فأحيانًا تحيط بك الأحزان والآلام من كل جانب، فهل تجلس بعدها وحيدًا لتندب حظك وتسلم نفسك للذكريات لكي تقضي عليك وتكتب نهاية قصتك الحزينة؟ أم تكون كمحمد بن عبد الله صَلَّقَتَ عَلَيْوَ اللَّهِ وَعَنْ المَّاسِدِيد، وتنفض عنك غبار الأحزان، لتواصل مسيرتك بعزيمة وإصرار وثبات؟

وأحيانًا تفكر بفعل شيء فيه خير لك وخير لمن حولك، فتقوم بالتخطيط له تخطيطًا محكمًا، وتأخذ جميع احتياطاتك في سبيل ذلك، وتعتقد أنك قمت بكل ما ينبغي القيام به لكي تصل إلى هدفك الذي خططت له، ولكن الأمور تجري عكس ما خططت له تمامًا! فماذا تفعل وقتها؟ هل تنسحب مباشرة وتسلم الراية متحجبًا أنك قد قمت بأقصى ما تقدر عليه؟ أم تكون قويًا مثابرًا كرسول الله صَلَّقَتَنَا وَمَعْتَا اللهِ وَتحاول مرارًا ووتكرارًا دون يأس أو إحباط؟



وأحيانًا يحاول من حولك إيقاف تقدمك وكسرك وتمزيقك إربًا إربًا إن استطاعوا ذلك، فهل تقبل بأن تكون ضحية من ضحاياهم التي استسلمت لهم؟ أم تكون شديدًا صلبًا لا يُكسر ولا يُهزم ولا يعرف معنى للاستسلام، فتخيب آمالهم، وتستمر في طريقك رغمًا عن أنوفهم، تمامًا كما فعل رسول الله صَلَّفَتَهُمَ وَ اللَّهُمَ اللَّهُمَ اللَّهُمَ اللَّهُمُ اللَّهُمَ اللَّهُمَ اللَّهُمَ اللَّهُمُ اللَّهُ اللَّهُمُ الللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ الللِّهُمُ اللَّهُمُ ا

وسبحان الله!

بعد أن قام الرسول صَلَّقَةَ عَيَّهُ وَعَلِّلُوتَكَةٌ بِبَدْل قصارى جهده في دعوة القبائل العربية، وبعد المحاولة العشرين، حدث نفس ذلك الأمر الذي يتكرر بشكل مذهل في التاريخ، لقد جاء الفرج بطريقة سريعة وسهلة وغير متوقعة!

ففي نفس موسم الحج للعام العاشر من البعثة، ومباشرة بعد اجتماعه مع وجهاء قبيلة شيبان العراقية، وجد الرسول صَّالَةُنَكِّهُوَ وَلَيْهُ مَجموعة صغيرة من العرب تتكون من ستة أشخاص، هـولاء الستة الـذين سيتغير معهم مجرى تاريخ البشرية إلى الأبدهم (1):

<sup>(1)</sup> زاد المعاد لابن قيم الجوزية.



1.أسعد بن زرارة رَضَالِلَهُ عَنهُ.

2.عوف بن الحارث رَضَالِلَهُ عَنْهُ.

3.رافع بن مالك رَضَالِيَّهُ عَنْهُ.

4. قطبة بن عامر بن حديدة رَصَّالِتَهُ عَنهُ.

عقبة بن عامر بن نابي رَضَالِلَهُ عَنْهُ.

جابر بن عبد الله بن رئاب رَصَالِيَهُ عَنهُ.

هؤلاء النفر الستة كانوا ينتمون جميعًا لقبيلة عربية تسمى "الخزرج"، وهي قبيلة تسكن في مدينة زراعية مشهورة بأشجار النخيل تقع على بعد خمسمائة كيلو متر تقريبًا شمال مكة، هذه المدينة كانت تسمى «يشرب»، قبل أن يتغير اسمها بعد هجرة الرسول محمد مَّالِثَنَّ يُعَيَّقِ اللها إلى "المدينة"، ويرُوى أنها السيت بيثرب نسبة لأول من سكنها: وهو يشرب بن قاينة بن مهلائيل بن إدم بن عبيل بن عوص بن إدم بن سام بن نوح عَيْها النظرة (1)، وقد كانت هناك بعض القبائل الأخرى التي كانت تشارك قبيلة الخزرج في هذه المدينة، منها قبيلة الأوس، وهم،

<sup>(3)</sup> وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى-السمهودي.

أبناء عمومة الخزرج، وكانت بين هاتين القبيلتين من أبناء العمومة حروب طاحنة أوشكت على الفتك بهم، وكانت تعيش هناك أيضًا قبيلة بني قريظة، وقبيلة بني القينقاع، وقبيلة بني النضير، وهذه القبائل الثلاث كانت تتكون من اليهود الذين استوطنوا هذه المدينة لأسباب سنشرحها لاحقًا.

وبعد أن وجد الرسول مَـُالِّتُمُنِيَّةِ وَيُقَالِوَيَـُدُّ هـؤلاء النفر الستة توجه إليهم وسألهم:

من أنتم؟<sup>(1)</sup>.

قالوا: نفر من الخزرج.

قال: أمن موالي<sup>(2)</sup> يهود؟

قالوا: نعم.

قال: أفلا تجلسون أكلمكم؟

قالوا: بلى.

وبعد ذلك أخذ الرسول صَلَاللَهُ عَلَيْهِ وَعَلَالِهِ وَسَلَّم يشرح له دعوة



<sup>(1)</sup> سيرة ابن هشام.

<sup>(2)</sup> أي من حلفائهم.

الإسلام، وتلا عليهم القرآن، فما كان من هؤلاء النفر الستة إلا أن أسلموا مباشرة جميعًا دون استثناء، فكان هؤلاء الستة النواة الأولى لمن سيعرفون بعد ذلك باسم شهير «الأنصار»، ولذلك لأنهم ناصروا الرسول صَلَّاتُهُ عَلَيْهَ وَاللَّهِ وَقَدَمُوا لـه النصرة والمنعة.

وبعد ذلك اللقاء السريع في موسم الحج من العام العاشر للبعثة، رجع النفر الستة إلى مدينتهم، فذكروا لقومهم رسول الله صَأَلِتَهُ عَلَيهِ وَعَلَالِهِ وَسَلَّمَ، ودعوهم إلى الإسلام حتى فشا فيهم، فلم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر رسول الله صَمَّالِتَهُ عَلَيْهِوَعَايَالِهِوَسَلَّمُ (1)، وفي موسم الحج من العام التالي جاء وفد من الأنصار يتكون من 12 رجلًا، فبايعوا الرسول صَأَنَقَهُ عَلَيه وَعَلَى المِولَ في التاريخ بـ «بيعة العقبة الأولى»، وسميت بذلك لأنها كانت عند منطقة العقبة بمنى، وفي هـذه البيعـة لـم يشـترط الرسـول صَلَاتَهُ عَيْمَوَعَا الْهِ وَسَلَّمَ على هذا الوفد النصرة والمنعة كما كان يفعل مع زعماء القبائل الكبيرة التي كان يقابلهم، والظاهر والله أعلم أن السبب في ذلك

<sup>(1)</sup> البداية والنهاية لابن كثير.



يرجع لعدد المسلمين المحدود في المدينة، إضافة لأن غالبية من بيدهم القرار السياسي في المدينة من زعماء الأوس والخزرج لم يكونوا قد أسلموا بعد، لذلك لـم يـر د الرسـول صَاَّلِتَهُ عَلَيْهِ وَعَآ إِلِهِ وَسَلَّمَ تحميل من أسلم من أهل المدينة مسؤولية لا طاقة لهم بها، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على عقلية قيادية سليمة من رسول الله صَنَّاتَلَهُ عَلَيْهِ وَعَآ الْهِوَسَلَّةِ، فالقائد العاقل لا يكلف أتباعه أمورًا تفوق قدراتهم وإمكانياتهم، فإن فعل ذلك فهو يعرضهم للتهلكة، أو يشجعهم على عصيانه، لذلك اختار الرسول صَأَلِقَهُ عَلَيْهِ وَعَلَّالِهِ وَسَلَّمَ عوضًا عن ذلك أن يطلب منهم البيعة على بعض الأمور العقائدية والأخلاقية التي يسهل على كل واحد منهم تطبيقها على نفسه، ويبدو أن الهدف الرئيس من هذه البيعة هو وضع حجر الأساس لبناء مجتمع مسلم سليم في المدينة، فقال الرسول صَاَّلِتَهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ لَهِذَا الوفد:

"بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئًا، ولا تسرقوا، ولا تزنسوا، ولا تقتلسوا أولادكسم، ولا تسأتوا ببهشان تفترونسه بسين أيسديكم وأرجلكسم، ولا تعصسوا في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئًا فموقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئًا ثم ستره الله فه \_\_ و إلى الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقمه (1).

الشيء الآخر الملاحظ من هذه البيعة، أنها لا تحتوي على فعل أي أمر من الأوامر، بل كل ما فيها مجرد اجتناب لبعض النواهي، وهذا الأمريدل أيضًا على الاستراتيجية السليمة التي كان الرسول صَأَاتَهُ عَلَيه وَعَالِالِهِ وَسَلَّمَ يتبعها في دعوته، فهو لاء الأشخاص هم مسلمون جدد، أي أنهم بالكاد انتقلوا من مرحلة الكفر إلى مرحلة الإسلام، لذلك فإنه ليس من الحكمة أن يُطالبوا بتنفيذ أوامر تتعلق بحياتهم الجديدة قبل نهيهم على ترك بعض الأمور المحرمة التي ربما كانوا يقومون بها في حياتهم السابقة، وهذه الحكمة النبوية تغيب للأسف عن كثير من الدعاة المسلمين في هذا الزمان، فيأمرون من أسلم جديدًا أو

(1) صحيح البخاري، صحيح مسلم.

من بدأ بالالتزام دينيًا أن ينفذوا مباشرة أمورًا جديدة في حياتهم -قبل أن يتخلصوا بداية من رواسب حياتهم السابقة!

وبعدأن رجع وفد الأنصار إلى المدينة، انتشر الإسلام بشكل كبير بين الأوس والخزرج، وأسلم أبرز زعماء هاتين القبيلتين، فأحس الأنصار رَسَالِيَة عَنْهُ أنه ينبغي عليهم حماية رسول الله صَمَّاتِنَهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وإيوائه في مدينتهم، فسافر وفد كبير منهم إلى مكة بعد عام كامل من بيعة العقبة الأولى، والتقوا مع رسول الله صَاَّانِلَهُ عَلَيْهُ وَعَالَ إِلِهِ وَسَلَّمَ في موسم الحج في نفس المكان عند العقبة، وقد كان هذا الوفد الكبير مكونًا من ثلاثة وسبعين رجلًا وامرأتين، كان من بينهم الصحابي جابر بن عبدالله الأنصاري رَضَالِيَّهُ عَنْهُ، الذي يروي لنا ماذا حصل من أحداث في تلك المرحلة التاريخية المهمة:

ا فقلنا: حتى متى نترك رسول الله صَلَّقَنَعَيْمِوَقَالِهِ مَسَلَّ مَعْدِهِ وَعَلَمُهُ مَلِمُ وَ في جبال مكة ويخاف؟ فرحل إليه منا سبمون رجلاً، حتى قدموا عليه في الموسم، فواعدناه شعب العقبة، فاجتمعنا عليه من رجل ورجلين حتى توافينا، فقلنا: يا رسول الله، علام نبايعك؟ قال: على السمع والطاعة في النشاط والكسل، وعلى النفقة في العسر واليسر، وعلى أن تقولوا في الله لا تأخذكم في الله لومة لائم، وعلى أن تنصروني إذا قدمت إليكم، وتمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم، ولكم الجنة، قال: فقمنا إليه، فبايعناه، (1).

وبذلك تمت البيعة التي عرفت في التاريخ بـ «بيعة العقبة الثانية»، وهي البيعة التي بايع فيها الأنصار رسول الله سَاللَّمَتَهُوفَاللَّهُوسَدُّ على النصرة والمنعة، وبذلك حصل الرسول سَاللَّمَتَهُوفَاللَّهُوسَدُّ أخيرًا على موطن جديد لرسالته، فهاجر إلى المدينة سرًا بعد هذه البيعة بثلاثة أشهر، لتبدأ هناك مرحلة جديدة من عمر الدعوة المحمدية.

ولكن ما هو سر انتشار الإسلام بشكل سريع في المدينة بالتحديد؟ ولماذا استجاب الخزرجيون الستة الذين قابلهم

<sup>(1)</sup> رواه أحمد في مسنده.



الرسول صَلَّ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَالِمُ السَّحِنُ مِباشِرة لدعوة الإسلام؟ الإجابة تكمن في كلمات قليلة ذكرها المؤرخ ابن اسحاق يشرح فيها مجريات لقاء الرسول صَلَّ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَالَ الْوَسَدَّرُ مع هؤلاء الستة 11:

«فجلسوا معه، فدعاهم إلى الله عَزَيْجَلَّ، وعرض عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن، وكان مما صنع الله بهم في الإسلام، أن يهود كانوا معهم في بلادهم، وكانوا أهل كتاب وعلم، وكانوا هم أهل شرك وأصحاب أوثان، وكانوا قد غزوهم ببلادهم، فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا لهم : إن نبيًّا مبعوث الآن، قد أظل زمانه، نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم. فلما كلم رسول الله صَأَلِتَهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أُولَتُ كَ النفر، ودعاهم إلى الله، قال بعضهم لبعض: يا قوم، تعلموا والله إنه للنبي الذي توعدكم به يهود، فلا تسبقنكم إليه! فأجابوه فيما دعاهم إليه، بأن صدقوه وقبلوا منه





ما عرض عليهم من الإسلام، وقالوا: إنا قد تركنا قومنا، ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم، فعسى أن يجمعهم الله بك، فسنقدم عليهم، فندعوهم إلى أمرك، وتعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين، فإن يجمعهم الله عليه فلا رجل أعز منك. ثم انصر فوا عن رسول الله مَنْ النَّنْ عَلَيْهِ وَمَنْ اللهِ وَمَا لَا مَنْ المَا وَصَدَّقَ اللهِ وَمَا اللهِ بلادهم، وقد آمنوا وصدقوا».

ومن هذا الكلام، ومن بعض الدلائل التاريخية الأخرى، يمكن لنا أن نفهم أن سر استجابة هؤلاء النفر السنة يكمن في بعض العوامل:

العامل الأول: اليهود!

قد يعجب البعض أن يهود يثرب لم يكونوا فقط أهم عنصرٍ عمل على تقبل هو لاء الستة للإسلام بسرعة، بل كانوا أيضًا سببًا رئيسًا لسرعة تقبل قبيلتي الأوس والخزرج لرسالة الإسلام، فلقد كان اليهود يعلمون أن هناك نبيًا سيخرج في نهاية الزمان، وكانوا يكثرون من ذكره أمام جيرانهم من الأوس

والخزرج، ووصل الأمر بهم بأنهم كانوا يهددونهم باتباع ذلك النبي ويتوعدونهم بأنهم سيعملون بعد ذلك على قتلهم قتل إرم وعاد، وقبيلة عاد قبيلة من العرب البائدة التي تمت إبادتها عـن بكرة أبيها، فكان يهود يثرب بذلك يهددون الأوس والخزرج بحرب إبادة جماعية بعد خروج النبي الذي ينتظرونه ليتبعوه، فلما اجتمع رسول الله صَأَلِنَهُ عَلَيْهِ وَعَلَى اللهِ وَسَلَّم بِالخزرجيين الستة وأخبرهم بأنه نبي، أدركوا مباشرة أنه هو نفسه ذلك النبي الذي كان اليهود يخبرونهم عنه، وقال بعضهم لبعض: «يا قوم، تعلمون والله إنه للنبي الذي تدعوكم به اليهود، فلا تسبقنكم إليه»، أي أنهم كانوا حريصين على اتباع النبي صَالَقَانَا عَلَيه وَعَالَاهِ وَسَلَّة قبل اليهود الذين للمفارقات التاريخية العجيبة لم يتبعوه على الرغم من انتظارهم له، لذلك كان الأنصار من أسرع الناس في دخول الإسلام.

ولكن كيف علم اليهود بخروج الرسول صَّأَتُفَعَيْنِوَقِهِ الْمِسُولِ صَّأَتُفَعَيْنِوَقِهِ اللَّهِ اللَّهِ ولماذا استوطنوا ببلدة يثرب وما حولها من بلدات مثل خيبر وتيماء؟!



الحقيقة أن اليهود كانوا ينتظرون نبي آخر الزمان في تلك المنطقة الجغرافية بالتحديد لعلمهم من خلال كتبهم بأن نبي آخر الزمان سيهاجر قريبًا إلى إحدى تلك البلدات، ويؤكد هذا الأمر ما ورد في قصة الصحابي سلمان الفارسي وَعَلِقَهَة أن صاحب عمورية، الذي يبدو من كلامه أنه كان على دين المسيح التوحيدي، أوصى تلميذه سلمان وَعَلِقَهَة قبل مماته أن يسافر إلى بلاد العرب لمقابلة نبي آخر الزمان الذي حان أوان بعثته، صاحب عمورية ذكر لتلميذه سلمان وَعَلِقَهَة أوصاف المدينة التي سيهاجر إليها هذا النبي:

"أي بني، والله ما أعلمه بقي أحد على مثل ما كنا عليه آمرك أن تأتيه، ولكن قد أظلك زمان نبي يبعث من الحرم، مهاجره بين حرتين إلى أرض سبخة ذات نخل، وإن فيه علامات لا تخفى، بين كتفيه خاتم النبوة، يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة، فإن استطعت أن تخلص إلى تلك البلاد فافعل، فإنه قد أظلك ذات.

(1) فتح الباري لابن حجر العسقلاني.

لذلك ما إن رأى سلمان الفارسي مدينة يشرب وتفحص جغرافيتها ولاحظ نخليها الكثير، حتى أدرك مباشرة أنها هي المدينة التي أخبره عنها أستاذه في عمورية، ويبدو أن اليهود كانوا يشكون في عدة مدن يكثر فيها النخيل يحتمل أن تكون هي المدينة المقصودة في النبوءات التي وردت في كتبهم، لذلك تركز اليهود في الحجاز في يشرب، وخيبر، وتيماء، وهي مدن مشهورة بوفرة أشجار النخيل فيها.

ولكن ماذا ورد بالتحديد في التوراة والإنجيل من نبوءات عن هجرة الرسول محمد صَلَّلْهَاعَلَيْهَ وَعَلِّلِهِ وَسَلَّةٍ؟

لا نعرف بالتحديد تفاصيل تلك النبوءات الكاملة، ولذلك لسبب بسيط، وهو أن التوراة والإنجيل ككتابين مستقلين لم يعد لهما وجود من الأساس، كل ما تبقى من هذين الكتابين هي بعض الكتابات التي حفظت من الوحي الأصلي والموجودة في «Dod Testament» و «العهد الجديد» « New «البليل» «Testament اللذين يكونان «الكتاب المقدس» المعروف بد «البايل» «Bible»، وهي كلمة إغريقية تعنى «الكتب»، ولذلك



يطلق على المكتبة العامة في بعض لغات العالم «بيبليوتيك» أو «بيبليو تيكا»، المشكلة أن هذا الكتابات تم تدوينها من أشخاص مجهولين كثر على مدى سنوات طويلة وبعد مئات السنوات من موت موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ورفع المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ، فتمت إضافة الكثير من التاريخ المروى والقصص والحكايات التي لا علاقة لها بالوحى الأصلي الذي يتم تغييره بشكل دائم إما عن قصد أو غير قصد بسبب الترجمات المختلفة أو بسبب الزمن، لذلك يصعب إيجاد كل ما كتب عن نبوءات تخص النبي محمد الموجود حاليًا يمكننا أن نعثر على بعض الدلائل المثيرة التي تشير إلى بعض تلك النبوءات:

اوحي من جهة بلاد العرب. في الوعر في بلاد العرب تبيتين يا قوافل الددانيين 13. هاتوا ماء لملاقاة العطشان يا سكان أرض تيماء وافوا الهارب بخبزه 14. فانهم من امام (1) السيوف

~<sup>(19)</sup>~

<sup>(1)</sup> امام: الصحيح أن تكتب بالهمزة •أمام»، وتحتوي الترجمة العربية للكتاب المقدس على العديد من الأخطاء الإملاقية والتحوية، وقد رأينا نقل النص دون تعديل كما وجدناه.

قد هربوا. من امام السيف المسلول ومن امام القوس المشدودة ومن امام شدة الحرب15. فانه هكذا قال لي السيد في مدة سنة كسنة الاجير يفني كل مجد قيدار16 "<sup>(1)</sup>.

وتيماء أرض تقع شمال المدينة المنورة التي كانت تعرف باسم يثرب، والمتمعن لهذه الكلمات يلاحظ أنها تتحدث عن الهجرة التي هاجر فيها الرسول محمد صَّالَّتُنَكِّبَهُ وَعَلَّاهِ وَتَلَا الهسلمون خوفًا من بطش قريش، وقيدار اسم أحد أبناء إسماعيل عَيَّهُ الذي كان يعيش في مكة، وهو أحد أجداد قريش، والواضح أن هذه الكلمات تتحدث عن حرب ستحدث في مدة السنة، بعد الهجرة، وهي المدة التي حدثت بعدها معركة بدر الكبرى!

العامل الثاني: الحروب القبلية بين الأوس والخزرج!

من أهم العوامل التي عملت على سرعة تقبل سكان المدينة للإسلام وهو اسم لمعركة طاحنة وقعت بين أبناء العمومة من الأوس والخزرج بمكيدة من يهود يشرب قبل

<sup>(1)</sup> الكتاب المقدس «الباييل» - سفر أشعياء: الإصحاح 21.

الإسلام بخمس سنوات فقط! قتل فيها أعظم زعمائهم وقادتهم الكبار، فأحس الأوس والخزرج أنهم بحاجةٍ إلى رجلٍ حكيم يوحِّد صفوفهم من جديد، فكان رسول الله سَاَلِقَتَهُ،وَعَلَالِهِوَتَلَّهُ بمثابة المنقذ للأنصار.

العامل الثالث: الجذور اليمانية للأوس والخزرج!

لعل التركيبة السكانية لأفراد قبيلتي الأوس والخزرج لعبت دورًا إضافيًا في سهولة تقبلهم لدعوة الإسلام واستقبال الرسول صَلَابَتَهُ عَلَيْهِ وَعَلَالِهِ وَسَلَّمَ مهاجرًا إلى أرضهم، فالذي لا يعرفه الكثيرون عن الأنصار من هاتين القبيلتين أنهم كانوا بالأصل أحفادًا لمهاجرين من اليمن، وبالتحديد من قبيلة الأزد اليمانية، وبالتأكيد فإن هذا الأمر خلق في ثقافتهم الجمعية تعاطفًا إنسانيًا مع المهاجرين والمضطهدين، ولا شك أنهم يمتلكون مرويات شعبية موروثة من أجدادهم تتحدث عن قضية الهجرة ومعنى أن يضطر الإنسان للهجرة من أرضه ومفارقة أهله، إضافة لذلك فإن العرب من أهل اليمن يمتازون برقة في القلوب يفتقد لها كثير من العرب العدنانيين الـذين يمتازون بالشـدة والصـلابة في



الطبع، وهذا ليس عيبًا فيهم، وإنما هي الفروقات البشرية الناتجة عن اختلاف الموروثات الثقافية وتنوع الطبيعة الجغرافية والمناخية لسكان الجزيرة العربية، وأهل اليمن بحكم طبيعة بلادهم ومناخها من رعاة الغنم، بينما يمتاز سكان قريش على سبيل المثال برعى الإبل، ورعى الإبل يحتاج للشدة، بينما يحتاج رعى الغنم للحكمة والهدوء، ويمنحه وقتًا للتأمل والتفكر، الأمر الذي يكسب راعي الغنم جوًا من السكينة والوقار، لذلك «ما بعث الله نبيًا إلا رعى الغنم»(1)، وقد قال رسول الله صَلَاتَهُ عَلَيْهُ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّم واصفًا سكان اليمن الذين قدموا إلىه بعد ذلك:

"أتاكم أهل اليمن، هم أرق أفتدة وألين قلسوباً، الإيمان يمان، والحكمة يمانية، والفخر والخيلاء في أصحاب الإبل، والسكينة والوقار في أهل الغنم، (2).

كل هذه الأمور عملت على سرعة تقبل الأنصار للإسلام

<sup>(2)</sup> حديث صحيح رواه المخاري ومسلم، واللفظ للبخاري.



<sup>(1)</sup> صحيح البخاري.

وجهوزيتهم لاستقبال رسول الله صَّالَقَاتَكِيَّوَعَالِيَوَسَدُّ وأصحابه في أرضهم، وإضافة لهذا كله، حدث في تلك الأثناء أمر كان بمثابة النقطة الفاصلة في سرعة انتشار الإسلام في المدينة!

فبعد بيعة العقبة الأولى، طلب الأنصار من رسول الله كَالْمُنْتَكْبُونَا اللهِ وَمَا لَهُ يَبعث معهم شخصًا يعلمهم الدين ويقرأ عليهم القرآن، فاختار الرسول كَالْمَنْكَبُونَا اللهِ وَمَا لَهِ له المهمة شابًا من أصحابه ليسافر إلى المدينة لتعليم أهلها الإسلام، فما أن وصل هذا الشاب القرشي إلى المدينة حتى أحدث فيها ثورة اجتماعية غيرت من موازين المعادلة في الجزيرة العربية!

فمن يكون ذلك الشباب القرشي؟ وما الذي قام به في المدينة؟ ولماذا وقع عليه اختيار رسول الله سَؤَلَقَنَيَّةِ وَعَلَىٰ اللهِ وَسَاللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ اللهِ وَسَاللَّهُ وَاللهِ وَاللّهُ وَاللّهِ وَلّهُ وَاللّهُ وَاللّهُو

يتبع...

80.¢03





﴿ لَدَ اللَّهُ اللَّهِ مَصِبَ النَّاسُ أَن يُرَكُوا أَن يَقُولُوا مَا مَكَ ا وَهُمْ الْأَيْنَ نُونَ ۞ وَلَعَدْ فَتَنَا اللَّينَ مِن فَبْلِهِمْ فَلِيعَلُمَنَّ اللَّهُ اللَّذِيكَ صَدَقُوا وَلِيَعَلْمَنَّ الْكَذِينَ ۞ ﴿ ( )

من بين أوائل البشر الذين آمنوا برسالة محمد صَلَّقَهُ عَلَيْهِ وَعَلَّهُ مَنْ مِن اللَّرَت رَحَقَقَهُ عَنْهُ وقد شاب من قبيلة تميم العربية اسمه خبّاب بن الأَرَت رَحَقَقَهُ عَنْهُ وقد كان خباب رَحَقَقَهُ عَلَيْهُ عَلَيْ مَعْ مَكان خباب رَحَقَقَهُ عَلَيْهُ عَلَي صغيرًا وعرضه في سوق العبيد، لتشتريه سيدة خزاعية من سكان مكة ليصبح عبدًا لها، وبعد أن يُعث الرسول صلى الله علي وسلم بدعوة الإسلام، جذبت هذه الدعوة الجديدة بما تحتويه من مبادئ للعدل والمساواة بين البشر خبابًا رَحَقَقَهُ ولأنه كان ففيرًا ووحيدًا ويفتقد للدعم القبلي في مكة، اعتبر من بين المستضعفين الذين لم يكن كفار قريش يحسبون

سورة العنكبوت، الأيات 1 –3.



لهم حسابًا في مكة، فقاموا بتعذيبه تعذيبًا شديدًا لكي يترك دين الإسلام، فكانوا يوقدون النار ثم يسلقونه عليها، ثم يضعونه على الأرض، ويعتلى رجل صدره(١)، وكانت مولاته تأخذ الحديدة المحماة فتضعها على رأسه(2)، هذا الأمر لم يترك ندويًا ظلت مرسومة على جسده وحسب، بل عملت على فقدان خباب رَسِّؤَلِتُهُ عَنْهُ لأَجْ إِهِ من لحمه احترقت بالكامل نتيجة لعمليات التعذيب البشع التي كان يتعرض لها، وبالرغم من كل ذلك، رفض هـذا الشباب الفقير تـرك إيمانـه بـدعوة الرسـول صَأَلِتَهُ عَلَيْهِ وَطَلَّمَ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَى عَلَى عَلَى عَلَى عَلَيْهِ وَاسْتَمَرَتَ قريش في تعذيب هـ و ومـن معـه مـن المستضعفين، ويبـدو أن الآلام الجسـدية والنفسية قد اشتدت عليهم لدرجة لم تعد تحتمل، فذهبوا إلم , الرسول صَلَّابَتَهُ عَلَيْهِ وَعَلَى اللِّهِ وَسَلَّمُ ليشكوا له حالهم، فقالوا له: يا رسول الله، ألا تدعو لنا؟ ألا تستنصر لنا؟

فقال الرسول صَأَلِنَهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ:

«كان الرجل فيمن قبلكم يُحفر له في الأرض فيجعل

<sup>(2)</sup> أسد الغابة لابن الأثير.



<sup>(1)</sup> الطبقات الكبرى لابن سعد.

فيه فيجاء بالمنشار فيُوضع على رأسه فيشق بائتين وما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب وما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمنَّ هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئسب على غنمه ولكنكم تستعجلون»(1).

لقد كان الرسول سَرَاتَشَعَيْمَوَعُ المِوسَةُ يعلم ما يصيب أصحابه من عذابات جسدية في شوارع مكة، وكان ألمه شديدًا لما يتعرضون له، وكان أصحابه دائمًا نصب عينيه في عمله الدؤوب لإيجاد مخرج لهذا الواقع الصعب الذي يمر به المسلمون في مكة، ولكنه في نفس الوقت كان يخشى عليهم أن يتسلل اليأس مكة، ولكنه في نفس الوقت كان يخشى عليهم أن يتسلل اليأس إلى قلوبهم في لحظة من اللحظات، أو أن يفقدوا الأمل والإيمان في قضيتهم العادلة نتيجة للظلام والظلم الذي يرونه منتشرًا حولهم، لذلك حرص الرسول صلى الله علي وسلم على تذكيرهم بأساليب التعذيب البشعة التي كان يتعرض لها المسلمون السابقون من أنباع من سبقه من الأنبياء، وتذكيرهم المسلمون السابقون من أنباع من سبقه من الأنبياء، وتذكيرهم

(1) صحيح البخاري.



بثبات هؤلاء المسلمين بالرغم من كل ما تعرضوا له، وبعد ذلك ذكرهم بالمستقبل المشرق الذي ينتظر هذه الدعوة، وكان الرسول عَلَّشَنَقَهُ وَيَقَالَقُ بريد بذلك ألا يترك المسلمون مجالاً للكفار للنيل من إيمانهم قيد أنملة، كان الرسول عَلَّشَنَقَهُ وَيَقَالُهُ وَيَلَّ اللهِ وَيَلِي اللهِ وَيَلِي اللهِ وَيَلِي مِلْ اللهِ اللهِ وَيَلِي اللهِ اللهِ وَيَلِي اللهِ اللهِ وَيَلِي اللهِ وَيَلِي اللهِ وَيَلِي اللهِ اللهِ عَلَى مِللهِ اللهِ اللهِ وَيَلِي اللهِ اللهِ وَيَلِي اللهِ اللهِ وَيَلِي اللهِ اللهِ اللهِ وَيَلِي اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ

﴿الَّهُ ۞ أَحَسِبَ النَّاشُ أَن يُوْرَكُواۤ أَن يَقُولُواْ ءَامَكَ ا وَهُمُ الْاِنْمَتُدُونَ۞ وَلَعَدْ فَتَنَا الَّذِينَ مِن مَبْلِهِمُ ظَيْعَلُمَنَّ اللَّهُ ٱلَّذِينِ كَسَدَقُواْ وَلَيْعَلَمَنَ الْكَذِينِ ۞ ﴿ '' !

فهناك كثير ممن يدعون انتماءهم للإسلام مستعدون لبيع دينهم بأرخص الأثمان، وهناك من يعيش حياته يتحدث باسم المدين، ويمذكر للناس بشكل دائم قصص ثبات الصحابة والسلف الصالح، ولكنه عندما يتعرض لاختبار في ثباته، كأن تقدم إليه إغراءات مالية، أو أن يتعرض للتهديد من أي نوع،

<sup>(1)</sup> سورة العنكبوت، الآيات 1 -3.



يكتشف الناس أن كل ما كان يذكره من قصص عن الثبات كانت مجرد أوهام يبيعها على بسطاء الناس، ليسقط هو كالثمرة العفنة، بينما يبقى ذكر الثابتين على الحق خالدًا عبر التاريخ، ولعل في قصة سحرة فرعون التي ذكرت في القرآن درسًا في معنى الثبات، فهؤلاء السحرة عندما عرضوا خدماتهم على فرعون لم يكونوا دعاة مبدأ أو دين من الأساس، بل كانوا مجرد طالبي مال ودنيا، ولكنهم عندما علموا صدق موسى عَيْبِالسَّلَمْ آمنوا بالله حق إيمانه، وثبتوا على الحق رغم التهديدات المخيفة التي أطلقها الطاغية فرعون، وقالوا له بكل ثبات: «فَاقْض مَا أَنتَ قَاضٍ»، كل هذا الإيمان وكل هذا الثبات وهم لم يركعوا لله ركعة في حياتهم، ولكنهم ضربوا بثباتهم أروع صور السمو الإنساني، ليحفظ الله ذكرهم في كتاب يتلى في المحاريب إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها:

﴿ فَأَلْقِى ٓ الْسَحَرَةُ شَجَدًا قَالُوٓا مَامَنَا مِنِ هَرُونَ وَمُومِنَ ۞ قَالَ مَامَنُمُ لَهُ. قَبَلَ أَنَّ مَاذَنَكُمُّ إِنَّهُ لَكَبِرُكُمُ الَّذِي عَلَمْكُمُ السِّحَرِّ فَلَأُقَطِعَتَ آبَدِيكُمْ وَأَرْجُلُكُم مِنْ خِلْفِ وَلَأُصَلِبَنَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلَنْعَلَمُنَ آبُنَا آ أَشَدُّ عَلَافٍ وَأَبْقَىٰ ﴿ قَالُوا لَن نُؤْثِرُكَ عَلَى مَا جَآءَنَا مِنَ الْبَيَنَتِ وَالْبَيْنَةِ وَالْفِيرَةُ مَا مَنَا اللّهُ وَالْبَيْنَ وَالْفِيرَةُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّه

وقــد كــان الرســول صَأَبَتَهُ عَلَيْهِ وَعَالِهِ وَسَلَّمَ قــدوة لأصــحابه في الثبات، فقد حاول كفار قريش كسر عزيمته وإيقاف مسبرة تقدمه باستخدام أساليب مختلفة، منها ما كان جسديًا، ومنها ما كان نفسيًا، فاتهموه بالكذب، وشبككوا بقدرات العقلية، وأشاعوا عنبه شبائعات تهيدف لتشبويه سيمعته، وحاصروه اجتماعيًا، وحاربوه اقتصاديًا، وعرضوا عليه المال والملك والنساء مقابل تـرك دعوتـه، واعتـدوا عليـه جسـديًا في عـدة مناسبات، وصاروا يسخرون منه بأساليب منحطة، واعتدوا على أقرب الناس إليه، ووصل الأمر بهم إلى حد التخطيط لتصفيته جسديًا قبل الهجرة، كل ذلك والرسول الله

<sup>(1)</sup> سورة طه، الأيات 70-73.

صَالَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَمْ ثَابِت كالجبال الراسخة، بالرغم من شراسة الحرب الظالمة التي شنها زعماء قريش عليه.

لذلك لم يكن غريبًا على أصحاب محمد صَالِقَهُ عَلَيْهِ وَعَلَا المِوَسَلَّةِ أَن يكونوا ثابتين مثل معلمهم، ومن بين هؤلاء الأصحاب الذين أربكوا زعماء قريش بثباتهم وإيمانهم الراسخ شاب اسمه مصعب بن عمير رَسِّوَالِيَّهُ عَنْهُ، هذا الشاب لم يكن فقيرًا معدمًا، ولك يكن غريبًا لا أهل له ولا سند، بل كان مصعب رَحِيَلَقَهُ عَنْهُ شَابًا وسيمًا مترفًا من أجمل وأغني شباب مكة، وكان يلبس أفخر الملابس ويتطيب بأطيب العطور، فهو ينتمي لعائلة من أغني عائلات مكة وأرقاها حسبًا ونسبًا، فمصعب بن عمير رَجَالِتَهُ عَنْهُ ينتمي لبني عبد الدار الذين يحملون شرف حمل مفتاح الكعبة ويتولون مسؤولية سدانتها، فقد قسمت قريش شؤون مكة في الجاهلية بين بطونها، فاختص بنو عبد الدار بمهمة سدانة الكعبة، والسدانة تعني العناية بالكعبة والقيام بشؤونها من فتحها وإغلاقها وتنظيفها وغسلها وكسوتها وإصلاح هذه الكسوة إذا تمزقت واستقبال زؤارها وكل ما يتعلق بذلك، وهذا الأمر أكسبهم شرفًا عظيمًا بين العرب،

وأيضًا اختص بنو عبد الدار بمسؤولية القيام بدار الندوة التي كانت بمثابة مجلس الشيوخ لزعماء مكة، إضافة لهذا كله كان بنو عبد الدار هم حملة لواء قريش في حروبها، لـذلك فـإن قريشًـا بعـد أن علمت بإسلام مصعب رضى الله عن لم تجرأ على تعذيبه كما فعلت مع المستضعفين من سكان مكة الذين لا يملكون قبيلة تحميهم من بطش الكفار، وعوضًا عن ذلك مارست عليه أمه ضغوطات نفسية كبيرة، وبعد ذلك تم حبسه وتوثيقه لرده عن دينه الذي اختاره لنفسه، ولكن مصعبًا رَجَوَاتِنَهُ عَنْهُ استمر على موقفه بكل ثبات، ورفض أن يترك دين الإسلام، وبعد ذلك استطاع مصعب بن عامر رَضَاللَّهُ عَنْهُ الهرب من محبسه، وهاجر إلى الحبشة مع المسلمين الذين لجأوا إليها هربًا من ظلم قريش، قبل أن يعود مكة من جديد، ليختاره الرسول صَأَلِقَتْ عَلِيهُ وَعَلَى الدِوسَلُمُ بعد بيعة العقبة الأولى ليسافر إلى المدينة ويعلم أهلها مبادئ الإسلام ويقرأ عليهم القرآن، فكان مصعب رَمِيَّكَهَهُ بذلك أول سفير في تاريخ الإسلام.

ولكن ما هي الأسباب التي جعلت الرسول صَّأَلَفَهُ عَيِّيهُ عَلَيْهِ وَسَلَّةً و 200) يختار من أجلها مصعب بن عمير رَحِيَّقَةَ ليكون مبعوثه الخاص إلى المدينة؟ ولماذا وقع الاختيار على مصعب رَحَيَّقَةَة دون غيره من الصحابة لهذه المهمة الخطيرة؟!

لا نعرف بالتحديد ما كان يفكر به الرسول صَلَّفَتَهُ وَالْمَسْتَهُ وَالْمَسْتَهُ وَالْمَسْتَهُ وَالْمَسْتَهُ وَالمَدينة، عندما اختار مصعب بن عمير وَ وَالْتَعَنَّةُ لِارساله إلى المدينة، ولكن المتأمل في تحركات واختيارات الرسول صَلَّفَتَهُ وَ وَالْمَسْتَقُ وَاللَّمِ وَلَى وراسة علمية محددة الأهداف، في حياته يجد أنها تتم وفق دراسة علمية محددة الأهداف، لذلك سنذكر هنا بعض الأمور التي ربما كانت من أسباب وقوع الاختيار على مصعب بن عمير وَ وَاللَّمَةُ التحديد:

1. الثبات: أكد مصعب بن عمير رَحِيَقَة خلال سنوات إسلامه الأولى أنه ثابت الإيمان، وقد برهن على ذلك من خلال تمسكه بدينه بالرغم من الضغوطات النفسية التي كانت تمارسها عليه أمه، ومن خلال إصراره على التمسك بدينه على الرغم من حبسه وتوثيقه، ولا شك أن ثبات هذا الشاب الغني الذي كان بمثابة فتى قريش المدلل والذي اعتاد على رغد العيش كان من بين أهم المؤهلات التي رشحته لمهمة السفر

إلى المدينة، فلو أن مصعبًا رَحَلِيَلَةِ كان شخصًا مهزوزًا ويفتقد للثبات الإيماني.

كان يمكن له في تلك الحالة أن يرتد عن دينه في المدينة، فيفتن بذلك المسلمين الجدد في دينهم، أو أن يستقل بالمدينة عن تبيعت لرسول الله حَيَّشَتَهَ عَبَوَهَا المَّهَ الله عَلَيْ المَعْتَقَلَ عَن المِلطة والشهرة، فيأسس في المدينة نظامًا سياسيًا مستقلًا عن رسول الله حَيَّشَتَهُ عَبَوَهَا المَعْتَقَلَ عَن رسول الله حَيَّشَتَهُ عَلَيْوَا الله عَلَيْ المَعْتَقَلَ عَن رسول الله حَيَّشَتَهُ عَلَيْ وَرسمًا يؤسس دينًا جديدًا كما فعل مسيلمة الكذاب بعد ذلك، وقد تكرر أمر تمرد وانشقاق السفراء والتابعين في التاريخ في حالات كثيرة لا يتسع المقام لذكوها، لذلك فإن ثبات مصعب بن عمير رَحَيَّشَتَهُ ضروريًا للغاية في هذه المهمة الخطيرة.

2. الخبرة: كان مصعب بن عمير رَحَيَّتَهَ عَنْ مِن بين المهاجرين المسلمين إلى الحبشة، ولا شك أن وجوده السابق في بلد أجبية مثل الحبشة أكسبه خبرة في كيفية تعامل الأجنبي مع أهل البلاد الأصليين، الأمر الذي من شأنه تقليل إمكانية حدوث مشكلات ناتجة عن اختلاف الثقافات بين المهاجر والسكان



## الأصليين.

3. الأسلوب: كان مصعب بن عمير رَمَعَلِيَّهُ عَنْهُ بطبعه إنسانًا رقيقًا، دمث الخلق، حكيمًا في تعاملاته مع الآخرين، لطيفًا في ألفاظه معهم، بشوش الوجه، حسن المعشر، وهذه الصفات ليست فقط مهمة، بل ضرورية لأي داعية يسعى للتواصل مع الناس لطرح ما لديه من أفكار، فالناس إذا ما وجدوا أن الداعية يتعامل معهم بقسوة وغلظة، فإنهم في الغالب سينفرون منه حتى وإن كانوا مقتنعين بدعوته، لذلك فإن اختيار شاب رقيق مثل مصعب بن عمير رَجَالِيُّكُهُ كَانَ اختيارًا موفقًا للغاية، على الرغم من وجود من كان أكثر منه علمًا وصحبةً لرسول الله صَلَّاللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَّالِهِ وَسَلَّمَ من اللَّذِينِ لازموه في مكة ولم يهاجروا إلى الحبشة، فمثل هذه المهمات الدعوية تحتاج بالأساس إلى داعية يتميز بالرقة والحكمة وبشاشة الوجه.

4. نسبه وحسبه: انتماء مصعب بن عمير وَ اللَّهَ عَبد المدار سيكون عاملًا مساعدًا للغاية في مهمته الجديدة في المدينة، فبالرغم من أن رسول الله صَلَّالَقَاعَدِه وَالْعَرَقِية، إلا أنه في نفس الناس على حسب انتماءاتهم القبلية والعرقية، إلا أنه في نفس

الوقت كان إنسانًا عاقلًا يرى الواقع الذي يعيش فيه والبيئة التي تحيط به، فالعرب بطبيعتهم يمجدون الأشخاص ذوي النسب والحسب، ووجود شاب شريف من عائلة قرشية كبيرة تشرف على بيت الله الحرام الذي تقدسه العرب سيسهل عليه مهمة دعوة الناس والتحدث مع كبراء القوم في المدينة، وهذا ما حصل بالفعل، فقد تمكن مصعب بن عمير رَضِاللهُ عَنهُ من مقابلة سادة الأوس والخزرج والجلوس معهم في نفس المجلس ودعوتهم إلى الإسلام، ويمكن تخيل مجرد إمكانية حدوث هذا الأمر لو أن من تم إرساله إلى المدينة كان أحد المستضعفين المسلمين، ولا شـك أن الرسـول صَائِلَةُ عَلَيْهِ وَعَلَالِهِ وَسَلَّة وضع في حسبانه هذه الاعتبارات الاجتماعية عند اختياره لمصعب بن عمير العبدري رَضَالِيَّهُ عَنْهُ.

وبالفعل...

فقد أظهر مصعب بن عمير رَكِيَّةَ تَمُاءة وبراعة فاقت التوقعات، فما إن وصل المدينة حتى بدأ بمهمته في تعليم المسلمين أمور دينهم، وامتدت نشاطاته لتشمل دعوة غير

المسلمين إلى الإسلام، وقد نزل مصعب رَضَالَتُهُ عَنهُ في ضيافة الصحابي الأنصاري أسعد بن زرارة الخزرجي رَعِيَالِلَهُ عَنْهُ الذي صار رفيقه في تحركاته لدعوة الناس إلى الإسلام، وفي يوم من الأيام، خرج مصعب بن عمير رَضَاللَهُ عَنْهُ وأسعد بن زرارة في مهمة دعوية إلى حديقة تابعة لنفر من قبيلة الأوس، وقدر أن يتواجد في تلك الحديقة في ذلك الوقت سيدان من كبار سادة قبيلة الأوس، وهما أسيد بن حضير وسعد بن معاذ، وقد كانا في ذلك الوقت كافرين، والظاهر أن سعدًا كان قد سمع بأمر ذلك الشاب القرشي الذي جاء من مكة ليغير دين قومه في المدينة، فأراد أن يطردهما من الحديقة، ولكنه امتنع عن ذلك لكون أسعد بن زرارة رَحِيَالِلْهُ عَنْهُ ابن خالته، فطلب من صاحبه أسيد بن حضير أن يقوم بهذه المهمة نيابة عنه، وقال له بغضب:

لا أبا لك! انطلق إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارينا ليسفها ضعفاءنا، فازجرهما وانههما عن أن يأتيا دارينا، فإنه لولا أن أسعد بن زرارة مني حيث قد علمت كفيتك ذلك، هو ابن خالتي، ولا أجد عليه مُقدَّما. فأخذ أسيد بن حضير حربته، وتوجه بغضب نحو مصعب بن عمير وأسعد بن زرارة وَ الله عَلَيْنَانَا، فلما رآه أسعد وَ الله الله متوجهًا نحوهما، أدرك أنها فرصة ثمينة لدعوة هذا الرجل السيد في قومه، فقال لمصعب وَ الله عَنْهَا:

هذا سيد قومه قد جاءك، فاصدق الله فيه.

فلما اقترب أسيد بن حضير منهما قال لهما بصوت غاضب:

ما جاء بكما إلينا تسفهان ضعفاءنا؟ اعتز لانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة!

فقال له مصعب رَحَالِقَهُنة: أو تجلس فتسمع؟ فإن رضيت أمرا قبلته، وإن كرهته كُفَّ عنك ما تكره!

فقال أسيد: أنصفت!

ثم ركز أسيد بن حضير حربته، وجلس إليهما يستمع، فكلمه مصعب بالإسلام، وقرأ عليه القرآن، فبدأت ملامح وجه



أسيد بن حضير تتغير، وقد علق مصعب وأسعد على ذلك لاحقًا بقولهما:

## «والله لعرفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم في إشراقه وتسهله!»

ثم قال أسيد بن حضير: ما أحسن هذا الكلام وأجمله، كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين؟

فقـالا له: تغتسل فتطهر وتطهر ثوبيك، ثـم تشهد شمهادة الحق، ثم تصلي

فقـام فاغتسـل وطهر ثوبيه، وتشهد شمهادة الحق، ثـم قـام فركع ركعتين.

وبعد أن أحس أسيدبن حضير تَحَيَّقَتُهُ بحلاوة الإيمان، أراد مباشرة أن يبدأ بالتحرك لنشر هذا الدين بين الناس، فقال لمصعب وأسعد رَحَلِقَتُهُ:

إن وراثي رجلًا إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه، وسأرسله إليكما الآن، سعد بن معاذ!



ثم أخذ حربته وانصرف إلى سعد وقومه وهم جلوس في ناديهم، فلما نظر إليه سعد بن معاذ مقبلًا، قال لمن حوله:

أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم!

وقد كان أسيد بن حضير رَحَيَّهَمَّة يفكر في حيلة يدفع من خلالها سعدًا لكي يستمع إلى كلام مصعب رَحَيَّهَمَّة ويستمع إلى القرآن، فلما وقف على النادي قال له سعد: ما فعلت؟

قال: كلمت الرجلين، فوالله ما رأيت بهما بأسا، وقد نهيتهما، فقالا: نفعل ما أحبيت، وقد حُدثت أن بني حارثة قد خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه، وذلك أنهم قد عرفوا أنه ابن خالتك، ليخفروك! فقام سعد مغضبا مبادرًا متخوفًا على ابن خالته، وتناول الحربة، ثم خرج إلى الرجلين، فلما رآه أسعد بن زرارة رَعِنَكَ مَنْ مَرجها نحوهما، قال لمصعب رَعِنَكَ مَنْهُ:

أي مصعب، جاءك والله سيد من وراءه من قومه، إن يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان!



فلما اقترب منهما سعد، رآهما مطمئنين، فأدرك أن أسيدًا إنما أراد منه أن يسمع منهما، فوقف عليهما متشتمًا، ثم قال لأسعد بن زرارة رَحِيَّكَمَّة:

يا أبا أمامة، أما والله لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمت هذا منى، أتغشانا في دارينا بما نكره؟!

فقال له مصعب بن عمير رَسَهَا الله الله تقعد فتسمع؟ فإن رضيت أمرًا ورغبت فيه قبلته، وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره! قال سعد: أنصفت!

ثم ركز الحربة وجلس يستمع إلى كلام مصعب رَجْيَقَهُمّا، فعرض عليه الإسلام، وقرأ عليه القرآن، ووصف أسعد ومصعب رَجَيَقَهُمّا لاحقًا ما حصل مع سعد في ذلك الوقت:

> «فعرفنا والله في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم، لاشر اقه وتسهله!»

ثم قال لهما سعد: كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين؟



قالاً: تغتسل فتطهر وتطهر ثوبيك، ثم تشهد شهادة الحق، ثم تصلى ركعتين.

فقام سعد بن معاذ رَحَقِيَّة فاغتسل وطهر ثوبيه، وتشهد شهادة الحق، ثم ركع ركعتين، ثم أخذ حربته، فأقبل عامدًا إلى نادى قومه ومعه أسيد بن حضير، فلما رآه قومه مقبلًا قالوا:

نحلف بالله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم!

فلما وقف عليهم قال لهم سعد رَسَالِتُهُ عَنهُ:

يا بني عبد الأشهل، كيف تعلمون أمري فيكم؟ قالوا: سيدنا وأوصلنا وأفضلنا رأيا وأيمننا نقيبة.

قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم على حرام حتى تؤمنوا بالله ويرسوله!

فلم يمسِ في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلمًا ومسلمة! (1).

<sup>(1)</sup> سيرة ابن هشام، تاريخ الطبري، البداية والنهاية لابن كثير.

وبعد ذلك انتشر الإسلام بشكل كبير في بقية قبيلة الأوس، ويومًا بعد يوم أخذت رسالة الإسلام تنتشر بشكل متسارع في جميع أرجاء المدينة على يدي مصعب بن عمير رَحِيَالِلَهُ عَنهُ فأقبل الناس في المدينة على دين الله، فكانت المدينة بعد أقل من عام من وصول مصعب رَمِنَاتِنَهُ عَنْهُ مستعدة الاستقبال رسول الله صَلَّاتَهُ عَلَيْهِ وَهَلَّهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، ليخرج وفد كبير منها ويبايعوا الرسول صَزَابَتَهُ عَلَيهِ وَعَلَى اللهِ وَسَلَّم بيعة العقبة الثانية، التي مهدت الأعظم هجرة في تاريخ الإنسانية، الهجرة التي بدأت من بعدها أحداث فاصلة في تاريخ الأرض، بعد أن أثبت مصعب بن عمير رضي الله أن اختيار الرسول صَلَاللهُ عَلَيهِ وَعَلَاللهِ وَسَلَّمَ له في هذه المهمة الخطيرة كان اختيارًا في محله.

ولكن... هل كان نجاح الرسول صَلَّشَتَهُ وَعَالِهِ رَسَّةُ فِي اختياره لمصعب بن عمير رَضَقَهُ مَهُ أمرًا استثنائيًا؟ أم أن الرسول صَلَّشَعَهُ وَعَلَيْهُ وَعَلِيهُ وَعَلَيْهُ وَعِلْهُ وَعَلَيْهُ وَعَلَيْهُ وَعِنْ وَعِنْ فَعَلَيْهُ وَعَلَيْهُ وَعِلْهُ وَعِلَيْهُ وَعَلَيْهُ وَعَلَيْهُ وَعَلَيْهُ وَعَلَيْهُ وَعَلَيْهُ وَعِلَاهُ وَعِلَاهُ وَعِلَاهُ وَعِلْمُ وَعِلْمُ وَعِلْهُ وَعِلْهُ وَعِلْمُ وَاللّهُ وَعِلْمُ وَعِلْمُ وَعِلْمُ وَعِلْمُ وَالْعَلِمُ وَعِلَمُ وَالْعَلِمُ وَالْعِيمُ وَاللّهُ عِلَيْهُ وَعِلْمُ وَاللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ وَعَلَيْهُ وَعِلْمُ اللّهُ وَعِلْمُ وَاللّهُ وَالْعَلِمُ وَالْعُلِمُ وَاعِلُمُ وَالْعُلِمُ وَالْعَلِمُ وَعِلْمُ وَالْمُعُلِمُ وَالْعُلِمُ وَالْعُلِمُ وَالْعُلِمُ وَالْعِلْمُ وَالْعُلِمُ وَالْعُلِمُ وَالْعُلِمُ وَالْعِلْمُ وَالْعُلِمُ وَالْعُلِمُ وَالْعِلْمُ وَالْعُلِمُ وَالْعُلِمُ وَالْعِلْمُ وَالْعُلِمُ وَالْعُلِمُ وَالْعُلِمُ وَالْعِلْمُ وَالْعُلِمُ وَالْعُلِمُ وَالْعُلِمُ وَالْعُلِمُ و

يتبع...

في اختياراته؟

છા∳લ્લ

بالفعل، ما هي الأسس التي كان يتبعها الرسول صَأَلِتَهُ عَلَيْهِ وَعَلَالِهِ وَسَلَّمَ





«إذا أسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة»(1)

جاء الصحابي أبو ذر الغفاري رَحَيَّكَهَ ذات مرة إلى رسول الله سَالِمَتَنَدَعَيَوهَ عِلَيْهِ اللهِ إن كانت هناك إمكانية بأن يوكل إليه الرسول سَالِمَتْنَكِيْهِ وَعَلَيْهِ اللهِ وَطْيفة ذات مسؤولية، فقال أبو ذر الغفاري رَحَيَّكَهَ عَنْهُ:

يا رسول الله، ألا تستعملني؟

فضرب رسول الله مَـُـاللَّهُ مَـُـاللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى اللهِ مَـُـاللَّهُ اللهِ على منكبيـه تلطفًا وترفقًا، وقال له:

«يا أبا ذرِّ، إنك ضعيفٌ، وإنها أمانةٌ، وإنها يومَ القيامة

(1) صحيح البخاري.



## خزيٌّ وندامة، إلا من أخذها بحقِّها وأدَّى الذي عليهِ فيهاء(١٠).

هذه الحكاية البسيطة التي رواها أبو ذر الغفاري رَحَاللَهُ عَنهُ، تختصر بشكل بليغ المنهجية الثابنة التي كان رسول الله صَلَّاللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَّالِهِ وَسَلَّمُ يَتَبِعِهِ ا فِي اختياراتِ اللَّاسْخاص اللَّذين توكل إليهم المهمات القيادية المختلفة، فقد كان الرسول صَأَلِتَهُ عَلَيْهِ وَعَلَى إلهِ وَسَلَّمَ يحرص على تعيين الشخص المناسب في المكان المناسب، وكان يحرص عند تعيين موظفيه على تحييد العامل العاطفي في اختياراته، فكانت كفاءة الشخص، ومناسبته لطبيعة المهمة، من أهم العوامل التي ينظر إليها الرسول صَلَّاتَهُ عَلَيْهُ وَعَلْمَ إِلِهِ وَمَلَّمْ عند اختياره للأشخاص المكلفين بأداء المهمات المختلفة، فبالرغم من حب الرسول صَّلَاتَهُ عَلَيْهُ وَعَالِهِ وَسَلَّمَ الكبير لأبى ذر الغفاري رَجَوَالِلَهُ عَنهُ، امتنع عن تعيينه بمنصب قيادي، وذلك لعدم مناسبته لهذا المنصب، والسبب في ذلك هو ضعف أبي ذر الغفاري رَخِيَاتِتَهُءَنهُ، وليس المقصود بالضعف هنا الضعف

(1) صحيح مسلم.



الجسدي، فقد كان أبو ذر الغفاري رَضَّ لَلَّهُ عَنْهُ قوى البدن شجاعًا، ولكن المقصود بالضعف هنا هو ضعف الرأي<sup>(1)</sup>، أي أن أبا ذر رَسِّوَلِيَّةُ عَنهُ لَم يكن يتميز بأنه صاحب رأي قوي، وهذا ليس عيبًا يقلل من شأنه ومكانته العظيمة في تاريخ الإسلام، وإنما هي طبيعة البشر التي تختلف من شخص إلى آخر، فهناك القوى، وهناك الضعيف، وهناك الذكي، وهناك الأقل ذكاء، وهناك من تسيطر على قرارته العاطفة، وهناك من يُحَكِّم العقلَ في قراراته، والاختلاف بين البشر وطباعهم وقدراتهم سنة كونية، وأبو ذر الغفاري كان شخصًا بسيطًا من قبيلة غفار الأعرابية يحب الله ورسوله بشكل لايوصف وتغلب على قراراته العاطفة الجياشة، وقد ظهر ذلك واضحًا عند إسلامه مباشرة، فعندما جاء أبو ذر الغفاري رَضِّاللَّهُ عَنْهُ إلى مكة وأعلن إسلامه بين يدي الرسول صَاَّلِتَهُ عَلَيْهُ وَعَلَالِهُ وَسَلَّةً ، طلب الرسول صَاَّلِتَهُ عَلَيْهُ وَعَلَالِهِ وَسَلَّة منه أن يرجع إلى بلده، ويكتم أمر إسلامه، وأن يرجع إلى المسلمين في مكة إذا بلغه بأن المسلمين صارت لهم القوة في مكة، ولكن أبا ذر رَضِزَاتِهُ عَنْهُ قال لرسول الله صَأَلِّلَنَا عَلَيْهُ وَعَالَ إِلهُ وَسَلَمٌ:

<sup>(1)</sup> سير أعلام النبلاء للذهبي.



والذي بَعثَك بالحقِّ، لأصرُخنَّ بِها بينَ أَظهُرِهم! فَجاء إلى المسجد الحرام وقُريشٌ فيه، فقال:

يا مَعشرَ قُريشٍ، إِنِّي أَشهدُ أَن لا إِلَـهَ إِلَّا الله، وأَشهَدُ أَنَّ مُحمَّدًا عبدُه ورَسولُه.

فانقض عليه كفار قريش وأخذوا يضربونه ضربًا كاد أن يقتله، قبل أن يتدخل العباس بن عبد المطلب ويخلصه من بطش قريش، بعد أن حذرهم بأن قوافل قريش التجارية تمر على موطن قبيلته غفار، العجيب أن أبا ذر الغفاري كَالِيَّهَاءُ جاء في اليوم الثاني وكرر فعلته في المسجد الحرام، ويصف أبو ذر الغفارى ما حدث معه قائلًا:

«فلما أن أصبحت الغد رجعت، فقلت مثل ما قلت بالأمس، فقالوا: قوموا إلى هذا الصابئ، فصنع بي مثل ما صنع بالأمس، وأدركني العباس فأكب علي، وقال مثل مقالته بالأمس، (1).

هذا الحب الكبير للإسلام، والشجاعة العظيمة في مواجهة



<sup>(1)</sup> صحيح البخاري.

الكفار، لم يكونا كافيين بالنسبة لرسول الله صَأَلِقَاعَانِهُ وَعَلَالِهِ وَسَلَّمَ لتعيين أبي ذر الغفاري رَسِّؤَلِيَّهُ عَنْهُ في منصب قيادي، فحب الإسلام شيء، والكفاءة العملية اللازمة لأداء الوظائف المختلفة شيء آخر، والخلط بين الأمرين هو الخطأ الكبير التي يقع فيه الكثير من المسلمين في هذا الزمان، فيعتقدون أن التفاوت في الالتزام الديني بين الأشخاص هو العامل الأهم في تولى المناصب المختلفة، وهذا أمر مخالف لهدي النبي محمد صَّالِيَتْهُ عَيْدِهِ وَعَلَيْهُ وَعَلَى الْهِ وَسَلَّمَ الذي كان يركز في تعييناته على مؤهلات الشخص ومدي جهوزيته لأداء المهمة المكلف بها، فقد كان أبو ذر الغفاري رَجِوَاللَّهُ عَنهُ مِن أعظم الصحابة السابقين الأوائل للإسلام، وكان فضله في الإسلام يفوق فضل كثير من الصحابة، إلا أن الرسول صَلَّاتَهُ عَلَيْهُ وَعَلَىٰ الهِ وَسَلَّمَ لم يعينه على الإطلاق في أي منصب قيادي، بينما عين عمرو العاص رَحِلَيْنَهَنهُ كأمير على سرية ذات السلاسل بعد أيام قليلة فقط من إسلامه، وقد كان عمرو بن العاص رَجَوَالِلَهُ عَدْ في هذه السرية أميرًا على عدد من كبير من عمالقة الصحابة من أمثال أبي بكر وعمر رَجَالِتَهَ عَنْهُ وغيرهما من كبار الصحابة الذين يفوقونه بلا شك بالفضل من الناحية الدينية، إلا

أن المعيار الذي كان الرسول صَأَلَتَهُ عَلَيْهِ وَعَلَى الْهِ وَسَلَّمَ يَنظر إليه في اختياراته هو معيار الكفاءة، فقد كـان عمـرو بـن العـاص رَحَالَهُ عَنْهُ مشهورًا بين العرب بالبراعة القيادية، والذكاء الحاد، وسرعة البديهة في اتخاذ القرارات الحاسمة، وهذه كلها مميزات فردية ينبغي وجودها في القائد الناجح، وقد أثبت عمرو بن العاص رَسُوَلَلْكَ عَنهُ بِالفَعِلِ أَنَّهُ كَانَ اختيارًا مُوفَقًا مِن قبِل رسول الله صَأَلِسَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقد انتصر في تلك السرية بالرغم من قلة عدد المسلمين مقارنة بأعدائهم، وأظهر فيها براعة قيادية فائقة عندما رفض أن يشعل جنوده النار بالليل بالرغم من شدة البرد، فرد عمرو رَمِّؤَلِيَّةُعَنْهُ طلب الصحابة رَمِّؤَلِيَّةُعَنْا الذين كلموه ليسمح لهم بإيقاد النار، ووصل الأمر به أنه رد بشدة على طلب أبي بكر الصديق رَمِّؤَلِيَّهُ عَنْهُ الذي جاءه ليكلمه في هذا الأمر، ورفض عمرو بن العاص رَضِوَاللَّهُ عَنهُ أيضًا أن يتبعَ المسلمون الأعداء بعد هـزيمتهم، وقـد شـكاه الصـحابة بعـد عـودتهم لرسـول الله صَأَلِقَهُ عَلَيْهِ وَعَلَا لِلِهِ وَسَلَّمَ، فأخبره عمرو بن العاص رَعِلَلْهُ عَنْهُ عن سبب قيامه مهذا الأمر: يا رسولَ الله، إني كرهت أنّ آذنَ لهم أنّ يوقدوا نارًا فيرى عدوهم قِلَتُهم، وكرهت أنّ يتبعوهم فيكونَ لهم مددٌ فيعطفوا عليهم!

فحمِد رسولُ الله صَالَىٰتَهُ عَلَيْهِ وَعَايَالِهِ وَسَلَّمَ أَمَرَهُ <sup>(1)</sup>.

وربما يعجب البعض عند علمه أن اختيارات الرسول مراقة على المراقة المهمة لم مراقة المراقق المراقق المراقق المراقق المراقق المراقة المراقق المراق

اواستأَجَرَ النبيُّ سَأِلِقَنَئِيدِيَغَالِيْوَسَدُّ وأَبُو بكر رجلًا مِن بني الدِّيلِ، ثم مِن بني عبدِ بنِ عَدَيِّ، هاديًا خِرِّيتًا –

<sup>(1)</sup> صحيح ابن حبان.



## فارتحلا<sup>(1)</sup>#.

والواضح من كلام السيدة عائشة وَكَلِيَّهَا أَنْ هذا الدليل الكافر كان متقنًا لعمله، ماهرًا في معرفته للطرق المختلفة، أمينًا، عمليًا يلتزم بمواعيده، فلم يمنع اختلاف الرسول حَيَّاتُنَائِدَوَ الْهِرَبَدُ معه في الدين أن يختاره ليكون دليله في هذه الرحلة المصيرية الخطيرة، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على حرفية عالية من قبل رسول الله صَلَّقَانَةُ عَارَا اللهَ اللهَ عَلَى المناسب في المكان المناسب.

وفيما يلي بعض الأمثلة القليلة التي تظهر المنهجية الثابتة التي اتبعها الرسول سَرَّاتِشْنَقِدَعَا اللهَوْسَدُّ في اختياراته للأشخاص المكلفين بأداء المهمات الوظيفية المختلفة:

<sup>(1)</sup> صحيح البخاري.



أبو بكر الصديق رَيْزَاللِّهُ عَنْهُ: كَانَ أَبُو بِكُرِ الصَّدِيقِ رَيْزَاللَّهُ عَنْهُ بمثابة كبير المستشارين لرسول الله صَلَاتَهُ عَلَيْهِ وَعَلَالِهِ وَسَلَّمَ لَما يتميز به من رجاحة عقل وحسن رأى وحكمة وعلم بتاريخ الجزيرة العربية وتركيبتها الديموغرافية، وبالتأكيد فإن التفاهم الإنساني الناتج عن الصداقة القديمة التي ربطت أبا بكر الصديق يَخَالِّشُهَنهُ بالرسول صَلَّاتِلَهُ عَلَيْهِ وَعَلَّالِهِ وَسَلَّمَ كان من بين العوامل التي عملت على اختياره من قبل الرسول صَلَاللهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّم ليكون رفيقه في رحلة الهجرة الشاقة، إضافة لذلك فإن دراسة أبي بكر الصديق رَسِيَالِيَّهُ عَنهُ لعلم التاريخ جعله الاختيار الأمثل لصحبة الرسول صَأَيْتَهُ عَلَيْهِ وَعَلَالِهِ وَسَلَّمَ في تحركاته الدعوية بين القبائل العربية، فقد كان أبو بكر الصديق رَضَائِيَّكَ، يعطى الرسول صَاَلَتَهُ عَلَيهِ وَعَالِيِّهُ مَا لَهُ عَلَيْهِ وَعَا التقديرات التاريخية لكل قبيلة من القبائل العربية المستهدفة بالدعوة، ليتم تحديد الاستراتيجية الخاصة في دعوة كل قبيلة من تلك القبائل وفقًا لما يتناسب مع ظروفها الاجتماعية وخلفياتها الثقافية والسياسية.

عمر بن الخطاب رَجَالِتُهُ عَنْهُ: كان بمثابة المستشار الشاني



للرسول مَ الله عَلَيْهَ عَلَيْهِ وَ اللهِ وَكَانَ عَمْ بِن الخطاب وَ الْفَقِيَة عَمْل الجناح المقابل لجناح أبي بكر الصديق وَ وَاللَّهِ عَنْهُ فَفِي الوقت الذي كان فيه أبو بكر الصديق وَ اللهَ عَمْل للبن في اتخاذ القرارات، كان عمر وَ وَ اللهُ عَمْل لللهُ اللهُ ووجود عمر وَ وَ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَمْل اللهُ المَعْلَقة المتعلقة بسياسة الدولة.

عثمان بن عفان رَجَالِلَهُ عَنهُ: وقع اختيار الرسول صَأَلِتَهُ عَلَيْهِ وَعَالِلَّهِ وَسَلَّمَ على عثمان بن عفان رَضَالِتَهُ عَنْهُ ليكون مبعوث الرسول صَلَّاللَّهُ عَلَيْهِ وَعَالَالِهِ وَسَلَّمُ إلى مكة قبل صلح الحديبية، وقد وقع الاختيار على عثمان رَضَاللَّهُ عَنْهُ بعد مشورة مع عمر رَضَاللَّهُ عَنْهُ الـذي كان هو المرشح لتلك المهمة في بداية الأمر، وقد وقع الاختيار على عثمان رَمَوَلِيَّهُ عَنهُ لهذه المهمة الخطيرة لكونه ينتمي لبني عبد شمس الذين كانت لهم قوة كبيرة في مكة من شأنها أن تمنعه من أي انتقام محتمل من زعماء قريش، على عكس عمر بن الخطاب رَضِكَ الذي كان ينتمى لبني عدي بن كعب الذين لم تكن لهم قوة كافية في مكة كقوة بني عبد شمس.

-6<sup>(225</sup>)

حذيفة بسن اليمان رسطيقة كان حذيفة وسطيقة متمتع بمهارات استخباراتية خاصة، فقد كان ماهرًا بطرق جمع المعمومات وتحليلها، وكان يمتلك ثباتًا انفعاليًا كبيرًا يفتقد له كثير من العرب الذين تغلبهم العاطفة في أو قات كثيرة، وكانت لديه مقدرة فائقة على إحاطة المعلومات الخطيرة بسرية كبيرة، هذه الصفات أهلته ليكون بمثابة مدير الاستخبارات الخاصة برسول الله صَلَقَتَعَلَيْهُ وَقَلْمَتُهُ، وقد أو كل إليه الرسول صفوف العدو في معركة الأحزاب، واستطاع حذيفة وَعَلَقَتَهُ المَّافِقَة عَلَي المعلومات الاستخباراتية من قلب صفوف العدو في معركة الأحزاب، واستطاع حذيفة وَعَلَقَتَهُ

القيام بهذه المهمة بنجاح دون لفت انتباه العدو أو القيام بأي عمل انفعالي من شأنه إفشال تلك العملية، وقد أطلع الرسول صَلَّاللَّهُ عَلَيْهِ وَعَالِهِ وَسَلَّمَ حَذَيفَة بِنِ اليمانِ رَضَّاللَّهُ عَنْهُ بِأُسْرِ ارْ خطيرة تتعلق بأسماء المنافقين المزروعين داخل الدولة، وقد أظهر حذيفة رَعِوَالِيَّةُ عَنْهُ أَنْ اختيار الرسول صَلَّاللَهُ عَلَيْهِ وَعَلَالِهِ وَسَلَّمَ لَـ ليكون كاتم أسراره كان اختيارًا مو فقًا، فقد احتفظ حذيفة بن اليمان بتلك الأسرار كما أمره الرسول صَأَتِنَهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ولم يطلع بها أحدًا حتى بعـد وفـاة الرسـول صَأَلِقَهُ عَلَيْهِ وَعَلَالِهِ وَسَلَّمَ، والجـدير بالـذكر أن حذيفة بن اليمان رَسَالِيَّهُ عَنهُ كان من أهم أسباب النصر في معركة نهاوند المصيرية التبي سقطت على إثرها إمبراطورية فارس الساسانية إلى الأبد، فقد قام حذيفة بن اليمان بخدعة استخباراتية في بداية المعركة أوهمت الفرس أن القيادة الإسلامية في تلك المعركة لم تصب بأذي، على الرغم من أن القائد العام للمسلمين النعمان بن مقرن المزني رَجَّالَلَهُ عَنْهُ كان أول من سقط في تلك المعركة!

محمد بن مسلمة رَهَايِّنَهُمُنهُ: كان من بين أفراد فرقة النخبة



المكلفة بحراسة الرسول صَلَّاتَتْ عَلَيْهِ وَعَلَّالِهِ وَسَلَّمَ، وكان محمد بن مسلمة رَسَالِقَهُمَنهُ بِمثابِة قائد قوات التدخل السريع والمهمات الخاصة التابعة لرسول الله صَالِللهُ عَلَيْهُ وَعَلَى اللهِ وَلَا كَانَ هَذَا الصحابي الجليل كما جاء في وصفه أسود اللون، قوى البنية، طويل القامة، عظيم الجسم، وكان يغلب عليه الطابع العسكري، فأهلته صفاته الجسمانية والذهنية ليقع عليه اختيار رسول الله صَالِمَتُهُ عَلَيْهُ وَعَلَى اللهِ وَسَالًم في كثير من العمليات القتالية الخطيرة، فاختاره الرسول صلى لله عليه وسلم ليكون قائد قوات الحرس الخاص المكونة من 50 صحابيًا والموكل إليها حراسة معسكر المسلمين عند بيانهم قبل غزوة أحد<sup>(1)</sup>، وقد كان محمد بن مسلمة رَ عَلَيْتُهُ مَنْهُ أحد الذين ثبتوا مع رسول الله صَأَلِتَهُ عَلَيْهِ وَعَالَ الِهِ وَسَلَّمَ في غزوة أحد عندما دبت الفوضي في جيش المسلمين، وكان قائد المهمة السرية الخاصة التي أنهت خطر المجرم كعب بن الأشرف الذي كان يعتدي على نساء المدينة ويتعاون مع مشركي مكة ضدالمسلمين في المدينة، وكان محمد بن مسلمة رَضَاللَهُ عَنْهُ المبعوث الخاص الذي اختاره الرسول

<sup>(1)</sup> الرحيق المختوم للمباركفوري.

صَأَلِتَهُ عَلَيْهِ وَعَلَالِهِ وَسَلَّمَ إلى بني النضير بعد محاولتهم الفاشلة لاغتيال الرسول صَلَّاللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَّالِهِ وَسَلَّمَ، وتم اختياره أيضًا من قبل الرسول صَلَاتَهُ عَلَيْهِ وَعَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللّ 100 فارس أثناء توجه المسلمين لأداء عمرة القضاء<sup>(1)</sup>، وقـد أوكل الرسول صَمَّالِتَهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ ٓ إِلَى محمد بِـن مسـلمة رَجَوَلَيَّهُ عَنْهُ مهمة قيادة القوات الخاصة في مهمتين قتاليتين هما سرية القرطاء وسرية ذي القَصّة، وفي هذه السرية الأخيرة كان محمد بن مسلمة رَجَالِتَهُ عَلَى وشك الموت، إلا أنه نجي من الموت بأعجوبة ليشارك مع الرسول صَالَيْنَهُ عَلَيهِ وَعَالِلهِ وَسَلَّمْ فِي كل غزواته، باستثناء غزوة تبوك، وذلك لأنه الرسول صَلَلْتَهُ عَلَيْهَوَعَاۤالِهِوَسَلَّمَ أُوكـل إليه وقتها مهمة البقاء في المدينة لحراستها(٢)، وحتى بعد وفاة الرسول صَالَقَةُ عَلَيْهِ وَعَالِهِ وَسَلَّمَ كَانَ محمد بِن مسلمة رَضَالِقَهُ عَنْهُ صُمن كتيبة المهمات الخاصة التي أرسلها الخليفة عمر بن الخطاب رَعَوَاللَّهُ عَنْهُ إلى مصر بعد أن استعصى على جيش المسلمين هناك فتح حصن بابليون، فاستطاعت هذه الكتبية القتالية الخاصة فور

<sup>(2)</sup> سير أعلام النبلاء للذهبي.



<sup>(2)</sup> الطبقات الكبرى لابن سعد.

وصولها تسلق أسوار حصن بابليون واقتحامه، وقد اختار الفاروق عمر رَحِيَّقَة محمد بن مسلمة رَحِيَّقَة ليكون مبعوثه الخاوق المي الولايات الإسلامية المختلفة في مهمات استقصائية هدفها التحقق من الشكاوى التي تصل إلى الخليفة من المواطنين في تلك البلدان (1).

الأمثلة التي توضح عبقرية اختيارات الرسول صَأَلِقَهُ عَلَيْهِ وَعَلَى اللَّهِ وَمَثَلَّةً اللَّهِ وَمَثَلَّةً للشخص المناسب في المكان المناسب أمثلة كثيرة لا يتسع المقام لحصرها جميعًا في صفحات هذا الكتاب، وإنما أردت فقط من خلال ذكري لهذه الأمثلة القليلة التبي ذكرتها إلقاء الضوء علبي المنهجية العلمية المدروسة التي كان الرسول صَأَلِقَهُ عَلَيْهِ وَعَلَى الْمِعِهَا في اختياراته، وبإمكان من يرغب في معرفة المزيد عن هذا الموضوع الرجوع إلى تساريخ ومميزات كل شخص عينه الرسول صَأَلَقَهُ عَلَيهِ وَعَلَالِهِ وَسَلَّمَ فِي وظيفة من الوظائف، عندها سيجد الإنسان نفسه أمام عقلية احترافية مبهرة بكل ما تعنيه الكلمة من معنى، لذلك لم يكن من المستغرب أن ينجح الرسول صَأَلِتَهُ عَلَيْهِ وَعَلَالِهِ وَسَلَّمَ خلال سنوات قليلة فقط في بناء دولة قوية امتد نفوذها في كامل أرجاء الجزيرة

<sup>(1)</sup> أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير.

العربية، هذه الدولة التي أنشأها الرسول صَأَلِتَهُ عَيْدِوَعَلَ إِلِهِ وَسَلَّمَ كانت دولة مؤسسات يتم فيها تعيين الشخص المناسب في المكان المناسب، لـذلك نجـح الرسـول صَأَلَقَهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في الاسـتفادة مـن اختصاصـات وقدرات مواطني دولته على أكمل وجه، ولو أن اختيارات الرسول صَأَلِمَهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِلِهِ وَمِهِ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى الْحَبْدِ اللَّهِ عَشْدِ اللَّهِ أُو اختيارات قائمة على الواسطة أو المحسوبية، لما نجحت دعوته التي جاء ہا، ولانہارت دولتہ کما انہارت کیل الدول التی استبعدت أصحاب الكفاءات عن مركز اتخاذ القرارات، وعينت عوضًا عنهم من لا يستحقون تلك المناصب التي أوكلت إليهم، لـذلك حرص الرسول صَلَّاللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَّالِهِ وَسَلَّمُ على التحذير من خطورة هذا الأمر وعواقبه الوخيمة:

"هن أبي هريرة وَ اللَّهُ عَلَى قال: قال رسسول الله صَلَّالْمُتَاتِّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ فانتظر الساعة. قال كيف إضاعتها يا رسول الله؟ قال: إذا أسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة "(1).

(1) صحيح البخاري.



ولكن... في نفس الوقت الذي حذر فيه الرسول مَا المَّنَا المَّنَا اللهُ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ و من تضييع الأمانة ووصفها بأنها من علامات الساعة، أخبر أن هناك أمرًا ضروريًا يمكن القيام به أثناء قيام الساعة.

فما هو هذا الشيء؟!

يتبع...

છા∳ભ



«إن قامت الساعة، وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها» (1) «عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَحْفِقَتُهُ، أن النبي صَالَّتُ عَبَّوَظُ وَسَلَمُ مر بسعد وهو يتوضأ فقال: ما هذا السرف يا سعد؟ قال: أفي الوضوء سرف؟! قسال:

نعم، وإن كنت على نهر جار»(<sup>2)</sup>.

هذه القصة التي حدثت مع الصحابي سعد بن أبي وقاص وَعَلَيْهَا مَنِي لنا كيف أن الرسول صَلَّاتَا عَلَيْهَ عَلَيْهِ وَتَالَّا يحرص تمام الحرص على الحفاظ على موارد البيئة، فقد بين لصاحبه أنه حتى في العبادات لا يجوز إهدار الماء، حتى وإن كان هذا الماء نابعًا من نهر جار.

<sup>(2)</sup> رواه أحمد في مسنده، وابن ماجة في سننه.



<sup>(1)</sup> مجمع الزوائد للهيثمي.

والمتابع لسيرة الرسول سَيُّ الْفَيْعَيْدَ وَالْمَوْتَدُّ، يجد أنه كان رائدًا في فكر الحفاظ على البيئة في ذلك الوقت الذي يسبق عصرنا الحسالي بما يزيد عن 14 قرنا، ولسم يكتف الرسول مَنَّ الْفَيْعَيْدَ وَالْمُوْتِدُمُ مِنْ البيئي لدى أصحابه، بل أوضح لهم أن الحفاظ على البيئة يعتبر من صلب الدين الإسلامي، وبذلك أضفى لفكر الحفاظ على البيئة قدسية دينية، ويظهر هذا الفكر الراقي في كثير من أحاديثه التي أوضح فيها حرصه على المحافظة على البيئة ومواردها:

فحث الرسول مَــُأَنِّنَا عَلِيَهِ الْهِرَيَّةِ على إزالة التلوث البيثي برفع الأذى عن الطرق، فقال:

«نبسَّمُك في وجهِ أخبك صدقةٌ، وأمرُك بالمعسروفِ صَدَقةٌ، ونهيُك عن المُنكَر صدقةٌ، وإرشادُك الرجُلَ في أرضِ الضَّلالِ لك صدقةٌ، ونصرُك الرجلَ الرَّديءَ البصرِ لك صدقةٌ، وإماطتُك الحَجَر والشَّوك والعَظم عن الطريقِ لك صَدَقةٌ، وإفراغُك مِن دَلوك في دلو أخيك لك صدقةٌ،(١).

<sup>(</sup>١) رواه ابن ححر العسقلاني في تخريج مشكاة المصابيح.

وشجع الرسول صَالِقَتَانَهُ وَعَالِهُ مَا اللهِ على التشجير وزيادة الرقعة الخضراء في الأرض، فقال:

> «مَا مِنْ مُسْلِم يَغْرِسُ غَرْسُ، إِلَّا كَانَ مَا أَكِلَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةً، وَمَا شُرِقَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةٌ، وَمَا أَكَلَ السَّبُهُ مِنْهُ فَهُو لَهُ صَدَقَةٌ، وَمَا أَكَلَتِ الطَّيْرُ فَهُو لَهُ صَدَقَةٌ، وَلا يَرْزُوُهُ أَحَدٌ، إِلَّا كَانَ لَهُ صَدَقَةٌ (1).

ولزيادة الوعي البيئي، وإبراز أهميته القصوى، قـال رسـول الله سَيُلِثَدَتُهُ وَيَعَلَّابُونَكُةً:

«إن قامت الساعة، وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها»(2).

وشــدد الرســول صَلَّقَة عَلَيموَعَالِهِوَسَتَّة علــى أهميــة استصــلاح الأراضي، فقال:

"من أحيا أرضا ميتة فله فيها أجر، وما أكلت العافية منها فهو له صدقة»(3).

<sup>(3)</sup> رواه السيوطي في الحامع الصغير، وإبن حباد في صحيحه.



<sup>(1)</sup> صحيح مسلم.

<sup>(2)</sup> مجمع الزوائد للهيثمي.

والعافية: كل طالب رزق من بشر أو حيوان.

وحذر رسول الله صَلْقَنَعَتَهِوَعَىٰ الهِرَسَدُ النّاس من عدم احترام نظافة البيئة، وذلك عن طريق تلويثهم للطرق بمخلفاتهم، فقال صَلِّقَنَعَهُ مَثَالِهِ وَسَدَّةً:

> «اتَّقُوا اللَّمَّانَيْنِ، قالوا: وما اللَّمَّانانِ يا رسول الله؟ قال: الذي يتخلى<sup>(1)</sup> في طريق الناس أو في ظلهم»<sup>(2)</sup>.

ودعـا الرسـول صَالِّقَاتَتَابَوَكَا الْهِرَسَةُ إلى عـدم تلويـث الميـاه، فقال:

«عن رسولِ الله سَالِشَهُعَيْءِوَعَالِهِوَسَدَّ، أَنه نَهَى أَن يُبالَ في الماءِ الراكدِ»<sup>(3)</sup>.

الا يغتيسُ أحدُكم في الماء الدَّامُ وهو جنُبُ (4). ولم ينسَ الرسول سَلَّهُ عَلَيْهَ عَلَيْهِ اللَّهِ تَسليط الضوء على نوع

(4) صحيح مسلم.



<sup>(1)</sup> يتخلى: يتغوط.

<sup>( 2 )</sup> صحيح مسلم.

<sup>(3)</sup> صحيح مسلم.

آخر من التلوث، وهو التلوث السمعي الناتج عن الضوضاء التي يسببها بعض الناس للآخرين، فحذر من هيشات الأسواق، أي من اختلاطها وارتفاع الأصوات واللغط فيها، فقال رسول الله مَالِّشَنْهَوَ اللهَ الذَّهِ

«وإياكم وهيشات الأسواق»(1).

ولم يكتف الرسول سَلِّشَعَدِهَ عَلَيْهِ وَمَنْ المَّحَذَير من الصوت العالي في الأسواق، بل حذر منه أيضًا أثناء العبادات:

"عن أبي سعيسيد قسال: اعتكسف رسولُ الله مَا لِللهُ عَلَيْهَ وَعَلَيْهِ المسجدِ، فسمِعهم يجهَ سرون بالقراءة، فكشف السَّترَ وقال: ألا إنَّ كلَّكم مُناج ربَّه فلا يُؤذينَ بعضُكم بعضًا، ولا يرفَعْ بعضُكم على بعض بالقراءة، أو قال في الصَّلاة، (2).

ونهى الرسول صَّانِّشَاعَيْهِ وَعَالِهِ وَسَلَّمَ عن إهدار موارد البيئة، فقال: «كُلُوا، وتصدَّقوا، والبسوا، في غير إسراف ولا مَخِيلَةٍ (<sup>(3)</sup>)(1)

<sup>(1)</sup> صحيح مسلم.

<sup>(2)</sup> رواه أبو داود في سننه، وابن عبد البر في التمهيد.

<sup>(3)</sup> المَخِيلَة: هي العجب والكبر.

ولكن... ماذا عن عالم الحيوان؟ وكيف كان الرسول سَّأَلِتُنَكِّينَ وَاللَّهُ يَعامل الحيوانات؟ وما حكاية الجمل الذي جاء إلى رسول الله سَّأَلِتَنْ عَلَيْوَ وَاللَّهِ وَسَلَّةً بعينين دامعتين؟ وماذا فعل رسول الله سَّأَلِتُنَكَّيْ وَعَلَيْ الرَّبِيَّةً عندما رآه بهذه الحالة؟

ىغ...

**ಎ**•*બ* 

 <sup>(1)</sup> رواه ابن ماجة في سننه، والنسائي في سننه، والإسام أحمد في مسنده، والنسابوري في المستدرك على الصحيحين.



«أفلا تتقى الله في هذه البهيمة التي ملَّكك الله إياها؟»(١).

في يوم من الأيام، كان رسول الله صَلَّاتَتُنْعَلَيْهُ وَعَلَالِهِ وَسَلَّمْ راكبًا على دابته وهو يردف خلفه طفيًّا صغيرًا هو عبدالله بن جعفر رَحِيَالِلَهُ عَنهُ، وهو قد كان هذا الطفل ابنًا لجعفر بن أبي طالب رَضَوَلَقَهُ عَنْهُ ابِن عِم الرسول صَرَّابَقَهُ عَلَيْهِ وَعَلَّالِهِ وَسَلَّمَ، فدخل رسول الله صَلَّاللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَّالِهِ وَسَلَّمَ حائطًا، أي بستانًا، لرجل من الأنصار، وهناك حدث أمر في غاية العجب:

«فدخل حائطًا لرجل من الأنصار فإذا جمل، فلما رأى النَّبِيُّ صَأَلِتَهُ عَلَيْهِ وَعَلَى الهِ وَسَلَّمَ حنَّ وذرفت عيناه، فأتاه النَّبِي صَاَلَةَتْمَانَدِهُ وَعَلَالِهِ وَسَلَّمَ فمسح ذفراه (2)، فسكت،

<sup>(1)</sup> رواه أبو داود في سننه.

<sup>(2)</sup> مسح ذفراه: مسح مؤخرة الرأس.

فقال: من رب هذا الجمل؟ لمن هذا الجمل؟ فجاء فتى من الأنصار فقال: لي يا رسول الله. فقال: أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملّكك الله إياها؟ فإنه شكا إلى أنك تجيعه وتدئيه (1)(2).

هذه القصة العجيبة التي نقلها ذلك الصحابي عندما كبر، تبين لنا النهج الرحيم الذي كان الرسول مَكَانَّنَا المَنْ وَاللَّمَ اللَّهُ وَاللَّمَ اللَّهِ وَاللَّمَ اللَّمِ اللَّهِ وَاللَّمَ اللَّمِ اللَّلْمِ اللَّمِ اللَّمِي الْمِلْمُ اللْمُنْ الْمُعْمِلِي الْمُعْمِلِي الْمُعْمِلِي الْمُعْمِ

 <sup>(1)</sup> تنتبه: تتعبه. من الدأب وهو العمل عليه باستمرار ويدون غذاء، يعني: لا يغذيه
 ويتعبه في العمل والكد. (شرح سنن أبي داود: الشيخ عبد المحسن العباد)
 (2) رواه أبو داود في سننه.

صَالِقَهُ عَلَيهِ وَعَلَى اللهِ وَسَلَّمَ، ولم يتبعوا هديه في التعامل مع الحيوانات، ففقدوا فرصة الاقتداء بسنة النبيي صَأَلِتَلْمُعَلَيْهِ وَعَلَّآلِهِ وَسَلَّمَ، وعرضوا أنفسهم بـذلك لفقـدان شـفاعته يـوم الـدين، بعـد أن فقـدوا إنسانيتهم من قبل، عندما نسوا أن ذلك الحيوان الذي بين أيديهم يملك روحًا أيضًا، وأن الله قادر عليهم أكثر من قدرتهم هم على مثل تلك الحيوانات الضعيفة، وغاب عنهم أنهم قد يفقدون رحمة الله سبحانه عندما يحتاجون إليها في الدنيا أو الآخرة، مثل هـؤلاء لـم يصلهم هـذا الحديث لرسـول الله صَلَّاتَةَ عَلَيْهِ وَعَلَّالِهِ وَسَلَّمَ، وإن كان قد وصلهم فإنهم قطعًا لم يفقهوا

«الرَّاحمونَ يرحمُهُمُ الرَّحمنُ، ارحَمـــــوا من في الأرضِ يرحَمْكم من في السَّماءِ»<sup>(1)</sup>.

والتعامل برحمة ورفق مع الحيوانات هو واجب على جميع البشر بغض النظر عن معتقداتهم الدينية والفكرية، ولكن في حالتنا كمسلمين ترزداد المسؤولية لتتعدى الاعتبارات

<sup>( 1 )</sup> رواه الترمذي في سننه.



الإنسانية والبيئية لتصبح أيضًا واجبًا دينيًا يحتمه علينا الشرع الحنيف، ولكي ندرك أهمية التعامل برحمة مع الحيوانات، يكفينا فقط أن نتأمل بعض الأحاديث التي وردت عن رسول الله صَرَّاتُهُ عَيْمًا إِلَيْهِ وَسَكَّةً:

فقد ذكر الرسول مَــَالِقَهُ عَلَيْهِ وَعَلِيْقِهِ مَكَالِهُ مَكاية رجل نـــال الشكر والغفران من الله فقط لأنه سـقى كلبًّا عطشـــانًا، فقـــال رســول الله مَــَالِقَهُ عَلِيهِ وَسَلَّةً:

"بِينَما رَجلٌ يَمشي بِطَرِيقٍ فاشتَدَّ علَيهِ العطشُ فوجَدَ بِثرًا فنزلَ فيها فَشَربَ، ثمَّ خرجَ فإذا كَلبٌ يلهَثُ يأكلُ الثَّرى مِنَ العطشِ، فقالَ الرَّجُلُ: لقَد بلغَ هذا الكَلبَ مِنَ العطشِ مِثلُ الَّذي كانَ بلغني فنزلَ البشرَ، فَملاً خُفَّهُ فأمسَكُمُ بفيهِ، حتَّى رقيَ فسقَى الكلبَ، فشكرَ الله لَهُ فغفرَ لَهُ. فقالوا: يا رسولَ الله وإنَّ لنا في البَهامُ إِلْجرًا؟ فَقالَ: في كلَّ ذاتِ كِيدِ رطبةٍ أَجرٌ" (١٠).

(1) رواه أبو داود في سننه.



وأوضح الرسول صَأَلِقَهُ عَلَيْهِ وَعَلَى اللهِ وَسَلَّمَ عظم الأجر الذي قد

يترتب على الرفق بالحيوان، وذلك بذكره لقصة بغي نالت الغفران لمجرد سقايتها لكلب عطشان:

"بينما كلبٌ يُطِيفُ بِرَكيَّةٍ، كاديقتُلُه العطشُ، إذ رأَتَه بغيٍّ من بغايا بني إسرائيلَ، فنزَعَت مُوقَها، فسَقَتْه فنُوْر لها به، (11).

بينما استحقت امرأة أخرى النار لأنها حبست هرة، دون أن تطعمها أو تتركها لكي تبحث عن الطعام لوحدها:

«دخلَتِ امرأةٌ النارَ في هِرَّةٍ رِيَطَتْها، فلم تَطعَمْها، ولم تَدَعْها تأكلُ من خَشاشِ الأرضِ (<sup>(2)</sup>.

وقد أمر الرسول سَيُاللَّنَكِهِ وَكَالِلْهِ رَسَاهُ أَصحابه أَن يرفقوا بدوابهم أثناء السفر، وحثهم على أن يبطنوا من سرعتهم إذا ساروا في طريق مخصبة، وأنهم يعطوها حقها في أن تأكل من أعشاب الطريق، أما إذا مروا في طرق مجدبة فعليهم الإسراع

<sup>(2)</sup> صحيح البخاري.



<sup>(</sup>٦) رواه البخاري في صحيحه، ومسلم في صحيحه.

لكي لا يزيدوا من تعب دوابهم بالبقاء في تلك الطرق التي لا تحتـوي علـى غـذاء، ولكـي تـدرك رحمـة رسـول الله صَلَّفَتَهِ وَعَلَيْهِ بَالحيوان، فعليـك أن تتخيل أن حرصه لـم يقتصر على الحيوانات المستأنسة فقط، بـل شـمل أيضًـا الحيوانات البرية والسباع التي تعبر الطريق، فأمر المسافرين أن يبتعدوا عن الطريق إذا أرادوا التعريس، أي المبيت ليلا، وذلك لكي لا يزعجوا الحيوانات التي تنشط في الليل وتتنقل عبر الطرق، أو تلك التي تبحث عن مخلفات الطعام المتبقية من القوافل العابرة (1)، فقال صَلَّفَاتَهُ وَعَنْ الْهِ اللهِ المتبقية من القوافل العابرة (1)، فقال صَلَّفَاتَهُ وَعَنْ الْهِ اللهِ المتبقية من القوافل العابرة (1)، فقال صَلَّفَ عَنْ وَعَلْهُ اللهِ اللهِ المتبقية من

> "إذا سافَرتُم في الخصبِ فأعطوا الإبِلَ حقَّها وإذا سافَرتُم في الجدَبِ فأسرِعوا السَّيرَ فإذا أردتُمُ التَّعريسَ فتنكَّبوا عنِ الطَّريقِ"<sup>(2)</sup>.

وحتى الصلاة التي تعتبر عماد الدين الإسلامي، فقد عَلَّم الرسول سَرَّائِشَتَيْدَوَعُٱلْهُوَسَدُّ أَصحابه المسافرين ألا ينشغلوا بها قبل

<sup>(2)</sup> رواه أبو داود في سننه.



<sup>(1)</sup> عون المعبود، لمحمد شمس الحق العظيم آبادي.

أن يزيلوا الأحمال عن ظهور دوابهم لكي تستريح أثناء تأديتهم للصلاة، وفي هذا يقول الصحابي أنس بن مالك وَهَلِهَتَهُ:

اكنَّا إذا نزَلنا منزِلا لا نُسبِّحُ حتَّى تحلَّ الرِّحالُ»(١).

وقد نهى الرسول صَّالِتَنَعَلِيَوَعَلِّلِهِوَسَّةُ الناس أَن يستخدموا الحيوانات كأهداف للتدريب حين يتعلمون الرماية، فقال نبي الرحمة عليه أفضل الصلاة والسلام:

«لا تتخذوا شيئًا فيه الروحُ غَرَضًا»(2).

ونهى الرسول صَلَّاتَهُ عَيَّدَوَ عَالِهُ وَسَدَّ أَيضًا أَنْ يَتَخَذَ النَّاسَ ظهور الحيوانات كمنابر أثناء خطبهم وأشعارهم أو ما شابه ذلك من الأمور التي قد ترهق الحيوانات، فقال صَلَّاتَنَا عَيْدَوَ عَالِيَّا اللَّهِ عَنْدَوَ عَالِيَّا اللَّهِ عَنْدَا

> "إِيَّاكم أَن تَتَّخذوا ظُهورَ دوابَّكم منابرَ، فإنَّ الله إِنَّما سخَّرَها لَكم لتبلِّغُكم إلى بلا لم تكونوا بالغيه إلَّا بشِقِّ الأنفُس، وجملَ لَكمُ الأرضَ فعَليْها فاقضوا حاجتكم»(3).

(3) رواه أبو داود في سننه.



<sup>(1)</sup> رواه أبو داود في سننه.

<sup>(2)</sup> صحيح مسلم.

«كنا مع رسولِ الله سَؤَلِثَنَةَيَنَوَعَقِلَهِوَسَكَّهُ فِي سَغْرٍ فَانطَلَقَ لحاجت فرأيسا حُمَّرةً (2 معها فرخان، فأخذُنا فرخَيها، فجاءت الحُمَّرةُ فجعلت تفرشُ (3)، فجاء

<sup>(3)</sup> رواه أبو داود في سننه.



<sup>(1)</sup> عون المعبود، لمحمد شمس الحق العظيم آبادي.

<sup>(2)</sup> جعلت تفرش: صارت ترفرف فوقهما، والتغريش مأخوذ من فرش الجناح وبسطه، والتعريش أن ترتفع فوقهما وتظلل عليهما انتهى. (عون المعبود، لمحمد شمس الحق العظيم آبادي).

الفدائية لاقتحام صفوف الروم في محاولة شبه مستحيلة لفتح ثغرة في صفوفهم، وقبل أن يتحرك بفرسانه توجه القائد العام لجيش المسلمين في تلك المعركة سيف الله المسلول خالد بن الوليد كالكينة نحو قائد كتيبة الموت وحاول منعه من التضحية بنفسه في تلك المهمة المميتة، فنظر إليه ذلك القائد وقال له:

«إليك عني يا خالد، فلقد كان لك مع رســـول الله سابقة، أما أنا وأبي فقد كنا من أشـــد الناس عــلى رسول الله، فدعني أكفّر عما سلف مني، ولقد قاتلت رسول الله في مواطن كثيرة وأفر من الروم اليوم؟! إن هذا لم يكون أبدًا».





## «تبسُّمُك في وجهِ أخيــك صدقةٌ»(١)

في وادي اليرموك، في 5 رجب من العام 15 هالموافق لـ 20 أغسطس 356م، أوشكت جحافل جيوش الإمبراطورية البيزنطية الرومانية وحلفاتها على تدمير جيش المسلمين تدميرًا نهائيًّا، وذلك بعد أن قاموا بتطويق المسلمين ومحاصرتهم من كل جانب، عند تلك اللحظة الحرجة، فوجئ المسلمون بفارس من قادة المسلمين يتقدم في ساحة المعركة ليكسر غمد سيفه وينادي في سماء اليرموك بصوت عال:

## «أيها المسلمون من يبايع على الموت؟»

فتقدم إليه 400 رجل ليكوَّنوا ما عرف في التاريخ باسم «كتيبة الموت»، واستعد هذا القائد المسلم للتحرك بهذه الكتيبة

<sup>(1)</sup> رواه ابن حجر العسقلاني في تخريج مشكاة المصابيح.

العجيب في هذه القصة أن هذا القائد الذي ضحى بروحه بعد أن تذكر رسول الله صَلَّانَة عَدِّوَعَالِهِ وَسَلَّة كان نفسه قبل ذلك بسنوات قليلة من أشد أعداء رسول الله صَلَّالله عَنْ الدِّرَتِيَّة ، بعد أن ورث تلك العداوة الشديدة من أبيه الذي كان ألد أعداء الرسول صَلَّاللهُ عَنْدُوعًا اللهِ وَمَا لِنَا لتحدث عن عكرمة وَمَوَّلِيَهُ عَنْهُ الصحابي الجليل الذي كان ابنًا للعدو الأول للمسلمين أبي جهل!

ولكن ما سر هذا التغير العجب في المشاعر التي كان قلب عكرمة بن أبي جهل عكرمة بن أبي جهل عكرمة بن أبي جهل وكيفة يحملها تجاه رسول الله سَلَّاتُنَعَبَوَقَالِهِ بَشَرَّةً؟ وكيف تحول هذا الشاب القرشي إلى فدائي يقدم حياته من أجل الدفاع عن رسالة الرجل الذي كان في يوم من الأيام من أشد أعدائه؟

نرجع في الزمان إلى ما قبل ذلك التاريخ بسنوات قليلة، وبالتحديد إلى عام فتح مكة، في ذلك الوقت أصدر الرسول مَنْ الله عَنْ عَلَم المنافقة عَنْوا عامًا على سكان مدينة مكة الذين حاربوه في السابق لسنوات طويلة، واستثني من هذا العفو سنة أشخاص ثبتت عليهم جرائم كبرى كانت عقوبتها الإعدام، وكان عكرمة

وانطلق القائد المسلم بفرسان كتيبة الموت إلى قلب جيش الروم، فصعق جنود الإمبراطورية الرومانية بمنظر ذلك القائد ومن معه من الفرسان الذين يقتحمون صفوفهم دون أدني خوف من الموت، وانهالت نبالهم على أفراد تلك الكتيبة كزخات المطر في محاولة لوقف تقدمهم، إلا أن أفراد كتيبة الموت الإسلامية استمروا في التقدم نحو صفوف جيش الإمبراطورية على الرغم من تساقطهم واحدًا تلو الآخر، وما هي إلا لحظات حتى تمكنت كتيبة الموت الإسلامية من إحداث تغيير في ميزان المعركة لصالح المسلمين، فبحث القائد خالـد بـن الوليـد رَضَالِلْهَءَنهُ عن قائد كتيبة الموت بين المصابين، فقد كان ذلك القائد إضافة لكونه أحد أقربائه صديقًا قديمًا له، ليتم العثور عليه ملقى في ساحة المعركة والدماء تسيل منه، فوضع خالد رَمَزَاللَّهُ عَنْهُ رأس صاحبه على فخـذه وهـو يلفـظ أنفاسـه الأخيـرة، ومـا هـي إلا لحظات حتى فارق ذلك القائد الحياة بعد أن عمل على تغيير مجري معركة اليرموك لينتصر المسلمون في تلك المعركة المصيرية التي كانت نقطة فاصلة في التاريخ الإنسان.

صَاَّلِتَهُ عَلَيْهِ وَعَالَالِهِ وَسَلَّمَ حربًا شعواء لسنوات عديدة، وأبوه فرعون هذه الأمة أذاق الرسول صَلَّابَقَهُ عَلَيْهِ وَعَالَالِهِ وَسَلَّمَ أَنُواعَ العذابِ والأضطهاد، ولكن الرسول صَلَاتَهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَأَمَّ لم ينتقم من عكرمة لما قام بــه هو وأبوه، ولم يوجه له أية إهانة أو حتى مجرد عتاب، فلم يكن الرسول صَمَّاتِنَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ينتمي إلى ذلك النوع من البشر الـذي يحرص على الانتقام ممن آذوه في السابق، بل على العكس من ذلك، كان يعفو ويصفح ويعامل خصومه السابقين بكل رقة وأدب، لذلك لم يكن غريبًا أن تتعلق قلوبهم بـه بعـد أن تعـاملوا معه عن قرب بعيدًا عن ما كان يشاع عنه وعن رسالته، فمحمد صَلَّاتَهُ عَلَيْهِ وَعَلَّالِهِ وَسَلَّمَ لم يبعث لكي يسوق الناس إلى حتفهم، بل بعث ليهدي الناس إلى طريق السعادة، وقد كانت أخلاقه النبيلة وتعاملاته الإنسانية الراقية كفيلة أن تجذب القلوب الحية إلى جانبه، لتتحول هذه القلوب من قلوب كارهة إلى قلوب محبة له، ويتحول أصحابها من أعداء أرادوا النيل منه ومن رسالته، إلى أنصار يريدون النصرة له ولرسالته.

قصة الصحابي الجليل عمرو بن العاص رَجَوَلِثَهُمُهُ مثال آخر مروديهم

بن أبي جهل من بين أولئك الستة، فهرب من مكة، ثم ركب سـفينة يريــد الهــروب مــن خلالهــا بعيــدًا عــن رســول الله صَأَلِنَهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ الْهِ وَلِكُن عاصفة هوجاء ضربت السفينة، فطلب أصحاب السفينة من الركاب أن يخلصوا الدعاء لله فقط بأن ينجيهم من الغرق، وأن يتركوا دعاء الآلهة في هذا الوقت، وقالوا: أخلصوا فإن آلهتكم لا تغنى عنكم شيئًا ها هنا. فقال عكرمة: والله لئن لم ينجني من البحر إلا الإخلاص لا ينجيني في البر غيره، اللهم إن لك عليَّ عهدًا إن أنت عافيتني مما أنا فيه أَن آتي محمدًا صَآلَتَهُ عَلَيْهِ وَعَالَهِ وَسَلَّة حتى أضع يدي في يده، فلأجدنه عفوًا كريمًا(1)، ثم رجع عكرمة بعد ذلك وأسلم بعد أن عفا عنه الرسول صَلَّاتَتُ عَلَيْهِ وَعَلَى الِهِ وَسَلَّمَ، وأصبح منذ ذلك اليوم صحابيًا من صحابة رسول الله صَأَلْتَهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ ٓ اللهِ وَسَلَّمَ.

ولعل قصة عكرمة يَعْلِيَفَهُ كانت من أروع الأمثلة التي توضح أمرًا كان رسول الله سَأَلتُهُ عَلَى اللهِ وَسَدُ يعرص عليه طيلة حياته، هذا الأمر هو كسب القلوب، فعكرمة حارب الرسول

<sup>(1)</sup> السنن الكبرى للبيهقي.



قال: ما لك يا عمرو؟!

قلت: أردت أن أشترط!

قال: تشترط بماذا؟

قلت: أن يغفر لي.

قال: أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها وأن الحج يهدم ما كان قبله؟

يصف عمرو بن العاص ما حصل لقلبه بعد إسلامه:

"وما كان أحد أحسب إلي مسن رسول الله على من رسول الله على الله على منه وما كنست أن أطبق أن أملاً عبني منه إجلالا له، ولو شتلست أن أصفه ما أطقت، لأني لم أكن أملاً عبني منه!" (1).

كسب القلوب التي كان رسول الله صَّالِلَهُ عَيَّا وَعَلَيْهُ وَعَلَيْهُ وَسَلَمُ يحر ص عليه، من أهم الأمور التي يمكن لنا نحن المسلمون أن نتعلم منها، خاصة في هذا الزمان الذي صار فيه كثير من المسلمين



<sup>(1)</sup> صحيح مسلم.

على ذلك، فعمرو رَحِيَالِيَّهُ عَنْهُ كان قبل إسلامه من أبر ز قادة الكفار ومن ألد أعداء الرسول صَلَّاتَتَاعَلَيْهِ وَعَلَى إلهِ وَسَلَّمَ على الإطلاق، وكان هو الرجل الذي أرسلته قريش إلى الحبشة لكي يلاحق فيها أصحاب رسول الله صَالِقَهُ عَلَيه وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّم، وهناك في الحبشة بذل كل ما يستطيع في محاولة لتشويه صورة محمد صَلَّاتَهُ عَلَيْهِ وَعَالِهِ وَسَلَّمَ في نظر النجاشي ملك الحبشة، قبل أن يسلم في نهاية الأمر، ليصف لنا بكلماته القليلة مدى التغيير الذي طرأ على قلبه في علاقته مع رسول الله صَلَاتَهُ عَلَيْهِ وَعَلَالِهِ وَسَلَّمَ، الذي بدلًا من معاتبته على ما قام به سابقًا من حرب عليه وعلى الإسلام، طلب منه نسيان الماضي والتطلع إلى المستقبل، يقول عمرو بن العاص رَجَوَالِيَهُ عَنهُ: لقد رأيتني وما أحد أشد بغضًا لرسول الله صَلَّاللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَا اللَّهِ مَنِي، ولا أحب إلى أن أكون قد استمكنت منه فقتلته، فلو مت على تلك الحال لكنت من أهل النار، فلما جعل الله الإسلام في قلبي أتيت النبي صَزَّاتِلَهُ عَلَيْهِ وَعَالَالِهِ وَسَلَّمَ،

فقلت: ابسط يمينك فلأبايعك.

فبسط يمينه، فقبضت يدي.



## النبيُّ سَالَشَنَعَيْمِوَعَالِمِوَسَلَّمَ فقال من فجع هذه بولدِهـــــا؟ رُدُّوا ولدَها إليهاه (1).

ولكن...

إذا كان هذا هو شكل تعامل الرسول صُأَيَّفَتُهُ وَعَلَّالِهُ وَما هو الحيوانات، فكيف كان شكل تعامله مع بني الإنسان؟ وما هو السبب الذي دفع بكثير من ألد أعداء الرسول صَالِقَتَهُ عَنَى الوَوَالَّهُ مَنَ لَكي يتحولوا بمشاعرهم بشكل عجيب ليضحوا بأرواحهم من أجله؟ وما هي الاستراتيجية الني اتبعها الرسول عَنَالِقَنَعُ وَعَلَّالِهُ وَمَاذًا قَال أسطورة الهند عن رسول الله صَالَقَتَهُ وَعَلَّالِهِ وَمَاذًا قَال أسطورة الهند عن رسول الله صَالَقَتَهُ وَعَلَّالِهِ وَمَاذًا قَال أسطورة الهند

يتبع...

80.♦cg

<sup>(</sup>٦) رواه أبو داود في سننه.



يخسرون قلوب الناس بدلا من كسبها، فصاروا بقسوة قلوبهم وسوء أخلاقهم و وفظاظة ألسنتهم وتجهم وجوههم ينفرون الناس عن دين الله، مثل هؤلاء يمثلون أكبر خطر على سمعة الإسلام، خاصة إذا عملوا في مجال الدعوة، فهم يعملون عن علم أو دون علم على ابتعاد الناس عن الدين، ليس فقط من غير المسلمين الذين اعتقدوا أن هؤلاء هم من يعكسون تعاليم الإسلام، بل أيضًا من عامة المسلمين الذين ظنوا أن الالتزام الديني يعني أن يكون الإنسان عابس الوجه غليظ القلب فظ اللسان!

يصف الله سبحانه وتعالى رسوله محمد صَّأَلَتَنْتَكِبَوَعَا لِبُوسَلَّة بقوله:

## ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظَّا غَلِيظً ٱلْقَلْبِ لَا تَغَشُّوا مِنْ حَولِكَ ﴾ (١).

فلو رجع الناس إلى أصل الإسلام وسيرة رسول الإسلام من مصادرها الأصلية لوجدوا إنسانًا رقيق القلب، مبتسم الوجه، دمث الخلق، يخاطب الناس بأجمل الألفاظ، ويراعي

<sup>(1)</sup> سورة آل عمران الآية 159.



مشاعر وظروف الآخرين، الأمر الذي مكنه من كسب قلوب ليس فقط الصحابة الذين آمنوا به في زمانه، وليس فقط المسلمين في كل زمان ممن آمنوا به وأحبوه أكثر من أنفسهم دون أن يروه، بل أيضًا كل إنسان قرأ سيرته بإنصاف تاريخي، مهما كان الزمان الذي ظهر في هذا الإنسان، ومهما كانت الديانة التي يدين بها، ويكفيك فقط أن تقرأ الكلمات القليلة التي ذكرها الزعيم الروحي الهندوسي الأشهر مهاتما غاندي(1) في وصف رسول الله محمد (2) عيالشَّنَهُ وَيَالِهُ وَيَدَدُ

<sup>(2)</sup> من تصريح لغاندي نشر في صحيفة «Young India» عام 1924.



<sup>(1)</sup> موهانداس كرمشاند غاندي (بالإنجليزية: Mohandas Karamchand)، (2 أكتوبر 1869 – 30 يناير 1948)، (2 أكتوبر 1869 – 30 يناير 1948) محامي هندي عاش وعمل في جنوب أفريقيا واستقر بعد ذلك في الهند ليصبح أحد السياسيين البارزين لحركة تحرر الهند من الناج البريطاني، يعرف باسم المهاتما غاندي، المهاتما أي الروح العظيمة تم اغتياله عام 1948 من قبل أحد المتطرفين الهندوس الذي لم ترق له دعوات غاندي لأغلبية الهندوسية باحترام حقوق الأقلية المسلمة، وهي الدعوات التي اعترجها بعض الفتات الهندوسية المتمصبة خيانة عظمى، ليتم التخلص من غاندي عبر اغتياله عن عمر 28 عامًا.

«I wanted to know the best of the life of one who holds today an undisputed sway over the hearts of millions of mankind.... I became more than ever convinced that it was not the sword that won a place for Islam in those days in the scheme of life, it was the rigid simplicity, the utter selfeffacement of the Prophet the scrupulous regard for pledges, his intense devotion to his friends and followers, his intrepidity, his fearlessness, his absolute trust in God and in his own mission. These and not the sword carried everything before them and surmounted every obstacle. When I closed the second volume (of the Prophet's biography), I was sorry there was not more for me to read of that great life».

«أردت أن أعرف صفات الرجل الذي يملك بدون نزاع قلوب ملايين البشر. لقد أصبحت مقتنعًا كل



الاقتناع أن السيف لم يكن الوسيلة التي من خلالها اكتسب الإسلام مكانته، بل كان ذلك من خلال بساطة الرسول مع دقته وصدقه في الوعود، وتفانيه وإخلاصه لأصدقائه وأتباعه، وشجاعته مع نقته المطلقة في ربه وفي رسالته. هذه الصفات هي التي مهدت الطريق، وتخطت المصاعب وليس السيف. بعد انتهائي من قراءة الجزء الثاني من حياة الرسول وجدت نفسي أسفًا لعدم وجود المزيد للتعرف أكثر

على حياته العظيمة».

ولكن كيف كان تعامل الرسول سَؤَلِتَنتَقِيَةِيَعَالِهِيَتَلَهُ مع شعبه؟ وهـل كـان قائـذًا مستبدًا بآرائـه؟ أم أنــه يستمع لكل الأراء المختلفة؟

يتبع...

80 **♦**08





عندما وصلت المعلومات الاستخباراتية إلى الرسول صَأَلِلَهُ مَلَيْهِ وَعَلَى اللِّهِ وَسَلَّمَ تتحدث عن رصد تحركات عسكرية لقوات قبيلة قسريش قبل غنزوة بندر، أراد الرسول صَأَلِقَهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ الِهِ وَسَلَّمَ الاستماع إلى رأى الناس قبل اتخاذه لأي قرار سياسي يتعلق بمصير الأمة، فأطلع من معه على المعلومات الاستخباراتية التي وصلته، وطلب منهم إبداء آرائهم الحرة فيما يتعلق مهذا الأمر، فتقدم كبير مستشاري الرسول صَلَّاتِلَهُ عَيْدَوَعَلَى الْهِ وَسَلَّمَ أَبُو بكر الصديق رَحَالِيَهُ عَنْهُ فأبدى رأيه الخاص في الموضوع، ثم تقدم المستشار الثاني للرسول صَأَلِمَهُ عَلَيْهُ وَعَلَىهِ وَسَلَّمُ عمر بن الخطاب رَجَوَاللَّهُ عَنْهُ وعَرْ عِنْ رأيه بكل حرية، وبعدها تقدم صحابي ثالث

<sup>(1)</sup> سورة الشورى الآية 38.



من المهاجرين وهو المقداد بن عمرو رَسَيَّيَشَهَنهُ، وقال لرسول الله صَالِّشَاعِيُّدِيَعُالِلْمُوسَدِّدُ:

" الرسول الله ، امض لما أراك الله فنحنُ معك، والله لا نقول لك كما قال بنو إسرائيلَ لموسى اذهبُ أنتَ وربكَ فقاتِلا إنا ههنا قاعدونَ ، ولكن اذهب أنتَ وربكَ فقاتِلا إنّا معكما مقاتلونَ ، فو الذي بعثكَ بالحقِّ لو سِرْتَ بنا إلى بَرْكِ الغِمَادِ<sup>(1)</sup> لجالدنا معك من دونِه حتى تبلُغَهه(2).

فقال له رسول الله حَالِيَّنْ عَيْمَوْكَالِهِوَتَدَّةُ خِيرًا، ودعا له، شم استمر الرسول حَالِيَّهُ عَلَيْهُ وَعَالِهُ وَتَلَّهُ يِسأَل الناس أن يبدوا له آراءهم بالمشورة، وقد كان الرسول حَالِيَّهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ عَلَيْهُ وَتَدَّقُ يعرس أن يستمع إلى آراء فشة أخرى لم تبدر رأيها، فبعد أن تكلم ممثلو المهاجرين، كان الرسول حَالِيَّهُ عَلَيْهُ وَقَالِهُ وَمَا يُوتَلُقُ يرضُهُ عَلَيْهُ والْي



 <sup>(1)</sup> برك الغماد منطقة تقع في الجزيرة العربية بعيدة من موقع الحدث، والمقصود من ذلك اأننا معك إلى أبعد الحدود».

<sup>(2)</sup> سيرة ابن هشام.

الأنصار، فنادى الرسول صَلَّاتُنَعَيْءَوَعَلَاهِوَتَدَّةً أَن أَشْيروا عليَّ أيها الناس، فلما قال ذلك توجه إليه بالكلام أحد أبرز زعماء الأنصار وهو سعد بن معاذ رَحَقَقَتَهَمَّهُ، وقال له:

والله لكأنَّكَ تريدنا يا رسول الله؟

قال الرسول صَلَّاتَلَهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: أجل.

فقال سعد بن معاذ رَحِوَّالِللَّهُ عَنْهُ:

"فقد آمنًا بك وصدَّقناكَ وشهدنا أنَّ ما جئتَ بهِ هوَ المحتَّ بهِ هوَ المحتَّ بهِ هوَ المحتَّ بهِ هوَ المحتَّ وأعطيناكَ على ذلك عهودنا ومواثبقنا على السمع والطاعة لكَ فامض يا رسولَ الله لما أردتَ فنحنُ معك فو الذي بعثكَ بالحقَّ لو استعرضتَ بنا البحرَ فخضْتَه لخضْنَاهُ معكَ ما تخلَّف منا رجلٌ واحدٌ وما نكرَهُ أن تَلْقى بنا عدوَّنا غدًا إنَّا لصبرٌ في الحربِ صدقٌ عندَ اللقاءِ لعل الله يُرِيكَ منا ما تقرُّ بهِ المحربِ صدقٌ عندَ اللقاءِ لعل الله يُرِيكَ منا ما تقرُّ بهِ عينُك فيرُ على بركة الله الله أيريكَ.

<sup>(1)</sup> البداية والنهاية لابن كثير.

وبعد أن استمع الرسول صَلَّقَهُ عَيْمَوَ عَلَيْهُ اللهِ آراء ممثلي الفشات المختلفة من الناس، اتخذ الرسول صَلَّقَهُ عَيْمَوَ اللهِ اللهِ اللهِ عَلَيْهُ عَيْمَوَ اللهِ اللهِ الله قراره الذي يوافق إجماع الناس من حوله، فتحرك بجيشه نحو آبار بدر، لينتصر المسلمون هناك في المعركة العسكرية الفاصلة التي عرفت في التاريخ بغزوة بدر الكبرى.

اختار الله عَزَقِمَلَ محمدًا بن عبد الله صَلَّاللهُ عَنْكِالْهِ وَعَلَّالِهِ وَسَلَّمَ من بين جميع خلقه ليكون نبيه الأعظم الذي يُوحى إليه، ولكن الله تعالى قلَّر ألا تكون كل أفكار وأعمال وأقوال النبي صَأَلَقَهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِلٰهِ وَسَلَّمُ نَابِعِهُ عِن وحي يتلقاه من السماء، وفي ذلك حكمة عظيمة من الله عَزَّوَجَلَّ، فلو كان الأمر كذلك، لما احتاج لاستشارة أصحابه في الأمور الإنسانية التي لا وحي فيها، فقدم الرسول صَأَلِقَهُ عَلَيْهِ وَعَلَى لَهُ وَسَلَّمَ بِذَلْكُ درسًا مهمّا ليس فقط للمسلمين بل للإنسانية بأسرها، ويتلخص هذا الدرس المهم بأن الإنسان العاقل هو الذي يشاور من حوله من أصحاب الرأي، ولا يستبد برأيه، ولا يستحقر آراء من حوله، ولا يعتبر أن رأيه الإنساني هو الحقيقة المطلقة التي لا تقبل النقاش، حتى وإن كان صاحب

~(263)~

هذا الرأي نبيًا مرسلًا يتنزل عليه الملك جبريل عَلِيَهَالتَّمَةِ من فوق سبع سماوات!

والمشكلة الكبيرة التي تواجه كثيرًا من مجتمعاتنا الإسلامية في هذا الزمان هي مشكلة الابتعاد عن مبدأ من أهم مبادئ الإسلام، هذا المبدأ هو مبدأ الشورى، والشورى تعني باختصار أن يناقش أصحاب الرأي وجهات النظر المختلفة في قضية من القضايا بهدف الوصول إلى النتيجة الأمثل، ولأهمية هذا المبدأ سميت سورة من سور القرآن باسم «سورة الشورى»، ذكرت فيها الشورى كصفة من صفات المؤمنين:

﴿ فَمَا أُوبِيتُمْ مِن فَقَهِ فَنَشَا لَمَنِيْوَ الدُّنِيَّ أَوْمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينُ مَا سُنُوا وَمَلَى رَبِيْمِ بَنَوَكُونَ ۞ وَالَّذِينَ يَجْنَبُونَ كَبْتِهِرُ الْإِنْمَ وَالْفَرَحِيْنَ وَإِذَا مَا عَضِبُوا هُمْ يَنْفِرُونَ ۞ وَالَّذِينَ اسْتَجَاهُوا رَبِّهِمْ وَلَقَامُوا الشَّلَوْ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ يَنْهُمْ وَمِنَا وَمُقَامِمٌ يُغِفُّونَ ۞﴾ (11).

<sup>(1)</sup> سورة الشوري الآيات 36–38.

وأمر الله عَرَيْجَلَّ الرسول صَلَّاللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَالِهِ وَسَلَّمَ أَن يشاور أصحابه:

﴿ فِيمَا رَحَمَةِ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمَّ وَلَوَ كُنتَ فَظَّا غَلِيطًا القَلْبِ لاَنفَشُوا مِنْ سَحْوِكَ أَناعَتُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَمُكُمْ وَشَاوِرُهُمْ فِي الأَمْنِ فَإِذَا عَرْبَتَ فَنَوَكَلَّ عَلَى اللَّهُ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ المُتَوَكِّمَانَ ﴿ ﴾ (١١).

فإذا كان الله سبحانه وتعالى قد أمر نبيه الأعظم محمد صَّالِشَنَيِّهُ وَاللَّهِ اللَّهِ أَن يشاور أصحابه، فكيف بمن دونه من البشر من الملوك والرؤساء وأصحاب السلطة وصولًا إلى المدراء والأباء والأمهات والأفراد العاديين؟!.

فالشيء الذي قد ينساه الكثيرون منا، أن اتباع نظام الشورى في اتخاذ القرارات ليس مقصورًا فقط على النظم السياسية، بل يشمل أيضًا جميع مجالات الحياة، وليس مقصورًا فقط على أصحاب القرار السياسي، بل ينبغي لكل من أراد النجاح في حياته الخاصة أن يتبع نظام الشورى، فالرجل وزوجته ينبغي أن يشاور كل منهما الآخر قبل اتخاذ القرارات الخاصة، والوالدان

<sup>(1)</sup> سورة أل عمران الآية 159.



ينبغي لهما أن يشاورا الأبناء عندما يتعلق الأمر بمستقبل العائلة، والمعلم بإمكانه أن يشاور تلاميذه للوصول إلى أنسب طريقة لهم في التعليم، والمدير يستطيع أن يستفيد من خبرات موظفيه وآرائهم في تطوير العمل، وهذا الأسلوب في اتخاذ القرارات عن طريق تفعيل نظام الشورى معمول به في تعاملات غير المسلمين في كثير من دول العالم، ولكن السؤال الذي ينبغي علينا كمسلمين أن نظرحه على أنفسنا:

من منا يتبع نظام الشوري في حياته الخاصة؟!

فمن فوائد الشورى أنها تتيح للإنسان الاستفادة من خبرات الآخرين وأفكارهم المتنوعة، فأفكار البشر تتنوع وفقًا لتجاربهم المختلفة ونظرتهم الخاصة للأشياء الناتجة عن اختلاف زاوية الرؤية التي ينظر من خلالها كل شخص إلى نفس الصورة، وعندما يقوم الإنسان باستشارة من حوله في موضوع معين، فإنه يتمكن بذلك من رؤية الصورة كاملة من زوايا مختلفة، وفي نفس الوقت يمكنه أن يخرج بأفكار جديدة ما كانت لتتبادر إلى ذهنه مطلقًا لو أنه لم يستمع إلى أفكار الآخرين، وهذا يحدث

-6<sup>266</sup>0-

فقط عندما تتاح لمن يستشيرهم الحرية الكاملة للتعبير عن آرائهم الخاصة بعيدًا عن جو الإرهاب الفكري، وأيضًا عندما لا يكون المستشارون أشخاصًا منافقين لا يقولون إلا ما يوافق هوى من يستشيرهم، إما خوفًا على علاقتهم به، أو طممًا في مكاسب خاصة منه، وفي طبيعة الحال يشترط لنجاح الشورى أن يكون الشخص الذي يطلب المشورة بعيدًا عن الكبر والتشبث برأيه، وأن يكون مستعدًا لتقبل المشورة حتى وإن كانت عكس ما كان يرى، لا أن يطلب المشورة من الناس متوهًا أن يستمع منهم فقط إلى صدى لرأيه الخاص!

وقد كان الرسول محمد سُأَلِشَنَا الله الله المستمر، ويتبح لهم فرصة إبداء آرائهم الخاصة بكل مربة، وكان هو بدوره يستمع إلى جميع الآراء، بما فيها الأراء المختلفة مع رأيه الخاص، وفي كثير من الأحيان كان يأخذ برأي أصحابه المخالف لرأيه الأولى، ولعل في قصة تحديد مكان غزوة أحد مثالًا على ذلك:

فبعد الهزيمة المذلة التي تعرض لها مشركو قريش في غزوة هـ(207هـ

بدر الكبري، وهلاك معظم قادتهم الكبار، أراد القادة الجدد لقريش الانتقام من الرسول صَأَلِنَهُ عَلَيْهِ وَعَلَالِهِ وَسَلَّمُ، فشكلوا جيشًا جرارًا مكونًا من ثلاثة آلاف مقاتل، وتوجهوا هذا الجيش نحو المدينة للقضاء على المسلمين نهائيًا، فوصلت رسالة مستعجلة من قبل الاستخبارات الإسلامية إلى الرسول صَزَانَةُعَلَيْهِ وَعَالِهِ وَسَلَّمَ تخبره بأنباء تحركات قريش نحو المدينة، فأعلن الرسول صَنَّابَّتَهُ عَلَيْهِ وَعَلَا إِلِهِ وَسَلَّمَ حالة النفير العام في أرجاء المدينة لصد خطر الغزاة، وكعادته في اتخاذ القرارات السياسية، عقد الرسول صَأَلِتَهُ عَلَيْهِ وَعَلَى لِلهِ وَسَلَّمُ مجلسًا استشاريًا عسكم يًّا لدارسة الموقف وتحديد الطريق الأمثل لمقاومة الغزاة، وكان السؤال المطروح هو: أيخرج المسلمون إليهم، أم يمكثوا في المدينة؟ وكان رأي الرسول صَلَّاتَهُ عَلَيْهُ وَعَلَا لِهِ وَسَلَّمُ الشخصى ألا يخرج المسلمون من المدينة لملاقاة جيش العدو، وأن يتحصنوا بها، فإن دخلها الغزاة، قاتلهم المسلمون على أفواه الأزقة، والنساء من فوق البيوت(1)، وقد وافقه على هذا الرأى نفر من كبار الصحابة،

<sup>(1)</sup> زاد المعاد لابن قيم الجوزية.

ولكن مجموعة من فضلاء الصحابة المتحمسين، وخاصة من الذين لم تتح لهم فرصة المشاركة في غزوة بدر، أشاروا على الرسول صَلَاقَنَا عَلَيْهِ وَعَلَا لِهِ وَسَلَمُ أَن يَحْرِج المسلمون لملاقاة جيش الكفار، وألحسوا عليه بهذا الرأي، فنهض الرسول صَلَّاتِلَهُ عَلَيْمِوَعَ اللَّهِ وَسَلَّمَ وَدَخُلُّ بِيتُهُ وَلَبُسَ لأَمْنَهُ، وَاللَّامَةُ تَعْنَى الدرع أو لباس الحرب، فأحس هؤلاء الصحابة بالندم بأنهم ألحوا على الرسول صَزَّابَتُهُ عَلَيْهِ وَعَالَا إِوْسَالَمْ بطلبهم الخروج لملاقاة الأعداء، وكرهموا أن يكونهوا قد طلبهوا أمرًا لا يحبه الرسول صَلَهْنَا عَلَيْهِ وَمَا لَهِ مَا لُوا: يا نبى الله، أنمكث كما أمر تنا؟ فقال رسول الله صَأَلِللهُ عَلَيْهِوَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ:

> "ما ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوهه (1).

والشورى كفكرة ليست اختراعًا جديدًا جاء به الإسلام، فصحيح أن الإسلام رسخ مبدأ الشورى دينيًا وجعله من المبادئ الأساسية الضرورية لاتخاذ القرارات، ولكن من

<sup>(1)</sup> كتاب السنن الكبرى للبيهقي.

الناحية التاريخية فإن هذا المبدأ الإنساني كان موجودًا منذ فجر التاريخ، فالمخاطر والتحديات التي واجهتها التجمعات السكانية البدائية للإنسان القديم حتمت على البشر التشاور بشأنها من أجل الوصول إلى الرأي الأفضل لتجاوزها، فطور الإنسان عبر الزمان أنظمة وأشكالًا مختلفة تتم من خلالها عملية الشورى.

فقد طبق عرب الجاهلية مبدأ الشورى بشكل واسع، فحالة العرب السياسية والاجتماعية قبل الإسلام لم تكن بتلك العرب السياسية والاجتماعية قبل الإسلام لم تكن بتلك الصورة الفوضوية التي يتخيلها البعض، فقد طور العرب نظمًا استراتيجية متقدمة تناسبت مع بيئتهم القبلية، فكانت مجالس الشورى تعقد بشكل مستمر في لقاءات شيوخ القبائل العربية، واستعان ملوك اليمن بالحكماء وأهل الرأي في اتخاذ قراراتهم المصيرية، وقد ورد في القرآن الكريم في قصة بلقيس ملكة مملكة سبأ اليمنية ما يدل على ذلك:

﴿ فَالَتَ يَكَأَيُّ } ٱلْمَلَوُّا أَفْتُونِي فِي آمِرِي مَا كُنتُ قَاطِمَةً أَمَّرً حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴿ ﴿ ﴾ (١١).

<sup>(1)</sup> سورة النمل الآية 32.



وقد طورت قريش نظامًا متقدمًا للشورى في زمن الجاهلية، فاتخذوا «دار الندوة» التي بناها جدهم قصي بن كلاب كمقر رسمي لعقد اجتماعاتهم التشاورية، وكان زعماء مكة وأهل الرأي فيها يجتمعون في تلك الدار للتناقش في أمور مكة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية، مثل أمور السلم والحرب، وقضايا التجارة وتنظيم القوافل، وتحديد السلطات المكلف بها كل بطن من بطون قريش، وقد كانت الاتفاقات التجارية مع القبائل الأخرى تبرم في دار الندوة (1).

ولعل الإغريق القدماء، وبالتحديد سكان أثينا، كانوا من بين أهم الذين ساهموا في تحويل مبدأ الشورى إلى نظريات محددة المعالم، ومن ثم نقلها من الطور النظري إلى طورها العملي على أرض الواقع، فظهرت لديهم أشكال مختلفة من المجالس الاستشارية، فكان هناك النظام الأرستقراطي، والأرستقراطية «Aristocracy» تعني حرفيًا «حكم النخبة»، وكان

<sup>(1)</sup> أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، أبو الوليد الأزرقي.

هذا النظام مقتصرًا على النخب والطبقة الغنية والأعيان الذين وصلوا إلى مراتبهم عن طريق الوراثة، وظهرت في أثينا في القرن الخامس قبل الميلاد الديمو قراطية «Democracy»، وتعنى حرفيًا «حكم الشعب»، ووفقًا لهذا النظام منحت أثينا القديمة، وهي أقدم ديموقراطية في التاريخ، حق إبداء الرأي للمواطنين الرجال دون النساء، والسادة دون العبيد، وبالرغم من السلبيات المجتمعية التي نتجت عن الديموقراطية الأثينية والتي أدت فيما بعد إلى إعدام الفيلسوف الإغريقي الأشهر سقراط «Socrates» الذي انتقد الديمو قر اطية الأثينية، فإنه مما لا شك فيه أنها كانت أفضل من غيرها من نظم الاستبداد التي كانت سائدة في كثير من حضارات العالم القديم، كالحضارة الفرعونية في مصر على سبيل المثال، والتي كان فيها الحاكم يعتبر نفسه إلهًا يحكم عبيدًا لا وجود لأي اعتبار لآرائهم، فكان يمكن لفرعون من الفراعنة أن يسخر طاقات شعبه وثروات بلاده لسنوات طويلة للعمل على بناء قبر عملاق له توضع فيه كنوز الدولة لتكون بجانبه بعد موته، بدلًا من استخدام هذه الطاقات وهذه الشروات للصالح العام، وتسخيرها لإقامة مجتمع تسود فيه قيم العدل والمساواة، يقول أمير الشعراء أحمد شسوقي وَمَنَافَذ في ميميت الشهيرة في مدح الرسول صُلِّفَنْكَهِ وَعَلَيْهِ والتي سماها "نهج البردة»:

واترك رعمسيس إن الملك مظهره...في نهضة العدل لا في نهضة الهرم!

ويقول أمير الشعراء رَحَمُاللَهُ في قصيدة أخرى:

زمان الفرديا فرعـــــون ولّى ودالت دولة المتجبــــــــو، ينا

وأصبحت الرعاة بكـــــل أرض

على حكم الرعيــــــة نازلينا

والحقيقة أن الفراعنة ما كان لهم أن يقوموا بما قاموا به لو أنه كان هناك قانون يحد من سلطاتهم المطلقة، ونظام للشورى يراقب أعمالهم ويصوبها، وفي ظل غياب مثل هذه الأمور، كان باستطاعة الفرعون أن يتصرف كيفما يشاء، دون أن يخشى من



أي مساءلة، ودون أن يستمع لأي رأي، فقد كان الفرعون يعتبر نفسه إلهًا تجب طاعته العمياء دون نقاش من رعيته، أو عبيده كما كان هو يراهم، وكما كانوا هم يرون أنفسهم، بعد أن استطاع كهنتهم افناعهم بعبوديتهم لفرعون، ويوضح الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم العقلية السياسية التي كان فرعون ينتهجها في العكم:

## ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُدِيكُمْ إِلَّا مَاۤ أَدَٰى وَمَاۤ ٱهْدِيكُوْ إِلَّا سَيِلَ ٱلْرَّفَاءِ ۞ ﴾ ''

ويصف الله عَيْبَيَّلَ قوم فرعون الذين ارتضوا على أنفسهم أن يكونوا مجرد عبيد:

## ﴿ فَاسْنَخَفَّ فَوَمَهُ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا فَوْمًا فَسِفِينَ ۞﴾(٤).

والأمثلة التاريخية على المفاسد التي يجلبها استبداد الإنسان بر أيه وابتعاده عن الشوري أمثلة كثيرة لا يتسع المقام لذكرها

<sup>(2)</sup> سورة الزخرف الآية 54.



<sup>(1)</sup> سورة غافر الأية 29.

جميعًا، ولا تقتصر تلك المفاسد على الشعوب وحدها، بل تشمل المستبد أيضًا، فالاستبداد في معظم الأحيان يؤدي بصاحبه إلى الجنون، وفي أحيان كثيرة يؤدي به إلى نهاية فظيعة، ففي الصين مثلًا ظهر الإمبراطور تشين شي هوانج (١٦) « Qin Shi Huang»، وهو الإمبراطور الذي وحد الصين، وبني سورها العظيم، وقام بإصلاحات سياسية واجتماعية كبيرة في بداية حكمه، ولكن في ظل غياب نظام الشوري، دفعت السلطة المطلقة هذا الإمبراطور إلى الجنون في نهاية الأمر، فأعلن نفسه كإله، وصار يتناول الزئبق معتقدًا أن ذلك هو إكسير الحياة الذي سيمنحه الخلود الأبدي، فتسمم جسمه بشكل بطيء نتيجة لتناوله المستمر للزئبق، وأصيبت قواه العقلية بالخلل، الأمر الذي انعكس على قراراته في إدارة الدولة، وقد بني الامبراطور

<sup>(1)</sup> تشين شي هوانج: كان ملكًا لولاية تشين من 246ق.م إلى 251ق.م، قبل أن يوحد الصين ويصبح أول إمبراطور للصين ولأسرة تشين من 221 ق.م إلى 210 ق.م، وقد تمكن تشين شي هوانج من توحيد الصين بعد أن وحد ولايات الدول الصينية الست الكبرى المنصارعة من خلال الحروب التي عرفت باسم «حروب تشر، لل حدد « «Clins wars of unficeline».



لنفسه مقبرة عظيمة حوت ما عرف بـ «جيش التيراكوتا» «Terracotta Army» وهو جيش حجري عظيم مكون من آلاف المجنود الحجريين، إضافة إلى خيول حجرية وعربات حربية بالحجم الطبيعي، وقد أمر الإمبراطور ببناء هذا الجيش ليكون معه في الحياة الأخرى<sup>(1)</sup>، وبعد انهيار صحته الجسدية والعقلية نتيجة لتسممه بالزئيق، مات هذا الإمبراطور المستبد بعمر 49 عامًا فقط، وإنهارت إمبراطوريته بعد سنوات قليلة من موته (2).



(1) تم اكتشاف المقبرة وما تضمه من الجيش الحجري عام 1974م، وذلك من قبل بعض المزارعين المحليين الذين كانوا يحفرون بئر ماء بالقرب من شبان بمقاطعة شنشي الصينية.

(2) الفلم الوثـائقي: الإمبراطــور الأول \*The First Emperor\*، إخــراج Nic 2006، Young.



والواقع أن الاستبداد كان الصفة المميزة لكثير من حكام حضارات العالم القديم بشكل عام، ولكن الحضارات الغربية تميزت عن الحضارات الشرقية بأنها كانت على مر التاريخ تضع حدًا سريعًا للمستبدين، فلم يعرف عنهم تأليههم لحكامهم، على عكس الشرقيين الذين ظهر فيهم ملوك وأباطرة ادعوا الألوهية واستعبدوا شعوبهم وسخروهم لخدمتهم وبناء قبور ضخمة لهم، وقد تكرر هذا الأمر في كثير من حضارات الشرق، مثل الحضارات الفرعونية والفارسية والصينية والمغولية والهندية وغيرها، وقد كان العرب استثناء في تلك الظاهرة الشرقية، فقد تميز العرب قديمًا عن غيرهم من حضارات الشرق بعدم انتشار آفة الاستبداد بينهم، فالعربي بطبيعته المتمردة، التي صنعتها بيئته الصحراوية القاسية، وعاداته البدوية التي تغلب عليها صفات الأنفة والفخر والعزة، يصعب عليه أن ينقاد لأحد، لذلك لم يحدث في تاريخ العرب أن ادعى أحدهم الألو هية، لأن العربي لا يمكنه تخيل أن يكون

عبدًا لأحد من البشر، وربما كان هذا سبب ندرة وجود ملوك في تاريخ عرب الجاهلية، وحتى عندما ظهر بينهم بعض الملوك الرمزيين، فإن العرب كانوا يضعون حدًا لهم إذا ما حاول هؤلاء الملوك إهانتهم، ومن أمثلة ذلك ما حصل للملكين كليب بن ربيعة التغلبي وعمرو بن هند اللخمي، هذان الملكان تم قتلهما مباشرة عندما ظنا أن بإمكانهما الاستبداد بالحكم وإهانة الإنسان العربي، ولعل عرب الجاهلية في هذا الأمر كانوا أقرب للحضارات الغربية من جيرانهم الشرقيين، فقد تميز الغربيون عبر التاريخ برفضهم لاستبداد ملوكهم، وهذا ما أكده الصحابي عمرو بن العاص رَمَوَلَقَهُ عَنْهُ حينما وصف الغربيين، أو الروم كما كانت العرب تطلق عليهم، بقوله: «أمنعهم من ظلم الملوك»(1)، لذلك فإن الغربيين قديمًا وحديثًا يصعب عليهم تقبل فكرة الانصياع لظلم المستبدين، والأمثلة التاريخية على ذلك كثيرة.

(1) صحيح مسلم.



ويكفينا فقط أن نعلم ما حصل للإمبراطور الروماني كاليغو لا (1) «Caligula» هذا الإمبراطور بدأ حكمه بوعود للرومان بأنه سيسير على نهج جده المؤسس أوغسطوس قيصر «Augustus» (2) وأنه لن يتخذ قرارًا دون الرجوع إلى مجلس الشيوخ الرومان، وقد قام بإصلاحات سياسية كبيرة في بداية حكمه، فأعاد للجمعية حق اختيار كبار الولاة، وأعاد المنفيين إلى البلاد، ووعد بتخفيض الضرائب، فأحبه الشعب حبًا كبيرًا

(1) كاليغولا: ثالث إمبراطور روماني في التاريخ، اسمه الحقيقي جايوس، وكانت أمه تصحبه معها لرفقة زوجها جرمانيكوس الذي كان من كبار قادة الرومان، فنشأ بين العسكر، وكان يحاول تقليدهم بلبس ملابسهم، فلقبوه تدليلاً له بلقب وكاليفولا، وتعني الحذاء الصغير، نسبة لـ «كاليفا» (Caliga» وهو الحذاء الذي كان يلبسه الجنود الرومان، حكم روما منذ العام 57م. وحتى اغتياله عام 41م،، ويعتبر كاليفولا أحد أشهر الطفاة في التاريخ الإنساني على الإطلاق، اشتهر بوحشيته وجنونه وتعطئه للدماء وتلذه بالتعذيب، وكاليفولا هو خال الإمبراطور الروماني المجنون «تيرون» الذي أحرق روما.

(2) أوغسطوس قيصر: أول إمبراطور للإمبراطورية الرومانية، سيطر على روما الإمبراطورية من 27 قبل الميلاد حتى وفاته في 14 ميلاديّا، وهو أبو جوليا جدة كاليفولا من أمه.



لما أظهره من احترام وتواضع لهم، ولإنفاقه السخي عليهم، لدرجة أن الرومان قدموا لآلهتهم 160 ألفًا من القرابين شكرًا لها لإرسال كاليغو لا ليكون حاكمًا عليهم!





ولكن مع شعوره بلذة السلطة مع مرور الوقت، وفي ظل ضعف النظام الرقابي، بدأت مظاهر الاستبداد تظهر على كاليغولا، حتى وصل باستبداده لدرجة مرضية من جنون العظمة، فأحذ يقتل ويعذب ويغتصب دون أي اعتبـار قـانوني أو رادع أخلاقي، وبعـد ذلك استبدت به فكرة أنه إله على الأرض وملك هذا العالم بأسره، فأصدر أوامره إلى قومه بأن يعاملوه معاملة الآلهة، وهو أمر لم يعتد عليه أهل روما الذين لم يسبق لهم أن عبدوا إنسانًا على قيد الحيماة من قبل، وفي نهايــة الأمـر قــام الرومــان بــالتخلص مــن إمبراطورهم المستبد ومن جميع أفراد عائلته بطريقة بشعة، وعملوا بعدها على إزالة أي أثر له من الوجود.

ويوضح الفيلسوف والمؤرخ الأمريكي الكبير ويل ديورانت وزوجته أريل ديورانت التي شاركته في كتابة الموسوعة الشهيرة «قصة الحضارة» «The Story of Civilization»، أن كاليغو لا نفسه كان ضحية للاستبداد الذي سيطر عليه وأفقده اتزانه العقلي، وأن خطر الاستبداد يقع بالدرجة الأولى على المستبد:



ولو أنه أنبحت له حياة هادئة يعمل فيها عملًا يتحمل تبعته، لجاز أن يُهلِّئ ذلك من أعصابه، ولكن سُمَّ السلطة ذهب بعقله، ذلك أن صحة العقل، كالحكم، تحتاج إلى ضوابط وموازين، وما من أحد من بني الإنسان يستطيع أن يكون قادرًا على كل شيء، وأن يكون في نفس الوقت سليم العقل!<sup>(1)</sup>.



(1) ويل ديورانت و أربل ديورانت، موسوعة قصة الحضارة المتال The Story of المسيح. (2) المسيح.

هذا الرفض الغربي للاستبداد والمستبدين لم يقتصر فقط على كاليغولا المجنون، بل تكرر كثيرًا في تاريخ الحضارات الغربية عبر الزمان، وشمل أيضًا القادة الغربيين الذين حققوا لشعوبهم ما لم يحققه أحد من القادة قبلهم، هؤلاء عادة ما كان يتم التخلص منهم مباشرة بعد أن يتزلقوا إلى مستنقع الاستبداد، ولعل من أبرز الأمثلة على ذلك هو ما حصل لأحد أشهر القادة العسكريين في التاريخ الإنساني على الإطلاق، القائد اليوناني الشهير الإسكندر المقدوني، المعروف باسم الإسكندر الأحرادا «Mexander the Great».

هذا القائد اليوناني استطاع وهو في عمر الثلاثين فقط أن يكون إمبراطورية امتدت مساحتها من حدود صحراء ليبيا وسواحل البحر الأيوني غربًا وحتى سلسلة جبال الهيمالايا شرقًا، بعد أن ضم إلى ملكه معظم بلاد اليونان ومصر والعراق

-@<sup>283</sup>@-

<sup>(1)</sup> الإسكندر الأكبر: هو أحد ملوك مقدونيا الإغريق، ومن أشبهر القادة العسكريين والفاتحين عبر الناريخ، وُلد سنة 356 ق.م، وتتلمذ على يد الفيلسوف والعالم الشهير أرسطو.

والشام والأناضول وبلاد فارس وأفغانستان وباكستان وصولا للهند وآسيا الوسطى، ولكن يبدو أنه أصيب في نهاية المطاف بآفة الاستبداد، وأعجب بفكرة تأليه الملوك التي شاهدها في حضارات العالم الشرقي التي غزاها، خاصة بعد أن حاول كهنة الفراعنة الذين جُبلوا على العبودية لفراعنتهم أن يقنعوه بأنه ابن لآلهتهم، فاتخذوه فرعونًا جديدًا لهم، ونصحوه بزيارة معبد آمون في واحة سيوة لكي يقابل الآلهة هناك ليتأكد منها بنفسه بأنه إله يمشي على الأرض، وفعلًا زار الإسكندر معبد آمون في سيوة، وخرج من المعبد بقناعة أنه إله حقيقي، وزاد من حماسه بفكرة ألوهيته ما رآه في بلاد فارس من تأليههم لأكاسرتهم، وكان كهنة الفرس قد جبلوا أيضًا على العبودية لملوكهم، فأبدوا استعدادهم له لاعتباره إلهًا جديدًا لهم، وبعد أن رَسَخ هذا الجنون في رأس الإسكندر أمر جنوده الإغريق بالانحناء لـه عند تحيته وإرسال قبلة له في الهواء، وهو أمر يصنعه الإغريق عادة لآلهتهم فقط، فرفض جنوده هذا الأمر، وأخبروه بأنهم يعتبرونه ملكهم وقائدهم العسكري الذي يقودهم للفتوحات

وليس إلهًا يعبدونه، وهو الأمر الذي عمل على تعكير صفو العلاقة بين الإسكندر وجنوده، ودفعه إلى تعيين قادة عسكريين من الفرس أظهروا لـه الطاعـة العميـاء دون نقـاش، ويقـال أن الحمى المفاجئة التي أصيب بها الإسكندر في العراق وأدت إلى موته المبكر في عمر 32 عامًا كانت نتيجة لعملية اغتيال تعرض لها الإسكندر عن طريق دس السم له في شرابه من قبل جنوده الإغريق الذين ضاقوا ذرعًا بطغيانه واستبداده، وبعد أن سثموا رغبته في عبادته كإله(1)، خاصة وأن اليونانيين كانوا يقدسون الحرية، ويعتبرونها خطًّا أحمرًا لا يمكن تجاوزه، خاصة وأن تقاليد الحرية وأنظمة التشاور التي توارثوها أبًا عن جد كانت سببًا في إنقاذ بلادهم في السابق من الاجتياح الفارسي الرهيب، وذلك بعد انتصارهم التاريخي الكبير في معركة سالاميس الفاصلة:

فقبل ولادة الإسكندر بنحـو 100 عـام، اشـتعلت شـرارة

 <sup>(1)</sup> وثانقي قناة ناشيونال جيوغرافيك الأمريكية: \* Alexander the Great The
 اينتاج 2004.

الحروب المعروفة بـ «الحروب اليونانية الفارسية» «-Greco Persian Wars»، وهمي سلسلة حمروب بين الإمبراطورية الأخمينية الفارسية والدويلات اليونانية المتفرقة، بدأت في عام 499 ق.م وانتهت في 449 ق.م.، وقد عملت نظم التشاور المتقدمة التي سادت في أثينا اليونانية في ذلك الوقت على حماية اليونان بأسرها من الوقوع تحت سيطرة الغزو الفارسي الذي اجتاحت جيوشه الجرارة كثيرًا من مدن اليونان في ذلك الحين، ففي حين تعوَّد الأثينيّون على التشاور فيما بينهم في اتخاذ القرارات، كـان الفـرس يتبعـون دون مناقشــة أوامـر ملكهــم خشايارشا الأول، المعروف أيضًا بزركسيز الأول «Xerxes »، وقد كان هذا الملك الفارسي المستبد وفقًا لما ذكره المؤرخ اليوناني الأشهر هيرودوتوس «Herodotus»(1) يضع بعض خطط

<sup>(1)</sup> هير ودوتس \*Herodotus: ويلقب بأي التاريخ، أشهر مؤوخي اليونان على الإطلاق، عاش في القرن الخامس قبل المبلاد (484 ق.م - 425 ق.م). عرف بفضل كتابه الشهير «التاريخ» (The Histories) الذي يصف فيه أحوال البلاد التي زارها والناس الذين التقاهم، إضافة لكثير من الأحداث التاريخية التي وثقها في كتاباته المديدة، خاصة أحداث المعارك الفارسية اليونانية، ويعتبر هيرودونس أول كاتب في التاريخ يتناول المواضيع التاريخية مستخدمًا أسلوب التحقيق المنهجي القائم على جمع المواد التاريخية ومن ثم ترتيها على شكل سرد تاريخي، وبالرغم من عدم خلو كتاباته من بعض المبالغات التاريخية، فإن

الحرب الحاسمة وفقًا للمنامات التي كانت تأتيه (1)، في حين كان الأثينون يتبعون نظامًا متقدمًا للتشاور فيما بينهم، سمح لكل واحد منهم أن يبدي رأيه الخاص بكل حرية، فكان من ثمرة اتباع هذا النظام أنهم توصلوا لخطة محكمة تقضي بإخلاء مدينة أثينا من السكان لكي يحرقها الفرس، ومن شم استدراجهم لخوض معركة بحرية حاسمة يتحدد من خلالها مصير اليونان إلى الأبد، وقد رفع المجلس الاستشاري اليونان توصياته للقادة العسكريين أن يكون موقع تلك المعركة البحرية المصيرية في مضيق بحري استراتيجي يسمى مضيق سالاميس «Salamis» الواقع بين البر اليوناني وجزيرة سالاميس.

وكانت خطة أثينا العسكرية تقضي باستدراج سفن الغزاة إلى داخل هذا المضيق البحري الضيق، وبالتالي ستنحصر القوة العددية للأسطول الفارسي الضخم، لتكون سفن العدو صيدًا سهلًا لسفن اليونان التي تنتظرها في نهاية المضيق!

وبالفعل...

هيرودونس يعتبر بشكل واسع راند علم التاريخ بلا منازع. (1) الكتاب السابع لهيرودونوس، 2 Herodotus Book.

تم استدراج الفرس إلى المصيدة بعد أن أظهرت بعض السفن اليونانية هروبها من أمام سفن الأسطول الفارسي، وكعادة المستبدين لم يستجب الملك الفارسي زركسيز الأول لنصيحة الملكة اليونانية المتعاونة مع الغزاة آرتميسيا الأولى «Artemisia I»، والتي بحكم معرفتها لطبيعة بلادها وشعبها اليوناني نصحت الملك الفارسي بعدم خوض تلك المعركة البحرية الخطيرة، وحسب رواية هيرودوتس، فإن الملكة أرتميسيا أشارت إلى هذا في حديث لها مع زركسيز قبل أن يمضي قدماً في حملته، حين أخبرته أن القتال في البحر كان مخاطرة لا لـزوم لهـا، ولكـن الملـك الفارسـي لـم يسـتمع لنصيحتها، وتقدم بسفنه إلى داخل المضيق المجهول، وعندما أصبح الفرس داخل المصيدة اليونانية، سمعوا من خلف الأمواج صوتًا لنشيد يوناني يتردد صداه من بعيد:

> تقدموا يا أبناء الإغريق، حرروا بلادكم، حرروا أطفالكم، نساءكم، معابد آلهة آبائكم،

> > قبور أجدادكم،



#### حان الآن وقت النضال في سبيل كل شيء! (1).

ليتفاجأ الفرس أن من يردد هذا النشيد هم جنود الإغريق الذين توحدوا في أسطول يوناني كبير تحت قيادة شرفية من أسبرطة، وقيادة ميدانية من أثينا، كان على رأس هذا الأسطول اليوناني الموحد القائد الأسبرطي النبيل يوريبياديس «Eurybiades»، بينما تولى قيادة عمليات التحالف اليوناني بطل معركة مارثون (2) التاريخية قبل ذلك بنحو 10 أعوام القائد معركة الأسطوري ثيمستوكوليس «Themistoctes»، الذي تمكن

<sup>(1)</sup> ردد اليونانيون هذا النشيد العسكري المعروف بـ «بيان» «paean» شرارة المعركة، ونقًا لما ذكره الرواتي المسرحي التراجيدي اليوناني إسخيلوس «Aeschylus»، الذي شارك بنفسه في هذه المعركة البحرية.

<sup>(2)</sup> معركة مارائون «Battle of Marathon» 949 وق.م. هي المعركة الحاسمة التي تمكنت فيها قوات أثينا من صد محاولة الفرس الأولى لاحتلال اليونان زمن الملك داريوس الأول والد الملك زركيز الأول، وقد وقعت المعركة في سهل «مارائون» على بعد بضعة أميال من أثينا، وقد بعث الأثينيون قبل المعركة بأحد المعانين واسمه فيدبيدس إلى أسبرطة طلبًا للنجدة، فأخذ هذا المعداء الأثيني يجري بسرعة حتى وصل إلى هدفه، ومن هذه المعركة خرجت فكرة مسابقات المارائون الرياضية، وتم تحديد المسافة بين سهل مارائون وأثينا المقدرة بـ 40 كيلومتراكتكون المسافة المغرصة لسباقات المارائون إلى يوم الناس هذا.

خلال لحظات قليلة من بدء المعركة من مباغتة العدو وتدمير أسطوله البحري تدميرًا ساحقًا، لينتصر التحالف اليوناني على أسطول الإمبراطورية الفارسية وحلفائها، وذلك في سبتمبر من عام 480 ق.م. في معركة سالاميس المصيرية « Battle of ».



ويعتقد كثير من المؤرخين الغربيين بأن معركة سالاميس البحرية كانت نقطة فاصلة في تاريخ الإنسانية، ويرون أن هذه المعركة لم تنقذ اليونان فقط، وإنما أنقذت أوروبا بأسرها من الوقوع تحت حكم الفرس، بينما يـذهب بعضـهم بـأن هـذه المعركة كانت لها أبعاد ثقافية أكثر عمقًا، حيث رأوا أن الصراع بين الفرس واليونان كان بمثابة صراع فكرين متقابلين، أحدهما استبدادي يعتقد بألوهية الحكام ويمنع مناقشتهم في قراراتهم، والآخر تشاوري قاثم على إعلاء قيم الحرية ومشاركة الجميع في اتخاذ القرارات، لـذلك رأوا أن معركية سـالاميس أنقـذت الحضارة الغربية بأسرها من انتشار آفة الاستبداد وتأليه الحكام، خاصة وأن الإغريق بعد هذه المعركة المصيرية عملوا على مطاردة الغزاة الفرس وطردهم من اليونان وأوروبا بشكل نهائي، فاستطاعوا بعد عام واحد فقط الانتصار عليهم في معركة بلاتيا الحاسمة عام 479 ق.م. التي وضعت نهاية لحلم الفرس باجتياح أوروبا، ومنذ ذلك التاريخ تحولت اليونـان مـن الـدفاع إلى الهجوم، واستطاع اليونانيون فيما بعد بقيادة الإسكندر

الأعظم اجتياح المستعمرات الفارسية في آسيا، وفي عام 331 ق.م. هاجمت القوات اليونانية عاصمتهم في قلب بلاد فارس، ليضعوا بـذلك نهايـة للإمبراطوريـة الفارسية الإخمينيـة، الإمبراطورية العظيمة التي ضيعت فرصة اجتياح بلاد اليونان قبل ذلك بسنوات قليلة، بعد أن اتبع الفرس الخطط الغبية التي كانت نتاجًا لأضغاث أحلام ملكهم المستبد، مقابل خطط عسكرية يونانية محكمة ؤضعت لمواجهتهم وفق دراسات علمية وواقعية، استطّاع الأثينيون من خلالها تغيير التاريخ بأسره، ليس لأنهم كانوا الأقوى أو الأكثر عددًا وسلاحًا، بل لأنهم وبكل بساطة اعتمدوا مبدأ التشاور! (١).

مبدأ الشورى تجلى في أبهى صوره في عهد دولة الرسول محمد سَلِقَه تَنِيَعَ وَكِانَ لا تَباع هذا النهج السليم في إدارة الحكم أثر كبير في نجاح هذه الدولة الوليدة، بالرغم من كل التحديات الكبيرة التي واجهتها، لذلك فإن الرسول سَلِقَتَ تَعَيْمَ وَلَيْهِ رَبِّلًا

~<sup>(292</sup>~

<sup>(1)</sup> تعتبر كتابات هير ودوتس المصدد الرئيسي الذي ذكرت فيه تفاصيل هـلمه الحروب، وقد عاصر هيرودونس أحداث الغزو الفارسي لليونان، ويعتقد أنه شارك بنفسه في معركة سالاميس المصيرية.

كان يشجع أصحابه على إبداء آرائهم بكل حرية، وكان عادة ما يستشيرهم في قرارات الدولة، وكان يستمع بكل تواضع إلى اعتراضاتهم على اجتهاداته السياسية، وفي أكثر من مناسبة كان يتراجع عن رأيه الشخصي ويأخذ بآراء أصحابه فيما يتعلق بأمور الدولة، وقد نجح الرسول صَلَاتَهُ عَلَيْهِ وَعَلاَّ الْهِ وَسَلَّمَ بِذَلك في صناعة جيل كامل من الأحرار الذين تحدوا استبداد قريش ومن معها، وهم نفس الأحرار الذين سيقومون بعد ذلك في تغيير مجرى التاريخ، فقد كان أستاذهم محمد صَأَلِتَهُ عَلَيْهَ وَعَلَالِهِ وَسَلَّمَ يدرك تمام الإدراك أن الأحرار فقط هم من ينجحون في تغيير التاريخ، وأن هذا الدين لن يستطيع رفع رايته من بعده أشخاص مسلوبو الإرادة تطبعوا على الطاعة العمياء وعبودية البشر، فقد أثبت التاريخ أنه لا يمكن الاعتماد على مثل هؤلاء العبيد الذين تمرسوا على عبادة البشر، فهؤلاء مستعدون لتغيير ولاءاتهم لكل من يملك القوة، حتى وإن كان من يملك القوة عدوًا لـوطنهم أو ديـنهم، ككهنـة الفراعنـة والفـرس الـذين كـانوا مستعدين لعبادة الإسكندر الذي احتل أرضهم وارتكب المذابح في حسق أبناء وطمنهم، أمما أصمحاب محمد

صَائِمَتْهُ عَلَيْهُ وَعَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَىهُ وَاصْحَةَ عَلَمُهُمُ إياها أستاذهم الأعظم رسول الله صَائِلْمَتَظَيْمِ وَعَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى الله

«لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»(١).

لذلك لم يكن مستغربًا أن يظهر من بين أصحاب محمد صَالَهُ عَلَيْهَ عَلَيْهَ عَلَيْهِ إِنسان حر مثل ربعي بن عامر التميمي وَعَلَيْهَ عَنْهُ الذي وقف أمام القائد العام لقوات الإمبراطورية الفارسية الساسانية رستم فرخزاد «Rostam Farrokhzad » مباشرة قبل معركة القادسية الفاصلة عام 15هـ 636م، ليشرح للقائد الفارسي أن الإسلام جاء لتحرير البشر من عبودية البشو، فقال ربعي بن عامر وَعَلِيْقَة لوستم:

الله ابتعننا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام"<sup>(2)</sup>.

(2) البداية والنهاية لابن كثير.

<sup>(1)</sup> رواه ابن حجر العسقلاني في تخريج مشكاة المصابيح، والسيوطي في الجامع الصغير، والهيثمي في مجمع الزوائد، والدارقطني في تاريخ بغداد، وابن القيم في أعلام الموقعين، وابن عبد البر في الاستيماب، وغيرهم.

ولم يكن من المستغرب أيضًا أن المستبدين من الفادة والزعماء والملوك قرروا محاربة الرسول سَالَفَنَ عَيْمَعَالَهِوَسَدُّ، فدعوة الإسلام بما تحمله من مبادئ للحرية والمساواة والعدل تتعارض بالضرورة مع مصالح هؤلاء المستبدين، وقد فطن لهذا الأمر المثنى بن حارثة الشيباني وَمَنافَلَ، عندما سمع من الرسول سَالَفَعَلْمَوْقَ المِوْسَدُنَ ما يدعو له الإسلام من مبادئ تحررية، فقال للرسول سَالِفَنَعَلِمُوَقَالِمَتَلَةً:

«ولعل هذا الأمر الذي تدعونا إليه مما تكرهه الملوك»(1).

فعلى عكس ملوك فارس المستبدين الذين تحدث عنهم المثنى رَحْنَاهُ بحكم مجاورة قبيلته لأراضي الإمبراطورية الفارسية، كان الرسول صَّافَتُنَافِهُ وَاللَّهُ الدَّرَةُ لِيَرْرَعُ فِي أصحابه قيم الحرية ومنهجية مشاركة الفعالة في اتخاذ القرارات، وينأى بهم عن التعود على فكر الاستبداد الذي من شأنه تدمير أقوى الدول وإنهاء أعظم الحضارات، والأمثلة على ذلك كثيرة، لعل من

<sup>(1)</sup> أخرجه ابن حبان في الثقات، والبيهقي في الدلائل، وابن عساكر في تاريخ دمشق.



أبرزها ما حصل في غزوة الخندق، أو كما يُطلق عليها أيضًا غزوة الأحزاب:

ففي العام الخامس للهجرة، الموافق 627م، وبعد إجلاء يهود بني النضير من المدينة نتيجة لاكتشاف محاولتهم الفاشلة لاغتيال رسول الله صَرَّالِتُهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قبل ذلك بعام، خطط زعيم بني النضير حيى بن أخطب النضري للانتقام من الرسول صَأَلَتَهُ عَلَيْهِ وَعَلَالِهِ وَسَلَّم، فأخذ يتنقل بين القبائل العربية في محاولة لإقناعهم بتشكيل تحالف عسكري كبير لقتال الرسول صَالِمَهُ عَلَيْهِ وَعَالِهِ وَسَلَّم، وبالفعل نجح حيى بن أخطب في تشكيل تحالف جرار يتكون بالأساس من أعداء الإسلام الذين رأوا في هذا التحالف فرصة ثمينة للقضاء نهائيًا على دولة الإسلام الناشئة، كان على رأس هؤلاء قبيلة قريش، إضافة لقوات من المرتزقة الذين انضموا للتحالف مقابل الأموال التي وُعدوا بها، هؤلاء تشكلوا بالأساس من مرتزقة قبائل غطفان الذين كانوا يعملون كقطاع للطرق في زمن الجاهلية، فتشكل تحالف جرار من 10 آلاف مقاتل ينتمون لقبيلة قريش ومرتزقة من قبائل غطفان من بني فزارة وبني مرة وبني أشجع، وضم هذا التحالف أيضًا قوات تابعة لقبائل يهود بني النضير ويهود خيبر وبني أسد وبني سُليم، وانضم لهذا التحالف فيما بعد يهود بنو قريظة،

وأشركت قريش في هذا التحالف الكبير حلفاءها المعروفين باسم الأحابيش، والأحابيش هم الاسم الذي كان يطلق على تحالف مكون من سكان مكة ممن لا ينتمون لقبيلة قريش، وكان الأحابيش يتكونون بالأساس من أفراد ينتمون إلى قبائل عربية مختلفة، لا سيما قبيلة كنانة، وأفراد من أصول غير عربية ينتمون إلى جنسيات مختلفة، لا سيما الحبشة، استقر بهم المقام في مكة بسبب التجارة أو الأسر أو غير ذلك من الأسباب، وقد اختُلِف في سبب تسميتهم بالأحابيش، فقيل لأنهم تجمعوا بجبل «حبشي» في مكة، وقيل لأنهم تحبشوا أي تجمعوا فيما بينهم، وقيل أيضًا نسبة للحبشة التي تعود إليها أصول كثير من الأحابيش، وقد كان عدد الأحابيش كبيرًا في مكة، وكانوا يشكلون قوة سكانية وعسكرية كبيرة، خاصة أنهم تجمعوا تحت قيادة واحدة ممثلة بالحُليس بن عَلقمة الحارثي(١).

<sup>(1)</sup> العُليس بن عَلقمة الحارش: كان أحد الذين خرجوا لمفاوضة الرسول والإنتيان المنافزية في الحديبية، فلما رأى الهّ لدي مع المسلمين ولاحظ مظاهر خروجهم للمعرة، رجع لقريش دون أن يكلم الرسول كالله فلايؤوهيذة فأخبر قريش بدارأى، فقالو الد \* الجلس، فإنما أنت أعرابي لا علم لله ، فغضب منهم وقال: "ما معشر قريش، والله ما على هذا حالفناكم، ولا على هذا عاقدناكم، أيصدً عن بيت الله من جاء مظمًا له ؟ والذي نفس الحليس بيده، لتَخَلَّ بين محمد وبين ما جاد له، أو لأنقون بالأحايش نفرة رجل واحده، فقالوا له: "مه، كف عنا يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا ما نوضى بهه.

وبعد تكوين تحالف الأحزاب الجرار، بدأت قواتهم العسكرية بالتحرك نحو المدينة في محاول أخيرة وحاسمة لإنهاء دولة المدينة عن بكرة أبيها، فلما وصلت المسلمين أنباء تحركات هذا التحالف نحو مدينتهم، أسرعت القيادة العامة للمسلمين ممثلة برسول الله صَأَيْتَهُ عَلَيْهِ وَعَلِي اللهِ وَسَلَّمَ بعقد مجلس استشاري طارئ لمناقشة كيفية التصدي لزحف الغزاة، وأخذ الرسول صَأَلْلَهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يستمع إلى مقترحات أصحابه ووجهات نظرهم، فتقدم أحد الصحابة بمقترح عجيب لخطة دفاعية لم تكن معروفة في بلاد العرب، كان اسم هذا الصحابي روزبه بن يوذخشان، وهو رجل فارسى هاجر من أصفهان الفارسية منذ ما يزيد عن عشرين عامًا قبل ذلك بحثًا عن الدين الحق، وتنقل بعدها بين بلدان عديدة في مغامرة مثيرة، ليتم اختطافه في نهاية الأمر من قبل بعض قطاع الطرق الذين باعوه ليكون عبدًا ليهودي من بني قريظة يعيش في المدينة، وهناك قابل الرسول صَلَّاتِلَهُ مَلَاهِ وَمَا لَإِهِ وَسَلَّمَ بعد هجرته مباشرة وأعلن إسلامه بين يديه، ولكنه لم يتمكن من الالتحاق بصفوف المسلمين لأنه كان ما يـزال عبـدًا فاقـدًا الحريـة، الأمـر الـذي حـال دون مشـاركته في

غزوق بدر وأحد، بعد ذلك قام الرسول صَلَّقَتَهُوتَكَابُوتَسَةُ بحملة لجمع المال لدفعه لسيده اليهودي مقابل تحريره، ليتمكن في نهاية الأمر من الانضمام إلى بقية إخوته المسلمين، ويشارك في مجلس الشورى الذي عقده رسول الله صَلَّقَتَعَلَى المَوْتَحَةُ في تلك الأثناء لبحث تداعيات التحركات العدائية نحو المدينة، روزبه بن يوذخشان هو نفسه الصحابي الجليل الذي عرف في التاريخ باسم سلمان الفارسي رَحَيَقَقَعَهُ!

فما هي تفاصيل تلك الخطة الدفاعية الفارسية التي فاجأت الغزاة؟ وما الذي دفع الرسول سَيَّاتُفَتَّدَيْوَالْهِوَتَلُهُ لَتجربة مثل هذه الخطة الجديدة التي لم يستخدمها أحد من قبله في جزيرة العرب؟

يتبع...

യെ∳യ





عندما تفقد نبي الله سليمان عَلَيْاتَكُمْ جنوده من الطير، فوجئ بعدم وجود الهدهد بينهم، فغضب لغيابه دون استئذان، وتوعده بالعقاب إذا رجع إليه دون حجة مقعة تبرر فعلته، وبعد فترة قصيرة رجع الهدهد، فسأله سليمان عَلَيْاتَكُمْ عن سبب غيابه، فأخبره الهدهد أنني أحطت بما لم تحط به، أي أحطت بعلم ما لم تحط به أنت يا سليمان(2)، ثم أخبره بقصة ما رآه في مملكة سبأ في القصة المشهورة الواردة في سورة النمل.

اشتمل القرآن الكريم على كثير من الآيات التي تتحدث عن تماريخ الأمم الغابرة والحضارات السابقة، وقصص الأنبياء والصالحين، وحوادث الدهر المتعاقبة، وما رافق ذلك من

<sup>(1)</sup> سورة النمل الآية 22.





صراع أزلي بين الحق والباطل، والخير والشر، والإنسان بطبعه يستمتع بمتابعة أحداث القصص والحكايات، ولكن العاقل فقط هو الذي يتمكن من استلهام الدروس والعبر من تلك القصص، لذلك أوضح الله عَرَّجَلَّ في كتابه الكريم أن أولي الألباب، أي أصحاب العقول الصحيحة، هم الذين يستلهمون العبر من القصص:

> ﴿ لَقَدُكُاتَ فِي فَصَمِهِمْ مِيْرَةً لِأَوْلِي ٱلْأَلْبَبُّ مَاكَانَ حَدِيثًا يُمْتَرَكَ وَلَنَصِينَ نَصْدِيقَ ٱلْذِى بَيْنَ يَكَدُيُو وَتَفْسِيلَ كُلُ مِنْ وَوَهُدَى وَرَحْمُ لِلْوَرِينِ وَيُومُونَ ﴿ ﴾ (١٠).

وفي قصة نبي الله سليمان عَيَّالتَكَمْ مع الهدهد الكثير من العبر، لعل من أبرزها مسألة جوهرية ربما لم نتبه إليها كثيرًا بسبب تسارع أحداث القصة بعد عودة الهدهد من رحلته، هذه المسألة لخصتها كلمات قليلة غاية في الفصاحة والذكاء قالها الهدهد لنبي الله سليمان:

### ﴿ أَحَطَتُ بِمَا لَمْ يَحِطُ بِدِ ﴾

(١) سورة يوسف الآية 111.



فقد منح الله عَزَّجَلَّ نبيه سليمان عَلَيْهِالسَّكَمْ إِضافة للنبوة والملك علمًا واسعًا وسلطانًا عظيمًا لم يؤته أحد من بعده، فكان يعرف لغة الطير والنمل وسائر الحيوانات، وكانت الريح تجرى بأمره وتنقله إلى أي مكان يشاء، وسخر الله له الجن والإنس والحيوان ليكونوا جندًا له، وأنعم الله عليه بـذكاء كبير وبمقدرة فاثقة على الفصل في الأمور المستعجلة والقضايا الشائكة، ولكنه وبالرغم من كل ما يمتلكه من علم وذكاء واطلاع وإمكانيات جبارة، لم يستطع الوصول إلى علم وصل إليه جندي من جنوده البسطاء، هذا الجندي لم يكن عالمًا من العلماء، أو فقيهًا من الفقهاء، أو حتى مجرد إنسان، بل كان مجرد حيوان صغير، استطاع الوصول إلى علم لم يصل إليه نبي من أنبياء الله، ليس لأن الهدهد كان أذكى أو أقوى من نبي الله سليمان عَيْمِالنَّلَام، وليس لأن إمكانياته كانت أكبر أو حتى يمكن مقارنتها بالإمكانيات الجبارة التي كان يمتلكها سليمان عَلَيه السَّلَا الذي يعتبر أحد أعظم ملوك الأرض في التاريخ إن لم يكن أعظمهم على الإطلاق، بل لأن الهدهد كان يمتلك جناحين

صغيرين اختار أن يحلق بهما عاليًا في السماء، ليصل إلى مكان لم يصله سليمان عَلَيْهُ السَّلَامُ، وهذا ليس عيبًا في نبي الله، ولكنها سنة الحياة، وطبيعة الخلق، وتمايز الأشياء، فما يعلمه الهدهـد قد لا يعلمه سليمان عَلَيْهِ السَّلَةِ ، وما يعلمه سليمان عَلَيْهِ السَّلَةِ قد لا يعلمه أبوه داود عَلَيْهَالسَّكَمْ، وما تعلمه أنت بحكم ظروفك وخبراتك في الحياة قيد لا أعلمه أنيا، وما أعلمه أنيا بحكم دراستي وتجاربي الخاصة قد لا يعلمه أستاذي الذي علمني الكتابة، وهذا الأمر لا ينقص من قدر أحد، أو يعني بالضرورة أفضلية أحد على غيره، فسليمان عَيْنِوالسَّكَمْ هو قطعًا أفضل من الهدهد، ولكن هذا لا يمنع أن الهدهد توصل إلى علم يجهله سليمان عَلِيهِالتَكَمْ، وذلك بفضل إمكانياته الخاصة، ومجهوده الذات، وربما فضوله وذكائه وشغفه لاكتشاف ما هو جديد، وقبل كل شيء لا ينبغي على المرء أن ينسى أن كلُّ مَخلوق مُيَسَّرٌ لِما قُدِّرَ له، لذلك لم يغضب سليمان عَلَيْهِ السَّكَمْ عندما أخره الهدهد أنه أحاط بما لم يحط به هو، بل على العكس من ذلك، جعله مبعوثه الخاص إلى مملكة سبأ، وهذا إن دل على شيء

فإنه يدل على حكمته وثقته بنفسه، على عكس كثير من الذين يحسدون غيرهم على فضل آتاهم الله إياه، أو على علم لم يتوصلوا إليه هم، فلولا هذا الاختلاف في معارف الناس وقدراتهم لما تطورت مسيرة العلم عبر التاريخ، ولا تقدمت الحضارة الإنسانية من جيل إلى آخر، ولأصبح الناس جميعًا أمة واحدة، وبالرغم من أن الحسد يعتبر من أهم العوامل التي يحارب من أجلها كل من يأتي بعلم جديد، إلا أنه لا ينبغي تجاهل ظاهرة بشرية تكررت عبر التاريخ في كل زمان ومكان، وهي وجود أشخاص يكرهون التجديد، ويخشون التغيير، فلا يضيفون شيئًا جديدًا طيلة سنوات عمرهم الضائعة، ولا يتركون أثرًا في هذه الحياة قبل رحيلهم منها!

وقد كانت الأسباب التي منعت كفار قريش من الإيمان بدين الإسلام كثيرة، فالبعض كانت الغيرة هي دافعه الأول للكفر، مثل فرعون الأمة أبي جهل، الذي كانت الغيرة تملأ قلبه لأن النبي محمد صُلَّقتُ عَلَيْوَ اللَّهِ يَتَلَّ ينتمي إلى بني هاشم بن عبد مناف بدلاً من عشيرته بني مخزوم، وقد صرح بذلك بشكل

مباشر في إحدى المناسبات:

"تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعمــــوا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تجاثينا على الركب، وكنا كفرسي رهان، قالـوا: منا نبي بأتيه الوحي من السماء! فمتى ندرك هذه؟! والله لا نؤمن به أبدا ولا نصدقه».

ومن تأمل فيما جاء في القرآن والسيرة عن أسباب إعراض كفار قريش عن دعوة رسول الله صَلَّ المَّاتِدَةَ وَالَّهِ المَّاتَةَةَ وَالْحَسِدَةُ الني دفعت الغيرة والحسد والكبر لم تكن العواصل الوحيدة الذي دفعت الجميع لعدم تصديق الرسول صَلَّ اللَّهَ اللَّهِ اللهِ فلقد كان هناك أيضًا من اختار عدم الدخول في الإسلام لأنه وبكل بساطة لا يقبل التجديد، ولا يرغب في تغيير الوضع القائم الذي ورثه عن آبائه وأجداده، يقول الله سبحانه وتعالى في وصف مثل هؤلاء:

﴿ وَإِذَا فِيلَ لَهُمُ الَّبِيمُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّيْعُ مَا ٱلْفَيَا عَلَيْهِ اللَّهَ اَقَالُو كَاكَ البَا أَفِّمُ لَا يُمْتَقِلُوك شَيْعًا لَلا يَمْتَدُونَ ﴿ ﴾ ( ).

<sup>(1)</sup> سورة البقرة الآية 170.



ولعل أبا طالب عم الرسول صَّالَّشَنَيْءَوَقَالِهِوَتَمُّ من أبرز الأمثلة على هذه النوعية من البشر، فأبو طالب لم يكن كأبي جهل يغار من الرسول صَّالَسَّنَيْءَوَقَالِهِوَتَمُّ، بل على العكس من ذلك كان يحب ابن أخيه حبًا كبيرًا، ودافع عنه أمام كفار قريش بكل ما يملك من قوة، وضحى من أجله وعانى، ولكنه وبالرغم من كل ذلك لم يرغب في تبديل دين أبيه عبد المطلب الذي ورثمه عنه، بالرغم من محاولات الرسول صَلَّشَتَعَيْدَوَقَالِهُوتَكُمُّةً العديدة معه، والتي استمرت حتى آخر لحظة في حياته:

«لما حضرت أبا طالب الوفاة، جاءه رسول الله من من من الله بن من الله بن المناعظ الله بن أبا جهل، وعبد الله بن أبسى أحبسة بسن المغيسرة، فقسال رسسول الله من المناعظ الله أنه علمة قبل الله إلا الله، كلمة أشهد لك بها عند الله، فقال أبو جهل وعبد الله بن أبى أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب؟! فلم يزل رسول الله من المنتقية وعلى وعبد المعلب؟!

# ويعودان بتلك المقالة، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقـول لا إله إلا الله (١٠).

هذه النهاية الحزينة لأبي طالب كانت بسبب خوفه من تغيير موروثاته الثقافية وتجربة ما هو جديد، ولكن أبا طالب كان شخصًا طيبًا لم يعادِ ابن أخيه محمدًا صَأَلِقَهُ عَلَيْهِ وَعَلَى الْهِ وَسَلَّمَ لأنه جاء بشيء جديد، ولم يضطهد ابنه عليًا رَجَزَلِيُّهُ عَنْهُ لا تباعه هذا الدين الجديد منذ فجر البعثة، فكان تأثير قناعاته الخاطئة محدودًا عليه وحده، على الرغم من الحزن الشديد الذي خلفه موته كافرًا على نفس الرسول صَأَلَقَهُ عَلَيْهِ وَعَلَالِهِ وَسَلَّمَ ونفوس المسلمين الذين تمنوا وما زالوا يتمنون لو أن رجلًا طيبًا مثله مات على الإسلام، ولكن الكارثة الكبرى تكون عندما يتولى السلطة السياسية أو الدينية أشخاص ضيقو الأفق لا يمتلكون طيبة وسماحة أبي طالب، فلا يكتفون بالجمود الفكري وحسب، بل یقومون أیضًا بشن حرب شعواء علی کل صاحب فکر جدید

(1) صحيح البخاري.



من شأنه تغيير الموروثات الخاطئة أو إضافة شيء جديد فيه خير للبشرية، وقد سيطر مثل هؤ لاء الأشخاص على أوروبا في القرون الوسطى، بعد أن استخدموا مراكزهم الدينية المتقدمة في الكنيسة الكاثوليكية في قمع كل صاحب فكر جديد يخالف آراءهم، فقاموا بسجن وقتل وحرق وتعذيب الكثير من العلماء والمفكرين الذين ظهروا في عصر النهضة في أوروبا، مثل العالم الإيطالي جاليليو جاليلي<sup>(1)</sup> الذي حاكمته الكنيسة عام 1633م بتهمة الهرطقة، أي الزندقة والابتداع، وذلك لأنه جاء بعلم جديد يخالف معتقدات الكنيسة، بعد أن أثبت علميًا أن الأرض تدور حول الشمس وليس العكس كما كانت الكنيسة تعتقد، ليدان جاليليو من قبل محكمة تفتيش كاثوليكية تابعة للكنيسة، ليموت بعدها تحت الإقامة الجبرية، قبل أن يثبت العلم الحديث صحة نظرية جاليليو جاليلي بمركزية الشمس، الأمر الذي دفع الكنيسة لتبرئته رسميًا عام 1992م وتقديم اعتذار لـه من قبل بابا الفاتيكان، وللإنصاف فإن مثل هؤلاء الأشخاص

<sup>(1)</sup> غاليليو غاليلي (بالإنجليزية: Galileo Galilei) 1564-1642، عالم فلكي وفيلسوف وفيزيائي إيطالي ظهر في عصر النهضة.

محدودي الأفق الفكري موجودون في كل دين وملة بما فيها الإسلام، مم التسليم بأن الكنيسة الكاثوليكية في القرون الوسطى كانت الأكثر قمعًا وظلامية، ففي تاريخ الإسلام حورب كثير من المصلحين والمجددين بسبب آرائهم الفكرية واجتهاداتهم الفقهية التي خالفت في وقتها أصحاب السلطة السياسية والدينية، ونحن لا نتحدث هنا عن الأشخاص الذين ظهروا في تاريخ الإسلام ببدع وأفكار ما أنزل الله بها من سلطان تخالف ثوابت الدين وركائزه، ولا نقصد بحديثنا عن المجددين من يدعون لهدم قواعد الدين الثابتة في الكتاب والسنة بحجة التجديدو الإبداع الفكري، وإنما نقصد بهم علماء ومفكرين مشهود لهم بالصلاح، كانت لهم اجتهادات علميـة وآفـاق فكريـة واسـعة تصـادمت مـع أصـحاب النفـوذ السياسي والديني في وقتهم، مثل حالة إمام أهل السنة والجماعة أحمد بمن حنبل وَمَنَاهَهُ اللَّذِي تعرض للاضطهاد والسجن والتعذيب لسنوات طويلة لأنه خالف بعض المعتقدات والآراء الدينية التي تبنتها السلطة السياسية والدينية في زمنه، قبل أن يتم الإفراج عنه بعد إثبات صحة اعتقاده، وفساد اعتقاد السلطة



الدينية السائدة في زمانه ممثلة بالمعتزلة، ليستحق الإمام أحمد بن حنبل أن يطلق عليه المسلمون على مر الزمان لقب إمام أهل السنة والجماعة، بعد أن قرر عدم التنازل عن الحقائق العلمية الثابتة، ورفض الرضوخ للتيار الديني الفاسد الذي كان متنفذًا في السلطة في زمانه، فالسمكة الميتة فقط، هي السمكة التي تجرى دائمًا مع أي تيار يجرفها!

والرسول صَّلِقَتَنَيْءَوَ اللَّهِ وَسَدُّ كان صاحب أفق فكري واسع إلى أبعد الحدود، فحتى قبل أن ينزل عليه الوحي ويصبح نبيًا في سن الأربعين رفض أن يتبع الموروثات الفاسدة لقومه، أو أن يجري في تيار مجتمعه بكل ما فيه، بل اختار أن يأخذ الأمور الإيجابية فقط من كل ذلك، ويضرب بعرض الحائط ما دون ذلك، فاختار ألا يكون على دين قومه في عبادة الأوثان، فلم يسجد لصنم قط، ولم يشرب الخمر في حياته، ولم يأكل أبدًا من ذبائح قومه التي كانت تذبح على الأنصاب(١١)، وكان صَرَّفَةَ عَنْدُونَا اللَّهِ المَّارِةُ المَا عَرْدُ راء ليخلو بنفسه عن مجتمعه مَا ينخرج إلى غار حراء ليخلو بنفسه عن مجتمعه

~®~

<sup>(1)</sup> الأنصاب ما كنان يُنصب على الأرض وينذبح عليه المشركون ذباتحهم وقرابينهم التي يتقربون بها لأصنامهم.

الوثني، ليتعبد الله في ذلك المكان الهادئ، متأملًا في خلق السماوات والأرض، وقدرة الخالق وبديع صنعه، ليزداد اتساع أفقه الفكري أكثر فأكثر في ذلك المكان الهادئ البعيد عن الفساد الديني لمجتمعه.

ولم يقتصر اتساع أفق الرسول صَلَّاتَنَا عَلَى الأمور الدينية، بل كان يرحب دائمًا بكل إبداع إنساني جديد فيه خير للناس، حتى وإن كان هذا الإبداع مستوردًا من الخارج، وهذا تمامًا ما حصل في السنة الخامسة للهجرة:

فبعد أن عقد الرسول صَلَّاتَنَا يَبْوَكُلُ الْوَسَدُ مَجلسًا استشاريًا طارقًا لمناقشة سبل صد زحف الغزاة نحو المدينة، نقدم الصحابي سلمان الفارسي وَعَلَيْهَ عَنْ بمقترح خطة دفاعية عسكرية لم تستخدمها العرب من قبل في تاريخ الجزيرة العربية بأسرها، هذه الخطة كانت تقضي بأن يحفر المسلمون خندقًا دفاعيًا يحول دون تقدم جيش الأحزاب داخل المدينة، فقال سلمان الفارسي وَعَلِيَهُمَاهُ:

«إنا كنا بفارس إذا حوصرنا خندقنا علينا»(1).

<sup>(1)</sup> فتح الباري لابن حجر العسقلاني.

هذه الخطة الجديدة التي جاء بها سلمان الفارسي رَعِوَالِيَّهُ عَنهُ من خيلال تجاربه وخبراتيه الخاصة في بيلاد فيارس لاقت استحسانًا وترحيبًا من قبل رسول الله صَالِمَةَ عَلَيْهِ وَعَالِهِ وَسَالَمٌ، فالرسول صَلَّاتِتُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى إلهِ وَسَلَّمَ كان يمتلك أفقًا فكريًّا واسعًا يتسع لكم المقترحات الجديدة والأفكار الخلاقة، طالما أنها لا تتنافي مع الثوابت أو تتعارض مع المصلحة العامة، على عكس كثير من الناس الذين يحصرون أنفسهم في مساحة محدودة بأفكار تقليدية مكررة، هي نتاج طبيعي لعقولهم المتحجرة التي لا تقبل التغيير، ولا ترغب بتجربة ما هـو جديد، لـذلك قرر الرسول صَلَّاتِتَهُ عَلَيْهِ وَعَلَالِهِ وَسَلَّمَ الأخذ بمقترح صاحبه الفارسي، على الرغم من عدم قيام أي أحد في جزيرة العرب من قبل بتجربة مثل هذا النوع من الخطط الدفاعية، فكان الرسول محمد صَلَّاللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَّالِهِ وَسَلَّم بِذَلْك أُول إنسان في تاريخ الجزيرة العربية يستخدم مثل هذا التكتيك الدفاعي!

وبعـد معاينـة لجغرافيـة المدينـة، قـرر الرسـول محمـد صَّالَةَعَدُوعَالِهُوسَدُ اختيـار الجهـة الشـمالية للمدينـة ليحفـر فيهـا الخندق، وأعطى بعد ذلك إشارة البدء لتنفيذ ذلك المشروع الهندسي الضخم، مشروع حفر الخندق!

ولكن لماذا اختار الرسول صَلَّاتُنتَيْمَوَ الْهِوَالَ الْجهة الشمالية دون غيرها من الجهات لحفر الخندق؟ وما هي تفاصيل ذلك المشروع الهندسي الضخم؟ وكيف تم تنفيذه على أرض الواقع؟ وما هو الدور الذي كان يقوم به القائد العام للمسلمين محمد بن عبد الله صَلَّاتَتَ يَتَوَالِهُ وَسَلَّةً أَثْناء عملية حفر الخندق؟

#### જા∳ભ



المّا كان يوم الأحــزاب وخنــــدق رســـول الله صَّلَهُ عَنَّهُ وَكَالِهِ رَسَّةُ رأيته ينقل من تراب الخندق حتى وارى عني الغبار جلدة بطنه الأ

كان مشروع حفر الخندق مشروعًا هندسيًا عملاقًا بكل ما تحمله الكلمة من معنى، وكان يتحتم لنجاح مثل هذا المشروع الضخم والمعقد وجود إدارة سليمة تشرف على كل تفاصيله الدقيقة، وقد أظهر الرسول سَرَّأَتَهُ عَيْدَ عَلِيْلَهُ وَسَدُّ مَن خلال إشرافه العام على مشروع الخندق عبقرية فنذة في فن الإدارة، ظهرت تجلياتها بشكل خاص أثناء عملية الحفر، وما رافق ذلك من أحداث خطيرة أثناء غزوة الخندق بشكل عام، ومن خلال السطور القليلة القادمة سنسلط الضوء على بعض مظاهر تلك الإدارة الناجحة للرسول سَرَّانَا عَنِيوة الْاسَدُ، وسنحاول تبسيط

(1) صحيح البخاري.



هذه المظاهر وتوضيحها قدر الإمكان من خلال استخدام الأمثلة والشواهد الحية:

1. تحديد الإمكانيات المتاحة: علهم الرسول صَلَّقَهُ عَلَيْهِ وَعَلَّالِهِ وَسَلَّمَ من خلال جهاز الاستخبارات الإسلامية أن الغيزاة يقيدر عيددهم بـ 10 آلاف مقاتيل، في حين أن جيش المسلمين بأكمله يقدر عدده بـ 3 آلاف مقاتل، أي أن الكثرة العددية في صالح العدو، خاصة وأن عددهم قابل للزيادة في حال انضمام قبائل جديدة لتحالف الأحزاب، فكان خيار الصدام العسكري المباشر يعني خوض معركة عسكرية في غاية الخطورة لمواجهة جيش يزيد عدده عن 3 أضعاف جيش المسلمين، ولكن ورغم خطورة الصدام العسكري المباشر وتفوق الأعداء العددي، فإن الانتصار في مثل هذه المعركة ليس أمرًا مستحيلًا، خاصة وأن المسلمون بقيادة الرسول صَلَّاتَهُ عَلَيْهِ وَعَالَالِهِ وَسَلَّمَ انتصروا على قريش في السابق في غزوة بـدر الكبرى على جيش يقدر عدده بـ 3 أضعاف عددهم، أي أن التناسب العددي بين جيش المسلمين والأعداء متقارب في

**-6³15**∕a

غزوتي بدر والأحزاب، ولكن الخطورة تكمن في أن المسلمين حاربوا في بدر بجزء صغير من عددهم الكلي، فلو قدر أنهم انهزموا أو انسحبوا سيكون هناك من يحمى المدينة، أما في حالة مواجهة الأحزاب فإن المسلمين سيقاتلون بكامل عددهم، فلو تمكن الأحزاب من هزيمتهم سيعنى ذلك سقوط المدينة وانهيار الدولة، لذلك كان خيار التحصن داخل المدينة ومنع الأحزاب من اقتحامها هو الخيار الأمثل، خاصة أن الرسول صَلَّالِلَّهُ عَلَيْهِ وَعَلاَّ آلِهِ وَسَلَّمَ درس أيضًا إمكانيات العدو المتاحة، فالأحزاب جاءوا للقتال المباشر السريع، وأعدوا العدة لمعركة خاطفة يـدمرون مـن خلالهـا القـوة الإسـلامية، فلـم يحسبوا حساب البقاء لمدة طويلة لحصار المدينة، وهي نقطة في صالح المسلمين الذين يرابطون داخل أرضهم، على عكس الغزاة الذين سيحتاجون لمصادر تموين هائلة لإطعام جيش مكون من 10 آلاف مقاتل، إضافة إلى أعداد هائلة من الدواب تحتاج إلى غـذاء ومـاء بشـكل دائـم، وبـذلك اسـتطاع الرسـول صَأَلِقَتْ عَلَيْهُ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ بكل ذكاء أن يحول تفوق العدو العددي إلى ولكن النبي صَأَلِقَهُ عَلَيْهِ وَعَلَى لِهِ وَسَلَّمَ لَم يكن يلتفت لمثل تلك السخافات، فقد كان رسول الله صَأَلِتَهُ عَتَدِهِ وَعَلَالِهِ وَسَلَّمَ واثقًا من نفسه، مؤمنًا بعدالة قضيته، يملك فكرًا تقدميًا يختلف عن الفكر السطحي المتخلف الـذي ورثـه هـؤلاء مـن أجـدادهم، فهـو يستخدم خطة عسكرية تستخدمها جيوش أعظم إمبراطوريات الأرض منذ مئات السنين، فلم يأبه لآرائهم أو نظرتهم لـه حين قرر أن يستخدم مثل هذه الخطة العسكرية التي فاجأتهم وأربكت حساباتهم، وقد أثبتت خطته فعاليتها ونجاحها على أرض المعركة، واستطاع الرسول صَاَّلَتَهُ عَلَيْهِ وَعَلَى الهِ وَسَلَّهُ أَن ينتصر على ذلك التحالف الجرار انتصارًا عظيمًا دون أن يعرض أرواح آلاف الجنود والمدنيين للتهلكة، وكل هذا ما كان ليتم لو أن الرسول صَلَّاتَهُ عَلَيْمُوعَا إلمُوسَالَّمَ كَانَ إنسانًا مهزوزًا يفتقد للثقة ويخاف من آراء الحاسدين والفشلة الذين يهدفون لإيقاف تقدم الإنسان الناجح في مسيرة الحياة، ومثل هؤلاء موجودون في كل زمان ومكان، فإما أن ترضخ لهم وتتوقف في طريقك خوفًا من آرائهم السلبية النابعة من نفوسهم المريضة، وإما أن تكون

شعراؤهم يتبجحون بشعرهم وينكرون على المسلمين تحصنهم بالخندق، فقال شاعرهم ضرار بن الخطاب الفهري(1):

بينما قال شاعر آخر هو عبد الله بن الزبعري<sup>(2)</sup>:

لولا الخنادق غادروا من جمعهم قتلي لطير شُغَّب وذئــــــاب

(1) ضرار بن الخطاب: أبوه الخطاب بن مرداس سيديني فهر، وضرار بن الخطاب هو شاعر قريش وأحد أشهر فرسانها، أسلم في فتح مكه وتحول إلى أحد أشجع فرسان الصحابة رضوان الله عليهم، وشارك في معركة القادسية وهو الذي استطاع أخذراية الإمبراطورية الفارسية الكبرى «دوفش كابيان».

(2) عد الله بن الزيعرى: شاعر قريش في الجاهلية، كان هو وضرار بن الخطاب أعظم شعراه مكة على الإطلاق، حارب المسلمين في شعره بشراسة، وبعد فتح مكة هرب إلى نجران، شم عاد إلى مكة وأسلم واعتذر إلى الرسول صلى الله عليه سلم ومدحه في شعره، ليكون عبد الله بن الزيعرى من ضمن الصحابة رضي الله عنهم.

-6(318)D-

# فرسًا له ومعه نفر من أصحابه من المهاجرين والأنصار<sup>(17)</sup>، وقرر في نهاية الأمر أن يحفر الخندق في شمال المدينة.



(1) كتاب المغازي للواقدي.

كرسول الله صَلَّقَتَنَاتَيْمَوَعَالِيَوْرَسَدُّ، قويًا، ثابتًا، واثقَ الخطى، فتمضي في طريقك، دون أن تلتفت لهم، أو تلقي لآرائهم فيك أي اهتمام!

الدراسة العلمية للأمور: لم يكن الرسول محمد صَأَلِتَهُ عَلَيْهِ وَعَلَا إِلِهِ مِدِيرِ الأمورِ بِفوضوية أو يتركها لتجرى دون تخطيط أو دراسة مسبقة، بل على العكس من ذلك، فقد كان يـدير الأمـور بعنايـة فائقـة، ويـدرس خطواتـه بدقـة، ويعتنـي بالتفاصيل الصغيرة، ويتخذ قرارته المستقبلية وفقًا لدراسات مبنية على الحقائق العلمية، وليس وفق الانفعالات العاطفية، أو الخيالات التي لا وجود لها على ساحة الأرض، فمهما كانت قضيتك عادلة، ومهما كانت نيتك صافية، فإنه لن يكون بمقدورك ضمان النجاح إذا لم تخطط جيدًا للأمور، فالعمل العشوائي يؤدي في غالب الأحيان إلى الفشل، لذلك حرص رسول الله صَالَة عَلَيْهِ وَعَلَى الِهِ وَسَلَّمَ على عمل دراسة علمية لمشروع الخندق قبل البدء بخطوات الحفر، وخرج في جولة ميدانية لتحديد المكان الأنسب للحفر ، فركب الرسول صَأَلِقَهُ عَلَيْهِ وَعَلَى الرَّسُولُ صَأَلِقَهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إن لم يكن من المستحيل السير عليها، وقد سميت الحرة بهذا الاسم لأن جزءاً كبيراً من سطحها مغطى بصخور وحجارة بركانية سوداء تجعلها شديدة الحرارة في الصيف.



ولم يكن قرار الرسول صَلَّاللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَّى اللِّهِ وَسَلَّمَ بحفر الخندق في هذا المكان قرارًا عشوائيًا، بل كان نتاجًا لدراسة علمية لطبيعة المهمة، وجغرافية المدينة، والامكانيات المتوفرة، والوقت المتاح للعمل قبل وصول الأحزاب إلى المدينة، فقد بـ دا واضحًا استحالة حفر خندق يحيط بكل أنحاء المدينة في ضوء الإمكانيات المادية والبشرية المتوفرة والوقت الضيق المتاح للعمل، والرسول صَأَلِتَهُ عَلَيْهِ وَعَلَى الِهِ وَسَلَّمَ إنسان عاقل لا يضيع وقته وجهده على مشاريع وهمية يستحيل تطبيقها على أرض الواقع، لـذلك قـرر الرسـول صَإَنتَهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ اللهِ وَسَلَّمَ أَن يسـتفيد مـن جغرافيـة المدينة، فالمدينة محصنة طبيعيًا بشكل شبه كلى من الجهات الجنوبية والشرقية والغربية، ففي الشرق توجد الحرة الشرقية المسماة بحرة واقم، وفي الغرب تحدها الحرة الغربية وتسمى أيضًا بحرة الوبرة، والحرة عبارة عن أراضي وعرة تتكون تكثر بها الهضبات والتلاع<sup>(1)</sup> والمرتفعات والمنخفضات، وتتناثر على سطحها الصخور البركانية القاسية التي تجعل من الصعب

<sup>(1)</sup> النَّلاع جمع التَّلْعَةُ: وهي ما ارتفع من الأرض.

نقطة في صالح المسلمين، وفي ظل نقص مصادر التموين للأحزاب، وتشكل قواتهم بالأساس من قبائل متفرقة مختلفة الأحداف، إضافة للأجواء المناخية الصعبة في ذلك الوقت من السنة، فإن إطالة أمد الحرب يعني أن العدو سيسقط لا محالة في نهاية الأمر كالثمرة العفنة، وهذا ما حصل بالضبط كما سنرى لاحقًا، لذلك فإن دراسة الإمكانيات المتاحة قبل الإقدام على أمر من الأمور يعد من أهم خطوات الإدارة الناجحة، وهو الأمر الذي كان رسول الله صرائك.

2. الثقة بالنفس وعدم الالتفات لآراء الناس السلبية: كان خيار التحصن داخل المدينة وحفر خندق يمنع الالتحام المباشر مع العدو خيارًا استراتيجيًا جريشًا من رسول الله صَلَّفَةَ عَبْرَةِ اللَّهِ وَمَنْ مقابلة العدو المباشرة من مظاهر الشجاعة والقوة، ويعدون تجنب ملاقاة العدو جبنًا وضعفًا، لذلك عندما تفاجأ الأحزاب بوجود الخندق، اعتبروا أن ما قام به الرسول سَلَّقَهُ عَلَيْهَ وَاللَّهِ وَمَنْ يعد جبنًا وضعفًا منه، وحتى بعد هزيمتهم النكراء في نهاية المعركة، أخذ

~(317)~

أما جنوب المدينة فقد كان من الصعب اختراقه من جيش الغزاة، فقد كانت الدور هناك عالية البنيان ومتلاصقة مع بعضها البعض، فشكلت ما يشبه الحصن الذي يمنع تقدم الجيوش الغازية من جهة الجنوب، إضافة لوجود أحراش وموانع طبيعية كانت تزيد من صعوبة اختراق الجنوب، الجهة الوحيدة التي لم يكن المسلمون يسيطرون عليها في الجنوب هي جهة الجنوب الشرقي التي تستوطن فيها قبيلة بني قريظة، وقد كانت آطامهم، أي حصونهم التي يسكنون داخلها، تمثل مانعًا صناعيًا يحمى المدينة من الجهة الجنوبية الشرقية، وكانت هذه القبيلة اليهودية على عهد مع رسول الله صَلَّاتِنَهُ عَلَيْهِ وَعَلَالِهِ وَسَلَّمَ لا يقضى فقط بعدم معاونة الغزاة على حرب المسلمين، بل كان هناك بندِّ واضحٌ في دستور الدولة المعروف بـ «وثيقة المدينة» يقضى بضرورة الدفاع المشترك عن المدينة ضد أي تدخل خارجي:

«إن بينهم النصر على من دهم يثرب»(١).

وقد كان يهود بنو قريظة على علاقة طيبة مع الرسول

<sup>(1)</sup> البداية والنهاية لابن كثير.



صَاَّلِتَهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ مِسَلَّمٌ ، وأكدوا احترامهم للعهد الذي بينهم وبين المسلمين، واستعدادهم التام على إغلاق حصونهم في وجه الغزاة، ليس ذلك وحسب، بل أعار بنو قريظة المسلمين الكثير من الآلات والأدوات التي ساعدتهم في عملية حفر الخندق(١)، الذي كان طوله يقارب 5 كيلومترات ونصف، ووفقًا لأطلس السيرة النبوية للدكتور شوقي أبو خليل رَمَنالَتُهُ، فإن طول الخندق كان 5544 مترًا، ومتوسط عرضه 4.62 مترًا، ومتوسط عمقه 3.23 مترًا(2)، إضافة لبعض الحفريات والتحصينات الأخرى التي أمر الرسول صَمَّ إِنَّهُ عَلَيْهِ رَعَانَ آلِهِ وَسَلَّمَ بِالقيام بِهَا فِي مواقع متفرقة في المدينة لسد الثغرات في الجهات الأخرى التي يمكن من خلالها للغزاة اقتحام المدينة، وقد اختار الرسول سفح جبل سلع ليكون مقرًا لتمركز القيادة الإسلامية العامة للمعركة، بحيث يشرف من ذلك الموقع المتميز على الخندق ومن خلفه جيش الأحزاب، وفي نفس الوقت سيشكل الجبل حماية طبيعية

<sup>(2)</sup> أطلس السيرة النبوية للدكتور شوقي أبو خليل.



<sup>(1)</sup> المغازي للواقدي.

لظهر الجيش الإسلامي، وبعد أن استعد لهذا المشروع الضخم بتلك الدراسة العلمية المفصلة، يكون الرسول صَّأَشَّتُلْمَثَوَّ الدَّيَّ الدَّمَّ الدَّمَالِيَّ الدَّمَالِيَّ ال قد تجهز لإطلاق إشارة البدء لعمليات حفر الخندق الدفاعي الأول من نوعه في جزيرة العرب!

3.مشاركة المدير لعماله في العمل: من أكبر الأخطاء الإدارية التي يمكن أن تؤدي إلى فشل أي مشروع هو تكبر المدير على من يعملون تحت إمرته، فيعتبرهم مجرد عبيد لديه ينبغي لهم تنفيذ أوامره التي يوجهها لهم من برجه العاجي، هذا الأمر من شأنه أن يؤثر بالسلب على العلاقة بين المدير وعماله، مما سيؤدي بطبيعة الحال إلى ضعف في جودة العمل وبطء في العملية الإنتاجية، إضافة لذلك كله فإن بُعد المدير عن موقع العمل سيحول بينه وبين إدراك تفاصيل العمل وتعقيداته التي قد تستجد أثناء تأديته، وسيترك المجال للفوضي أن تعم في العمال، وعلى العكس من ذلك، فإن أحس العمال أن مدير هم يتعامل معهم بتواضع وإنسانية، فمن الطبيعي وقتها أن يزداد إخلاصهم في تأديـة عملهـم علـي أكمـل وجـه، الأمـر الـذي سينعكس حتمًا بالإيجاب على جبودة وسرعة العمل، وقد

**△**329

أظهرت عمليات حفر الخندق أن الرسول محمد صَلَّاتَنَا عَنَاقَاتَهُ وَيَالَّا لَلْهُ وَلَا يَنْقُلُ الدِّرَابِ
كان يشارك بشكل مباشر في عمليات الحفر، وكان ينقل التراب بنفسه، على الرغم من مركزه القيادي في قمة هرم السلطة للدولة، وعمره المتقدم الذي اقترب حينها من الستين عامًا، ويصف أحد الصحابة المشاركين في مشروع الخندق، وهو البراء بن عازب وَعَلَّكَمَانَهُ ما رآه أثناء عمليات الحفر:

ولم يكتف الرسول صَلَّة عَيْنَا المِسَارِكَة عَمَالَه في معاله في ميدان العمل، بل شاركهم أيضًا في تحمل المصاعب التي كانوا يواجهونها أثناء العمل من جوع وبرد وظروف مناخية قاسية، وقد ربط الرسول صَلَّة عَلَيْهَ وَعَلَيْهَ رَسَلَة حجرًا على بطنه من شدة الجوع أثناء حفر الخندق، ولكنه وبالرغم من شدة جوعه لم ينس أصحابه من حوله، فعندما سمحت له فرصة للطعام

(1) صحيح البخاري.



دعاهم جميعًا لمشاركته، فقد أشفق أحد الصحابة واسمه جابر بن عبد الله رَضَاللَهُ عَنهُ على حال الرسول صَالِقَهُ عَلَيْهُ وَعَلَا الهِ وَسَاتُم، فذهب إلى بيته ليسأل زوجته إن كان هناك ما يمكن تقديمه من طعام إلى رسول الله صَالِمَةُ عَلَيْهِ وَعَالِهِ وَسَالَةً، فأعدت زوجته طعامًا قليلًا هـو كل ما يملكانه، فذهب إلى الرسول صَأَلَقَهُ عَيْدِوَعُلْ الدِوَسُرَّةُ ليدعوه إلى الطعام، وأخبره أنه يمكن أن يكفي لرجلين إضافيين على أفضل الخندق جميعًا من المهاجرين والأنصار يدعوهم للانضمام إلى هذه الوليمة، ليحدث بعد ذلك أمر عجيب يرويه جابر بن عبد الله رَضَالَتُهُ عَنْهُ:

«إنا يوم الخندق نحفر، فعرضت كدية (1) شديدة، فجاءوا النبي صَاللَّنَا عَلَيْهِ وَعَالِهِ وَسَدَّةً، فقالوا: هذه كدية عرضت في الخندق، فقال: أنا نازل، ثم قام وبطنه معصوب بحجر، ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقا (2) فأخذ النبي سَاللَّنَا عَلَيْهِ وَسَدُّ المعول، فضرب، فعاد

<sup>(1)</sup> كدية: صخرة صلبة لا تؤثر فيها المعاول. (2) لا نذوق ذواقًا، يعني: لا نأكل.

ر) د شوی دوراف پیغی. د فادل.

كثيبًا أهيل، أو أهيم(1)، فقلت: يا رسول الله ائذن لي إلى البيت، فقلت لامرأتي: رأيت بالنبي صَأَلَتُهُ عَلَيْوَعَا آلِهِ وَسَلَّمَ شيئًا ما كان في ذلك صبر (2)، فعندك شيء؟ قالت: عندي شعير وعَناق(<sup>3)</sup>، فذبحت العناق، وطحنت الشعير، حتى جعلنا اللحم في البُرمة(١٩)، ثم جئت النبى سَأَاتَنَهُ عَلَيْهِ وَعَاآلِهِ وَسَلَّمْ والعجين قد انكسر (5) والبرمة بين الأثافي<sup>(6)</sup> قد كادت أن تنضج، فقلت: طُعَيم<sup>(7)</sup> لي فقم أنت يا رسول الله ورجل أو رجلان، قال: كم هو؟ فذكرت له، قال: كثير طيب، قال: قل لها لا تنزع البرمة ولا الخبر من التنور حتى آتى، فقال: قوموا، فقام المهاجرون والأنصار، فلما دخل على امرأته قال: ويحك! جاء النبى صَأَلَتُهُ عَلَيهِ وَعَلَا آلِهِ وَسَلَّةً

<sup>(7)</sup> طُعيم: مصغر طعام، دلالة على قلة الطعام.



<sup>(1)</sup> فعاد كثيبًا أهْيل أو أهيم، يعني: انهالت الصخرة وتفتتت.

<sup>(2)</sup> ما كمان في ذلك صبر: يعني منظر الجوع الذي يدو على الرسول مَا اللهُ تَعَرِيقُ اللهُ لا يمكن الصبر عليه. (3) المَناق: أنني المعز الصغير.

<sup>(4)</sup> البُّر مة: القدر.

 <sup>(5)</sup> العجبر قد انكسر: بعنى لان وصار وطنا وتمكير منه الخمير ويمكن أن يُخبر الآن.

 <sup>(6)</sup> الأثافي: هي الحجارة التي يوضع عليها القدر

بالمهاجرين والأنصار ومن معهم! قالت: هل سألك؟ قلت: نعم، فقال: ادخلوا ولا تضاغطوا، فجعل يكسر الخبز ويجعل عليه اللحم ويخمر البرمة والتنور إذا أخذ منه ويقرب إلى أصحابه ثم ينزع فلم يزل يكسر الخبز ويغرف حتى شبعوا وبقي بقية، قال: كلي هذا وأهدي فإن الناس أصابته معاعة، قال:

4. خلق بيئة عمل مساعدة: بيئة العمل من بين أهم العوامل التي من شأنها التأثير على سير العملية الإنتاجية، فإذا كانت بيئة العمل بيئة مَرَضية لا يشعر فيها العامل بالراحة في مكان العمل، أو أحس أنه يعامل بطريقة غير عادلة من قبل المسؤولين، أو أن مجهوداته لا تحظى بالتقدير المناسب، فإن ذلك سينعكس مباشرة على إنتاجيته، وسيؤدي إلى فقد الرغبة في العطاء، وغياب الانسجام مع الزملاء، وهذا كله سيؤدي في نهاية الأمر إلى الفشل!

لذلك فإن المدير الناجح هو الذي يتمكن من توفير بيئة

<sup>(1)</sup> صحيح البخاري.



عمل صحية لعماله لضمان استمرار العملية الإنتاجية بنجاح، وقد عمل الرسول صَلَابَتَهُ عَلَيْهِ وَعَلَالِهِ وَسَلَّمَ أَثناء عمليات حفر الخندق على خلق بيئة عمل مثالية بكل ما تحمله الكلمة من معنى، فعلى الرغم من الظروف الصعبة التي واجهت المسلمين أثناء حفرهم للخندق، من جوع وبرد وترقب لقدوم الأعداد وعمليات حفر شاقة، فإن جوًا من السعادة والجمال والتعاون والمرح والأمل كان سائدًا بين الرسول صَأَلَقَهُ عَلَيْهِ وَعَلَّى الْمُوسَلَّمَ وأصحابه طيلة فـترات الحفر، وقـام الرسـول صَلْلَةَ عَلَيْهَ وَيَا الْهِوَسَلَّةِ بعد ذلك بتقسيم عمليات الحفر على الصحابة رَجَّاللَّهُ عَامْ بشكل عادل، بحيث يحفر كل منهم قـدرًا معينًا من الخنـدق، وسـمح لبعضهم بأخذ إجازة من العمل لكي يرجعوا إلى المدينة لتفقد عائلاتهم وقضاء أمورهم الخاصة، قبل أن يعودوا من جديد لاستكمال أعمالهم بهمة ونشاط.

ولا شك في أن هذا الظرف بطبيعة الحال يحتاج إلى قدر كبير من الحزم، والجد، ولكن النبي صَّاللَّهُ تَلِّيوَعُلَّالِيوَسَلَّهُ لَم ينسَ في هذا الظرف أن هؤلاء الجند إنما هم بشر كغيرهم، لهم نفوس بحاجة إلى الراحة من عناء العمل، كما أنها بحاجة إلى من يدخل السرور إليها حتى تنسى تلك الآلام التي تعانيها فوق معاناة العمل الرئيسي10.

وقد روى أحد الصحابة الذين اشتركوا في حفر الخندق وهمو الصحابي المبراء بن عازب وَعَلِقَتَهُ كَيف أن الرسول صَّأَلِشَنَةِيوَعُلِلْوَيَتَةُ كَان يشارك بنفسه في عمليات الحفر، وبيَّن من خلال كلماته كيف كان الرسول صَلَّلَتَنَيَّءَوَعُلِلْوَتَتُمُّ أَثْناء عمله في الخندق يرتجز بكلام ابن رواحة وَعَلِقَتَهُ:

لما كان يوم الأحزاب وخندق رسول الله عَلَيَّنَا عَلَيْهَ عَلَيْهَ عَلَيْهَ عَلَيْهَ عَلَيْهَ وَعَدَّق رأيته ينقل من تراب الخندق حتى وارى عني الغبار جلدة بطنه وكان كثير الشعر فسمعته يرتجز بكلمات ابن رواحة وهو ينقل من التراب يقول:

\_\_\_\_\_ (1) السيرة النبوية للدكتورعلى الصلابي.

وثبت الأقدام إن لاقينـــــــا



### 

وقد كان الرسول صَلَّاتَهُ عَنْيَوَ عَلَّالِهِ وَمَا يَدِهُ فِي آخر هذه الأسات (1). الأسات (1).

وعن أنس بن مالك رَضَّالِيُّهُ عَنهُ قال:

جعل المهاجرون والأنصار يحفرون الخندق حول المدينة وينقلون التراب على متونهم ويقولون:

على الإسلام ما بقينا أبـــــدا

والنبي صَلَاتَهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يجيبهم ويقول:

اللهم إنه لا خير إلا خير الآخــرة

فبارك في الأنصار والمهاجــرة<sup>(2)</sup>

بيثة العمل الجميلة هذه التي كانت سائدة أثناء إنجاز

<sup>(1)</sup> صحيح البخاري.





مشروع الخندق، تدفع المرء للدهشة من الكفاءة الإدارية العجيبة التي امتلكها الرسول صَأَلِقَهُ عَيْدِهِ وَعَالِهِ وَسَلَّمَ، فكيف استطاع خلق مثل هذه الأجواء المرحة والتعاملات الحميمية على الرغم من الظروف الصعبة التي رافقت حفر الخندق، من جوع وبرد وبعدعن الأهل وترقب للغزاة البذين تحركوا بالفعل للقضاء عليهم نهاثيًا، ولو لا وجود توثيق علمي دامغ يؤكد وقوع هذه الأحداث بالفعل، وذلك من خلال ورودها في أصح كتب الحديث عند المسلمين مثل كتاب صحيح البخاري، لكان من الصعب على المرء تخيل إمكانية تحقيقها على أرض الواقع، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على العبقرية الإدارية لرسول الله صَالِللهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو الأمر الذي انعكس فعليًا على سير العملية الإنتاجية، فقد عمل الجميع بجد وإخلاص لإنجاز المشروع في وقت قياسي، وهذا ما تحقق بالفعل على أرض الواقع، فقد نجح المسلمون تحت الإدارة المباشرة لرسول الله صَلَّاتَتُهُ عَلَيهِ وَعَلَّالِهِ وَسَلَّمَ في إتمام حفر الخندق قبل وصول الغزاة إلى حدود المدينة، لتسجل هذه المجموعة اسمها في صفحات

التاريخ، كأول مجموعة عمل ميداني تتمكن من حفر خندق دفاعي في جزيرة العرب!

ولم تقتصر إدارة الرسول صَلَّاتَتُهُ عَلَيْهِ وَعَلَّى آلِهِ وَسَلَّمَ على الإشراف على عملية حفر الخندق، بل أعطى أوامره بتشكيل كتائب عسكرية ذات مهمات قتالية مختلفة، وقام بتحديد المكان والزمان لتواجد كل كتيبة من تلك الكتائب، فكانت هناك كتائب عسكرية لحراسة الخندق على مدار الساعة من نقاط مراقبة متقدمة مهمتها صد أي محاولة تسلل محتملة من قوات الغزاة، هذه القوات كانت مجهزة بشكل خاص بالسهام والحجارة ليُّر مي بهـا الأعـداء مـن بعـد، وشـكل الرسـول صَأَلتَهُ عَلَيهِ وَعَلَا آلِهِ وَسَلَّمَ قوات تدخل سريع متنقلة مهمتها الانتقال السريع نحو أي ثغرة يبلغ عنها أفراد الاستخبارات العسكرية الإملامية الذين أمر الرسول صَأَلِتَهُ عَلَيْهِ وَعَلَى الهِ وَسَلَّمَ بانتشارهم في أرجاء مختلفة من المدينة، ولضمان تأمين المدينة من أي محاولة اختراق مباغت، أعطى الرسول صَلَاللهَ عَلَيهِ وَعَلَى الهِ وَسَلَّمُ أُمرًا قباديًا بتشكيل كتيبة خاصة متنقلة من الفرسان الأشداء بقيادة زيد بن حارثة رَمِيَالِيَّهُ عَنْهُ مهمتها

الطواف بشكل مستمر حول جميع جهات المدينة لمواجهة أي محاولة التفاف من قبل قوات العدو، وبالرغم من كل هذه الاحتياطات، أمر الرسول صَأَلِللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ الدِرَسَلَةُ بِتشكيل قوات ميدانية لحراسة المدنيين من النساء والأطفال في المدينة، الذين أمر الرسول صَالِتَهُ عَلَيْهِ وَعَلَى الهِ وَسَلَّة بنقلهم إلى حصون آمنة داخل المدينة تحسبًا لأي محاولة اختراق ناجحة من قبل الغزاة، بالإضافة لهذا كله كانت هناك وحدات خاصة بالدعم اللوجيستي للمعركة، وقوات عسكرية أخرى بمهمات قتالية متنوعة، وكانت كل هذه الكتائب والوحدات العسكرية المتنوعة متصلة بشكل مباشر بخيمة موجودة على جبل سلع، هذه الخيمة كانت مقر القيادة المركزية لجيش المسلمين، وقد تولى مهمة قيادة قوات الحرس الخاص لمقر القيادة المركزية للمسلمين القائد محمد بن مسلمة رَضَّاتِثَعَنْهُ، في حين تولى القيادة المركزية العامة لجيش المسلمين من داخل هذه الخيمة القائد العام للقوات الإسلامية المجاهدة محمد بن عبدالله صَا اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَا إلهِ وَسَلَّمَ

وما إن وصل الأحزاب إلى حدود المدينة ورأوا الخندق حتى تفاجأوا بهذه الخطة الدفاعية التي لم يعرفوا لها مثيلًا في تاريخ جزيرتهم، فقالوا:

(eالله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها! $(1)^{(1)}$ .

فقشلت بذلك خطة الحرب الخاطفة التي جاء الغزاة بها لتدمير المدينة وسحق الإسلام، فشلت هذه الخطة قبل أن تبدأ، بسبب إدارة ناجحة من رسول الله مَثَّالْتُنْعَلِّبُوتَكُمْ اللّذي أبيم على خوض حرب أخرى كان هو من حدد لهم نوعها، هذه الحرب هي حرب الاستنزاف، التي كان الوقت فيها لصالح المسلمين، الذين أفشلوا بكل شجاعة وبسالة كل محاولات الغزاة لاقتحام الخندق، وبدا أن الأمور تسير في صالح المسلمين، حتى حدث أمر مفاجئ غير من مجرى الأحداث بشكل دراماتيكي!

فما هو هذا الأمر المفاجئ الذي أصبح المسلمون بعده



<sup>(1)</sup> سيرة ابن هشام.

محاطين بأكبر خطر وجودي يتهددهم؟ وما هو القرار الذي اتخذه الرسول صَلَّقَتَاعَتِه وَعَلَّامِيَتَةً وصحابته الكرام رَعَيَّقَتَعْ في تلك اللحظة المصيرية؟

يتبع..

જા∳જ



## ﴿ وَلَكَارَ مَا ٱلْمُؤْمِثُونَ ٱلْأَخْزَابِ فَالْوَا هَٰذَا مَا وَعَذَا اللّهُ وَوَشُولُهُ وَصَدَّفَ اللّهُ وَرَسُولُهُۥ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَنَا ا وَتَسْلِيمًا ﴿ ۞ ﴾ (1)

الحياة ليست بتلك البساطة التي كنا نتخيلها في صغرنا!

الحياة طريق طويل وصعب، ستواجهك فيه أثناء تقدمك كثير من المصاعب والمعوقات، وستلاحقك فيه وحوش مفترسة لا تعرف أي معنى للرحمة أو الشفقة، هذه الوحوش ستحاول جاهدة بكل ما أوتيت من قوة إيقاف تقدمك، وكسرك، وتمزيقك إربًا إربًا إن استطاعت، البعض يستسلم مباشرة منذ بداية الطريق، ليسلم نفسه لتلك الوحوش لكي تنال منه، والبعض يحاول الاستمرار بكل قوته، ويتقدم فعلًا في

<sup>(1)</sup> سورة الأحزاب الآية 22.



طريقه، ولكنه يتوقف في منتصف الطريق بعد أن يفقد الدافع والأمل لإكمال مسيرته، فقط المؤمنون الذي لا يعرفون معنى لليأس هم الذين يتمكنون من إكمال الطريق حتى نهايته، هؤلاء هم الذين لا يبالون بالمصاعب التي تواجههم، ولا يكترثون بالوحوش التي تحاول إيقاف تقدمهم، بعد أن اتخذوا قرارًا من أهم القرارات التي يمكن للإنسان أن يتخذها في حياته، قرار التحدى!

سيرة الرسول صَيَّاتَنَا وَعَلَى وَسَدِّ كانت حافلة برسائل التحدي منذ نعومة أظافره، فقد تحدى البتم في صغره، وتحدى الفقر في شبابه، وتحدى الثقافة الدينية الفاسدة لمجتمعه القرشي، وتحدى الحجوع والحصار في شعب أبي طالب، وتحدى الألم الذي رافق موت زوجته الغالية خديجة وَسَوَّيَّكَمَ اللهَ وتحدى مأساة رويته لموت جميع أبنائه وبناته في حياته باستثناء فاطمة وَسَوَية توحدى شعور الغربة القاسي بعد أن أجبره اضطهاد قومه له على ترك وطنه الحبيب مكة، وتحدى سخرية قومه واستهزائهم به، وتحدى تشكيك المنافقين في قدراته، وكان

~<sup>349</sup>~

صَأَلِتَهُ عَلَيْهِ وَعَلَى الْمِعْمِ اللَّهِ عَلَى الرغم من كل المصاعب التي واجهها في حياته يواصل التقدم في مسيرة حياته، رافضًا التوقف في منتصف الطريق، فلم يسمح للإحباط أن ينال من عزيمته، ولم يترك مجالًا لليأس أن ينفذ إلى قلبه.

لم يكن الخندق مجرد مشروع إنشائي تـم إنجازه في الجهـة الشمالية للمدينة المنورة، بل كان الخندق رمزًا للتحدي الذي رفع رايته رسول الله صَأَلتَهُ عَلَيْهِ وَعَلَى اللهِ وَصَحَابته الأبطال رضوان الله عليهم، فقد تحدى المسلمون من خلال هذا الخندق قسوة الطبيعة، ونقص الإمكانيات، ومحدودية الوقت، ومشاعر الخوف، والإجهاد البدني، والضغط النفسي، والفكر التقليدي النمطي السائد في جزيرة العرب، وتحدوا فوق هذا كله التحالف الجرار لقوي الشر المتعددة المعروف بتحالف الأحزاب.

وقمد كانست الأممور في بدايمة المعركمة تسمير في صالح المسلمين وفقًا للخطة التي رسمها الرسول صَأَنِتَهُ عَلَيهِ وَعَلَىٰ إلِهِ وَسَلَّمَ، فقد صمد المسلمون في حرب الاستنزاف التي فرضها الرسول

صُلِّلَهُ عَلَيْهُ وَعَلَيْهُ عَلَى الأحزاب، وباءت كل محاولات الغزاة لاقتحام المدينة بالفشل، فقد أدت الكتاتب الدفاعية المختلفة والفرق القتالية الخاصة التي شكلها الرسول صَلَّلِنَّا عَلَيْهُ وَيَتَلَقُ مهماتها على أكمل وجه، واستطاع المسلمون صد جميع محاولات اختراق الخندق، وبات واضحًا أن عامل الوقت سيصب في صالح المسلمين، فالعدو خارج المدينة لم يعد العدة لحصار طويل، وإطالة أمد الحرب ستسقطه لا محالة كالثمرة العفنة!

واستمر الوضع على تلك الحال حتى حدث أمر مفاجئ كان بمثابة الزلزال الذي ضرب معسكر المسلمين!

فقد تحرك الشيطان صاحب فكرة تحالف الأحزاب، ومدبر خطة الاغتيال الفاشلة لرسول الله صَلَّقَة عَيَّهُ وَعَالِدوَ مَلَّ قبل ذلك بعام، زعيم قبيلة بني النضير اليهودية حيي بن أخطب النضري، فخطط لمؤامرة جديدة بعد أن رأى أمام عينيه انهيار خطة الحرب الخاطفة التي جاء بها لتدمير الإسلام والقضاء على المسلمين إلى الأبد، وتوجه إلى حصون يهود بني قريظة، ليقابل زعيمهم كعب بن أسد القرظي، الرجل الذي عقد نيابة عن قومه معاهدة مع رسول الله صَلَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ وَمَلَّهُ وَسَلَّهُ عَلَيْهُ وَسَلَّمُ فلما سمع كعب بحيي بن أخطب أغلق دونه باب حصنه، فاستأذن عليه، فأبي أن يفتح له، فناداه حيي بن أخطب النضري:

ويحك يا كعب افتح لي!

فأجابه زعيم بني قريظة كعب بن أسد القرظي: ويحك يا حيي، إنـك امرؤ مشــُوم، وإني قــد عاهــدت محمـدًا، فلســت بناقض ما بيني وبينه، ولـم أز منه إلا وفاء وصدقا!

فقال حيي بن أخطب: ويحك افتح لي أكلمك!

فرد كعب بن أسد: ما أنا بفاعل!

فقال حيي بن أخطب مستفزًا سيد بني قريظة في محاولة الإقناعه بفتح الباب: والله إن أغلقت دوني إلا عن جشيشتك<sup>(1)</sup> أن آكل معك منها!

<sup>(1)</sup> الجشيشة: نوع من الطعام، والجشيشة أو النشيشة نوع من الطعام، ووصفها ابن الأثير في كتابه البداية: وهي أن تطحن الحنطة طحنًا جليلًا، ثم تجعل في الفدور ويُلقى عليها لحم أو تمر وتطبخ.

فغضب كعب وفتح الباب، فدخل عليه حيي بن أخطب وقال له:

ويحك يا كعب! جئتك بعز الدهر، وببحر طام (1)، جئتك بقريش على قادتها وسادتها، حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال من رومة، وبغطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذنب نقمى إلى جانب أحد، قد عاهدوني وعاقدوني على أن لا يبرحوا حتى نستأصل محمدًا ومن معه!

فرد عليه كعب بن أسد: جتتني والله بذل الدهر، وبجهام <sup>(2)</sup>، قد هراق<sup>(3)</sup> ماءه، فهو يرعد ويبرق، ليس فيه شيء، ويحك يا حيي! فدعني وما أنا عليه، فإني لـم أرّ من محمد إلا صدقًا ووفاءً.

ولكن حيي بن أخطب استمر في محاولة إقناع كعب بن أسد

<sup>(3)</sup> هراق: صُبَّ، أي أنه خال من المطر.



<sup>(1)</sup> البحر الطامي: هو البحر المرتفع الكثير الماء، أراد أن يشبه عدد القوم في كثرته بالمحر لأنه يغطي جوانبه كلها. (دلائل النبوة للبيهقي).

<sup>(2)</sup> الجَهام: السحاب الرقيق الذي لا ماء فيه، أي جئتني بالوهم.

بأن ينقض عهده مع رسول الله سَرَّالِهُنَهُنَدِوَعِ اللهِ وَسَلَّهُ عَلَىمَ يزل حيي بكعب يفتله في الذروة والغارب<sup>(1)</sup>، ووعده بأنه لن يتركهم حتى وإن انسحبت قريش وغطفان وتركت بني قريظة لوحدهم، وأقسم لكعب بن أسد:

لثن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمدًا أن أدخل معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك!(2).

فاقتنع سيد بني قريظة كعب بن أسد بكلام سيد بني النضير حيي بن أخطب، وأعلن قبوله المشاركة في هذه المؤامرة، ونقض عهده مع المسلمين، وفتح أبواب حصونه لجحافل الغزاة، لكي يقتحموا من خلالها المدينة، ويرتكبوا فيها مذبحة كبيرة ينهون من خلالها الإسلام والمسلمين.

وبعد مغادرة حيي بن أخطب حصون بني قريظة، تمكنت

 <sup>(1)</sup> يفتله في الذروة والغارب: أي لم يزل يخادعه كما يخادع البعير النافر. (دلائل النبوة للبيهقي).

<sup>(2)</sup> وردت تفاصيل هذا اللقاء بين سيدي اليهرد في مصادر تاريخية عدة، منها سيرة ابن هشام، تاريخ الطبري، والبداية والنهاية لابن كثير.

الاستخبارات العسكرية الإسلامية من رصد أخبار نقض بني قريظة للعهد، وأوصلت هذه المعلومات السرية إلى مركز القيادة حيث السرول الله سَأَلِثَةَ تَنَاوَيُّ الْإِنْدَةَ مُ فَارَاد الرسول سَأَلِثَة تَنَاوَثُوْلَا اللهُ والخطير، فبعث بالزبير بن العوام رَحَقَلَتُهُمْ في مهمة استخباراتية سرية إلى حصون بني قريظة لكي يأي له بأنباء القوم، فرجع الزبير رَحَقَلَتُهُمْ من تلك المهمة وقال للرسول سَأَلِثَة تَنَافِرَا، فرجع الزبير رَحَقِلَتُهُمْ من تلك

يا رسول الله، رأيتهم يصلحون حصونهم ويدربون طرقهم، وقد جمعوا ماشيتهم! (1).

ولما انتهى الخبر إلى النبي صَلَّقَنَعْيَوهُ الِهِرَسَلُهُ، بعث سعد بن معاذ رَحَقَقَهُ، وسعد بن عبادة رَحَقَقَهُ، سيدا الأنصار، ومعهما عبد الله بن رواحة رَحَقَقَهُ، وخوات بن جبير رَحَقِقَهُ، فقال:

انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء؟ فإن كان حقا فالحنوالي لحنًا أعرفه<sup>(2)</sup>، ولا تفتوا في أعضاد الناس، وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس.

-6(346)D.

<sup>(1)</sup> المغازي للواقدي.

<sup>(2)</sup> الحنوا لي لحنًا أعرفه: يعني أحبروني عن غدرهم بشكل غير مباشر عن طويق التلميح لكيلا ينتشر الخبر بين جند المسلمين فيضعف ذلك من معنوياتهم.

فخرجوا حتى أتوهم (1)، فلما انتهوا إلى سيد بني قريظة كعب بن أسد سألوه عن العهد الذي بينه وبين رسول الله صَالِمُتَعَبِّ وَالْوَرَسَدُ، فرد عليهم قائلًا:

من رسول الله؟! لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد! فناشدوهم الله والعهد الذي كان بينهم، أن يرجعوا إلى ما كانوا عليه قبل ذلك قبل أن يلتحم الأمر، وألا يطيعوا حيي بن أخطب. فقال كعب ردًا على طلبهم أن يرد العهد الذي بينهم:

لا نرده أبداً، قد قطعته كما قطعت هذا القبال (2) لقبال نعله! وأخذ كعب بن أسد يسب سعد بن معاذ رَحِيَلِيَّتَهُ، فرد عليه أسيد بن حضير رَحَيِلِيَّتَهُ، وذكره بمصير يهود بني النضير الذين حساولوا اغتيال الرسول مَنَالِّتُنَعَدُهُ وَاللَّهِ مَنْ اللهِ عَنْ اللهِ عَنْ اللهُ عَنْ اللهُ عَنْ اللهُ عَنْ اللهُ عَنْ اللهُ ا

<sup>(1)</sup> وردت تفاصيل لقاء وفد المسلمين مع بني قريظة في كثير من المصادر التاريخية، مثل سيرة ابن هشام، والبداية والنهاية لابن كثير، ومغازي الواقدي. ( م عرال الم

 <sup>(2)</sup> قبال النعل: الزمام الذي يكون بين الإصبع الوسطى والتي تليها، وقد كان لاستخدامه مثل هذا التشبيه إهانة للعهد الذي بينه وبين المسلمين.

لتولين قريشٌ إن شاء الله منهزمةٌ وتتركك في عقر دارك، فنسير إليك، فتنزل من جحرك هذا على حكمنا، وإنك لتعلم النضير، كانوا أعز منك وأعظم بهذه البلدة، ديتك نصف ديتهم، وقد رأيت ما صنع الله بهم!

فأخذ زعماء بني قريظة يسبون الوفد الإسلامي بأقذر العبارات، ونالوا من رسول الله سَرَّالِثَنَيْدِيَ اللهِ وَسَالِقَ عَلَيْهِ وَاللهِ عَلَيْهِ اللهِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِ وَسَاللهِ عَلَى المعلمون، وأخذ سيد الخزرج سعد بن عبادة وَ وَاللَيْهَ عَنْهُ يَشَاتمهم، قبل أن يطلب منهم سيد الأوس سعد بن معاذ وَ وَاللَيْهَ عَنْهُ الهدوء قائلًا:

إنا والله ما جئنا لهذا، ولما بيننا أكثر من المشاتمة.

ثم وجُّه كلامه إلى قادة يهود بني قريظة قائلًا:

إنكم قد علمتم الذي بيننا وبينكم يا بني قريظة، وأنا خائف عليكم مثل يوم بني النضير أو أمر منه!

فأخذ بنو قريظة يسبون سعدًا رَهِيَّهَاءُن بكلام في منتهى الفحش، فأدرك سعد رَهِيَّهَاءُ ورفاقه في الوفد الإسلامي أن القوم مصرون على الخيانة ونقض العهد، فرجعوا إلى النبي



صَّالِقَهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ اللهِ وتقدم سعد بن عبادة رَيَخَلِقَهُ عَلَيْهُ لِيؤكد للرسول صَالِقَهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ اللهِ عَلَيْهُ اللهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عِلَيْهُ اللهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ ا أمرهم الرسول صَلِّقَهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ اللهِ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللهِ عَلَيْهُ اللهِ اللهِ ا الرسول صَالِقَة عَلَيْهِ عَلَيْهِ اللهِ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللهِ عَلَيْهُما أَن القوم قد خانوا العهد: عضل والقارة! (1).

وقع خبر حيانة يهود بني قريظة كالزلزال الذي ضرب معسكر المسلمين، فقد ترك المسلمون أطفالهم ونساءهم آمنين داخل المدينة لكي يشاركوا هم في صد الغزاة، أما الآن فقد أصبح هؤلاء الأطفال والنساء عرضة لوقوع مذبحة كبرى في أي وقت يفتح فيه بنو قريظة بواباتهم الجنوبية للأحزاب، وبعد أيام طويلة من العمل الشاق المتواصل في حفر الخندق لتأمين المدينة، وبعد نجاحهم في صد كل محاولات الأحزاب لاقتحام الخندق، تغيرت معادلة الحرب بشكل دراماتيكي نتيجة لغدر

~(349)~

 <sup>(1)</sup> عضل والقارة: قبيلتان من العرب غدرتا بالرسول مؤلفتيد وفهرسلر في السابق،
 وكان ذكر سعد بن عبادة رضي الله عنه لاسم هاتين القبيلتين إشارة ضمنية لخيانة
 بن قريظة.

بني قريظة، وبات المسلمون محاصرين من الأعداء من فوقهم في جهة الشمال، ومن أسفلهم في جهة الجنوب، ويصف الله سبحانه وتعالى ذلك الوقت العصيب في سورة الأحزاب بقوله:

## ﴿ إِذْ جَآهُ وَكُمْ مِن فَوَقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ ذَاغَتِ ٱلْأَيْمَئِنُ وَمَلَعَتِ ٱلْقُلُوبُ الْمَسَلِحِرَ وَتَطُنُّونَ مَالَقِ ٱلظُّنُونَا ﴿ هَالِكَ ٱبْنِي ٱلنَّوْمِثُونَ وَزُلْزِلُواْ ذِلْوَالًا شَدِيدًا ﴿ ﴾ (١٠.

في ذلك الوقت تحرك المنافقون الذين كانوا مدسوسين في معسكر المسلمين، وصاروا يعملون على إثارة الشك والفتنة في صفوف المسلمين، وأخذوا يستهزئون بوعود رسول الله صَلَّقَاتَةِ وَعَلَيْهِ وَمَنْ بانتصار الإسلام وانتشار دعوته في الأرض، وبهدف زيادة البلبلة في معسكر المسلمين بدأ المنافقون بالانسحاب من معسكر المسلمين، فأخذوا يستأذنون الرسول صَلَقَتَهُ وَعَلَيْهُ وَعَلَيْكُ وَعَلَيْهُ وَعَلَيْهُ وَعَلَيْهُ وَعَلَيْهُ وَعِلْهُ وَعَلَيْهُ وَعَلَيْهُ وَعَلَيْهُ وَعَلَيْهُ وَعِلْهُ وَعَلَيْهُ وَعَلَيْهُ وَعَلَيْهُ وَعَلَيْهُ وَعِلْهُ وَعَلَيْهُ وَعَلَيْهُ وَعَلَيْهُ وَعَلَيْهُ وَعَلَيْهُ وَعَلَيْهُ وَعِلْهُ وَعَلَيْهُ وَعِلَيْهُ وَعِلَيْهُ وَعَلَيْهُ وَعَلِيْهُ وَعِلَى الْعَلَيْمُ وَعِلْهُ وَعِلْهُ وَعِلْمُ وَعِلْهُ وَعِلْمُ وَعِلْهُ وَالْمُعِلِيْهُ وَعِلْمُ وَالْمِنْ وَالْمِنْ وَالْمُونِ وَالْمُنْ فَا فَعَلَيْهُ وَالْمِنْ وَالْمِنْ وَالْمُونُ وَالْعَلَيْمُ وَالْمُنْ وَالْمُنْ وَالْمِنْ وَالْمُنْ وَالْمُنْ وَالْمِنْ وَالْمُنْ وَالْمُنُونُ وَالْمُنْ وَالْمُنْ وَالْمُنْ وَالْمُنْ وَالْمُنْ وَالْمُنْف

<sup>(1)</sup> سورة الأحزاب 10 - 11.



المنافقين في تلك الأثناء بقوله:

﴿ وَإِذْ بَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ إِلَى اللهُ الْمُؤْمِّ مَا وَعَدَا اللهُ وَرَقَّ مَا وَعَدَا اللهُ وَرَقَّ مَا وَعَدَا اللهُ وَرَقَ مَا وَعَدَا اللهُ وَرَقَ مَا وَعَدَا اللهُ وَرَقَ مِنْ مُعَالَمُ اللهُ مُعَامَ اللهُ مُعَامِ اللهُ مُعَامِ اللهُ وَرَقَ اللهُ اللهُ

كثير منا عندما يصطدم بواقع مظلم وظروف صعبة لم يحسب حسابها، يصبح أمام خيارين اثنين، إما الاستسلام والبكاء على الحال التي وصل إليها، وإما التحدي والمقاومة ومواصلة التقدم رغم كل الظروف الصعبة، أما في حالة الرسول مَرْالْمُنْعَلِيْهُوَالْهُرْمَدُ وأصحابه الأبطال رضوان الله عليهم، فلم يكن خيار الاستسلام مطروحًا بالأساس بالنسبة إليهم، لذلك فقد

<sup>(1)</sup> سورة الأحزاب الآيات 12-15.

رفعوا راية التحدي عاليًا، وقرروا مواصلة المقاومة والتصدي للغزاة ومواصلة الطريق إلى نهايته، كاثنًا في ذلك ما هو كائن! فبمجرد وصول خبر خيانة بني قريظة للمسلمين، كبَّر رسول الله مَنْ اللهُ عَنْ اللهُ عَنْ اللهَ اللهُ وقال:

«أبشروا يا معشر المسلمين بنصر الله وعونه»(١).

أما الصحابة رضوان الله عليهم، فتعجز كلماتي عن وصف بطولتهم والتحدي العجيب الذي أظهروه، ولا أجد كلامًا يصف ذلك التحدي وتلك البطولة التي تمتعوا بها أبلغ من آية نزلت من فوق سبع سماوات لتصف موقفهم العظيم في تلك اللحظة التاريخية الفاصلة:

> ﴿ وَلَمَّارَمَا ٱلْمُوْمِثُونَ ٱلاَّحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَاوَعَدَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَنَا وَتَسْلِيمًا ۞ ﴾ (\*).

<sup>(2)</sup> سورة الأحزاب الآية 22.



<sup>(1)</sup> المغازي للواقدي.

صَأَلِقَهُ عَلَيْهِ وَعَلَالِهِ وَسَلَّمَ بِالإعداد عن خطة جديدة لكسر تحالف الشر الذي أحاط بهم، وبعد دراسة مفصلة لأحوال الغزاة، أدرك الرسول صَأَلِقَةُ عَلَيْهِ وَعَلَالِهِ وَسَلَّمَ أَنْ أَضعف حلقة في ذلك التحالف هي حلقة المرتزقة من قبائل غطفان، فهؤلاء المرتزقة لا يقاتلون عن مبدأ أو قضية، بل كان همهم الوحيد هو الحصول على الأموال التي وُعدوا بها من اليهود، لذلك أرسل الرسول صَلَلْتَهُ عَلَيْهِ وَعَلَى اللهِ وَسَلَّمُ عن طريق جهاز الاستخبارات الإسلامية رسالة سرية إلى قادتهم طالبًا منهم القدوم إلى المدينة للتفاوض، وهناك عرض الرسول صَأَلِتَهُ مَيْكَ إِلَهُ وَمَثَا آلِهِ وَمَالَمٌ على غطفان أن يعطيهم ثلث ثمار المدينة لعام كامل، مقابل انسحامهم من قوات التحالف، فوافق قادة غطفان على ذلك، ولكن الرسول صَلَّاللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَّالِهِ وَسَلَّمَ كعادته أراد أن يستشير أصحابه قبل الموافقة على الاتفاق رسميًا، خاصة وأنه وبالرغم من كونه قائدًا للمسلمين، فإن ثمار المدينة لم تكن ملكًا خاصًا له، لذلك قرر الاجتماع بزعيمي الأنصار السكان الأصليين للمدينة، فاجتمع بسيدي الأنصار سعد بن عبادة الخزرجي رَجَالِلَهُ عَنْهُ، وسعد بن

معاذ الأوسي رَوَيَقِيَّة، وعرض عليهم الصحيفة التي بها مسودة الاتفاق الذي لم يُعتمد بشكل رسمي بعد، وبعد أن فرغ الرسول طَيَّاتَتَمَيِّدَوَعَالِهِوَكَةً من كلامه، قال له السعدين رَوَيَقِيَّةَعَالَّةً:

يا رسول الله صَلَّاتَهُ عَيَّابَهُ وَعَلَّالِهُ وَسَرًّا أَمرًا تحبه فنصنعه؟ أم شيئًا أمرك الله به لابد لنا منه؟ أم شيئًا تصنعه لنا؟

فرد رسول الله سَنَّالِمَنْتَقِيْرَعَالِهِوَسَدُّ: بل شيء أصنعه لكم، والله ما أصنع ذلك إلا لأني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة، فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم.

فقال سعد بن معاذ رَهِ فَيَقَدَّهُ: يا رسول الله، قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك ولا يطمعون أن يأكلوا منا تمرة إلا قرى (هدية) أو بيعًا، أفحين أكرمنا الله بالإسلام وأعزنا بك نعطيهم أموالنا؟ ما لنا بهذا من حاجة، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم!

فوافق رسول الله صَلَّالَهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ وَعَلَّالِهِ وَسَلَّةً على رأي سعد بن معاذ رَهُوَلِيَّقَعَنْهُ وقال له: فأنت وذاك.



فأخذ سعد وَ الصحيفة فمحاها، ثم قال بكل تحدي: ليجهدوا علينا! (1).

واستمر المسلمون بقيادة رسول الله صَلَيْنَتَنَوَيَكَا اللهِ وَمَلَدُ فِي مَعْدِ الْأَحْزَابِ معركة التحدي التي خاضوها بكل بسالة وشرف ضد الأحزاب ومن معهم من الخونة والمرتزقة، وبعد أن ثبتوا في وجه الغزاة ورفضوا الاستسلام لهم، جاء نصر الله بطريقة عجيبة...

# « يَكَأَيُّهُ اللَّذِينَ مَامَثُوا الْكُرُوا نِسْمَة اللَّوِمَلِيَّكُمْ إِذْ جَلَة تُكُمْ جُودٌ الرَّسَلْنَا مَلْتِهِمْ رِيمَا وَحُثُونًا لَمْ مَرْوَعِمَا وَكَانَ اللَّهِ مِنْ السَّمَا لُونَ بَعِيدًا (١٠٠٠) اللَّهُ مِمَا تَعْمَالُونَ بَعِيدًا (١٠٠٠) (١٠٠٠) اللَّهُ مِمَا تَعْمَالُونَ بَعِيدًا (١٠٠٠) (١٠٠٠) (١٠٠٠) (١٠٠٠) (١٠٠٠) (١٠٠٠) (١٠٠٠) (١٠٠٠) (١٠٠٠) (١٠٠٠) (١٠٠٠) (١٠٠٠) (١٠٠٠) (١٠٠٠) (١٠٠٠) (١٠٠٠) (١٠٠٠) (١٠٠٠) (١٠٠٠) (١٠٠٠) (١٠٠٠) (١٠٠٠) (١٠٠٠) (١٠٠٠) (١٠٠٠) (١٠٠٠) (١٠٠٠) (١٠٠٠) (١٠٠٠) (١٠٠٠) (١٠٠٠) (١٠٠٠) (١٠٠٠) (١٠٠٠) (١٠٠٠) (١٠٠٠) (١٠٠٠) (١٠٠٠) (١٠٠٠) (١٠٠٠) (١٠٠٠) (١٠٠٠) (١٠٠٠) (١٠٠٠) (١٠٠٠) (١٠٠٠) (١٠٠٠) (١٠٠٠) (١٠٠٠) (١٠٠٠) (١٠٠٠) (١٠٠٠) (١٠٠٠) (١٠٠٠) (١٠٠٠) (١٠٠٠) (١٠٠٠) (١٠٠٠) (١٠٠٠) (١٠٠٠) (١٠٠٠) (١٠٠٠) (١٠٠٠) (١٠٠٠) (١٠٠٠) (١٠٠٠) (١٠٠٠) (١٠٠٠) (١٠٠٠) (١٠٠٠) (١٠٠٠) (١٠٠٠) (١٠٠٠) (١٠٠٠) (١٠٠٠) (١٠٠٠) (١٠٠٠) (١٠٠٠) (١٠٠٠) (١٠٠٠) (١٠٠٠) (١٠٠٠) (١٠٠٠) (١٠٠٠) (١٠٠٠) (١٠٠٠) (١٠٠٠) (١٠٠٠) (١٠٠٠) (١٠٠٠) (١٠٠٠) (١٠٠٠) (١٠٠٠) (١٠٠٠) (١٠٠٠) (١٠٠٠) (١٠٠٠) (١٠٠٠)

وفشلت قوى الشر من تحقيق هدفها في تدمير الإسلام وإبادة المسلمين، وتفكك تحالف الأحزاب مع رجوع كل قبيلة من حيث أتت مهزومة مدحورة، وتوجه المسلمون بعد هذا النصر مباشرة لمعاقبة الخونة من بني قريظة، فتحصنوا في حصونهم خوفًا من ملاقاة المسلمين، قبل أن يستسلموا ويُقدموا للمحاكمة بتهمة

<sup>(2)</sup> سورة الأحزاب، الآية: 9.



<sup>(1)</sup> سير أعلام النبلاء للذهبي.

الخيانة العظمى والتعاون مع قوات الغزو الأجنبي والتخطيط لتنفيذ أعمال إرهابية وعمليات إبادة جماعية تستهدف الأطفال والنساء في المدينة، فتمت إدانة جنودهم بتهمة الخيانة العظمى وتنفيذ حكم الإعدام عليهم، واستطاع المسلمون إلقاء القبض على العقل المدبر لخطة إبادة المسلمين وصاحب فكرة تحالف الأحزاب الشرير حيي بن أخطب النضري، ونُفذ في حقه حكم الإعدام، لتنتهي بذلك حياة هذا الشيطان الذي فكر يومًا ما بإنهاء دين محمد صاَنِّة تَعَيْدَيَّ الْهَرَيْدَا

كانت غزوة الخندق نقطة فاصلة في تاريخ الإسلام، فقد كان تشكيل تحالف الأحزاب هو أقصى شيء يمكن لأعداء الإسلام القيام به، فلما فشل ذلك التحالف الشرير من تحقيق آهداف، أدرك سكان الجزيرة العربية أن القوة الإسلامية الوليدة باتت قوة كبرى يحسب لها ألف حساب، فلم يجرأ أحد بعدها على غزو المدينة، فبدأت منذ ذلك التاريخ مرحلة جديدة من عمر الإسلام، وتحول المسلمون بعدها من الدفاع إلى الهجوم، وتمكنوا من تأديب كل القبائل التي غدرت بالمسلمين من قبل، لذلك قال رسول الله عراً الفتائية، عَلَا الله إله الأحزاب:

> €(356) Q

### «الآن نغزوهم ولا يغزوننا» <sup>(1)</sup>.

وقبل أن أنهي الحديث عن قصة الخندق، ينبغي أن أذكر بشيء مهم، هذا النصر الكبير الـذي تحقق في الخندق، ومـا أعقبه من تحول سريع من حالة الضعف إلى القوة، حدث بعد أن وصلت فيه حالة المسلمين النفسية إلى أصعب مرحلة يمكن أن يتصورها الإنسان، بعد أن بلغت القلوب الحناجر، ويعد أن ضاقت الدنيا عليهم بما رحبت، وبعد أن اشتدت عليهم وطأة الآلام والأوجاع، وبعد أن حوصروا من الأعداء، وبعد أن خيانهم الحلفاء الـذين يفـترض أن يكونوا عونًا لهم، كل هذه المصاعب والمعوقات لم تمنع من تحقيق النصر، بعد أن قرر الرسول صَأَلِتَهُ عَلَيْهِ وَعَلَّا إِدِيَسَلَّة وصحابته الكرام الاستمرار في الطريق دون توقف أو استسلام أو فقدان للأمل، لذلك فعندما تواجهك مصاعب الحياة، وتحيط بـك المعوقـات مـن كـل جانب، تذكر يوم الخندق، وتذكر الصعوبات التي واجت الرسول صَلَّقَة عَيْدِوَكُا لِلهِ وَسَلَّم وصحابته، وتذكر كيف جاء الفرج بعدها مباشرة، وكيف تغيرت حالهم بين عشية وضحاها، ولا تنسَ حينها أن تختار

(1) صحيح البخاري.

الخيار الصحيح الذي اختاره هؤلاء العظماء، خيار التحدي، وضع أمام عينيك دائمًا تلك الكلمات الرائعة التي أوصى بها رسول الله مَرَالِشَّعَيْدِيَقِ الرَّسَةِ عِبد الله بن عباس رَحِلَقَهُمَّة:

اليا غُلام، إنّي أعلَّمُكَ كلِمات، احفَظِ الله يحفَظك، احفَظِ الله تحفَظك، اخذا سألت فاسألِ الله، وإذا استمنت فاستَعِن بالله، واعلَم أنَّ الأمَّةَ لو اجتمعت على أن ينفعوكَ بقيء لم يتفعوكَ إلا بشيء قد كتبَهُ الله لَك، وإن اجتَمعوا على أن يضرُوكَ بشَيء لم يَضرُوكَ إلَّا بشيء قد كتبَهُ الله عليك، رُفِعَتِ الأقلامُ يَضرُوكَ إلَّا بشيء قد كتبة ألله عليك، رُفِعَتِ الأقلامُ وحفَّت الصَّحفُ» (1).

ولكن لماذا طلب الرسول عَلَلْنَّعَيْدِوَعَالِمَوْتَلَةُ مِنْ أَصحابه أَنْ يستبشروا بالنصر في أشد الأوقات صعوبة في معركة الخندق؟ وما هو الشعور الذي رافق رسول الله كَاللَّمَةَيْدِيَوَالِوَيَّلَةُ في مسيرة حياته.

بتبع...

रू बे



<sup>(1)</sup> رواه الترمذي.



في ربيع عام 571 م، وُلد طفل يتيم في مدينة جبلية تقع في جزيرة العرب يُقال لها مكة، مات أبوه قبل ولادته بأشهر، ليأتي هذا الطفل إلى الحياة فاقدًا لعطف الأب، فرعته أمه بحناجا، وأرادت إرساله إلى مرضعة في البادية لكي يكتسب جسمًا قويًا ولسانًا فصيحًا، فعرضته على مرضعات قدمن من البادية لإرضاع أبناء سادات مكة، وبالرغم من أنه كان حفيدًا لسيد قبيلة قريش التي كانت تحكم مكة، وفضت كل المرضعات إرضاعه لأنه كان طفلًا يتيمًا لا يملك أبًا لإكرامهن، فذهبت كل مرضعة بطفل من الأطفال، ليظل هو وحيدًا

<sup>(1)</sup> سورة يوسف الآية 87.



مع أمه دون أن ترضى به أي واحدة منهن، ولم تبيَّ في نهاية الأمر سوى مرضعة فقيرة لم تجد أحدًا غيره لترضعه، فقبلت به مرغمة لكي لا تعود مع صاحبانها دون طفل، وبعد أن أتم رضاعته، أرجعته أمه إلى مكة لتعتني به، وعندما بلغ السادسة من عمره، ذهبت به أمه في زيارة إلى المدينة التي توفي فيها أبوه، وفي طريق عودتهم من تلك المدينة، توفيت أمه أمام ناظريه، ليصبح هذا الطفل وهو في السادسة من عمره فقط وحيدًا دون أب يرعاه أو أم تضمه بين يديها، هذه المدينة التي ارتبطت بقدر هذا الطفل حتى قبل ولادته كان اسمها مدينة يثرب، وهي نفس المدينة التي سيرتبط اسمها به إلى الأبد بعد ذلك، وبعد وفاة أمه، رعاه جده الذي حاول تعويضه عن مأساة فقده لوالديه في هذا العمر المبكر، فصب عليه محبته وحنانه، فأحب هذا الطفل جده حبًّا عظيمًا، وصار متعلقًا بـه بشكل كبير، بعد أن وجد في قلب جده الدافئ الملجأ الذي يمكن له أن يسكن إليه، ولكن جده ما ليث أن نزل به الموت بعد ذلك بعامين فقط، فأخذ هذا الطفل ذو الثمانية أعوام يبكي خلف سرير جده المتوفى بكاء شديدًا، لينتقل بعد فراق جده إلى شخص آخر

ليرعاه، هذه المرة عمه الذي كفله بمحبثه ورعايته، ومنذ نعومة أظافره، أخذ هذا الطفل يرعى الأغنام لأهل مكة على قراريط يأخذها منهم، فكان يخلو بنفسه أثناء الرعمي يتأمل في الطبيعة، ويحدق في السماء، ويتفكر في معنى الحياة، بعيدًا عن زحمة أسواق مكة وضوضاء تجارها، ولما أصبح في عمر الخامسة عشر، صار يرافق عمه في التجارة، ولأنه كان فقيرًا لا يملك المال الكافي الذي يؤهله ليصبح من كبار تجار قريش، قرر أن يعمل أجيرًا لأهـل مكـة، فأخذ يتاجر بأموالهم مقابل أجر معلوم، وذاع صيت ذلك الشاب في مكة لما اشتهر به من أمانة وصدق، فسمعت به إحدى سيدات مكة، فأرسلته في تجارة لها، فأدركت صدق ما يشاع عن صدقه وأمانته، فأعجبت به وبأخلاقه الراقية، فعرضت عليه الزواج فقبل، فتزوجها وهو في عمر الخامسة والعشرين، وأحبها حبًا كبيرًا، وأحبته هي حبًا لا يُوصف، وأحاطته بحنانها ورقتها وجمال روحها، وعاشا معًا حياة هانئة، ورزقا بولدين وأربع بنات، إلا أن ألم الفراق الذي أحس به طفلًا عاد من جديد ليسكن قلبه شابًا، فمات ابنه الكبير، ومات بعدها ابنه الثاني، ولكنه كان يصبر على تلك الآلام، ويواسى

زوجته على فراق طفليهما الصغيرين، وبالرغم من محبة واحترام قومه له، كان يشعر بينهم بالغربة، فقد رأى في مجتمعه المكي أمورًا لم يقبلها قلبه ولم يستسغها عقله، فكان يخرج إلى أحد الكهوف الصغيرة ليخلو بنفسه ويتأمل في الكون ويتعبد الخالق، وعندما صار عمره أربعين عامًا، نزل الوحى عليه، فبدأ بدعوة قومه إلى تحريك عقولهم وترك ما ورثوه من أجدادهم من عادات وموروثات ثقافية دينية خاطئة، وبعد أن كانوا يصدقونه في كل ما يقول، انقلبوا عليه بعـد أن جـاءهم بهـذا الـدعوة الجديـدة، فكـذبوه، وسـخروا منـه، وحاربوه، ولكنه استمر في طريقه، وانضم إليه بعض الأتباع، كان أغلبهم من الشباب والضعفاء، فأخذ زعماء مكة يعذبون أصحابه الضعفاء أمامه لإيقاف مسيرته، ولكنه وبالرغم الألم الذي كان يعتصر قلبه استمر في دربه دون توقف، فساوموه وعرضوا عليه عروضًا مغريبة مقابل تركبه لهـذا الأمير، ولكنيه رفيض كيل تلك العروض، فقرروا حصاره وحصار كل من يقف إلى جانبه في أحد شعاب مكة، فكان يُسمع هناك صوت النساء والأطفال الذين يصرخون من شدة الجوع، ولكنه لم يسلم الراية لهم، وبعد ثلاث

سنوات من الحصار الخانق، توفي عمه الذي رباه صغيرًا ودافع عنه كبيرًا، وبعدها بثلاثة أيام، توفيت زوجته الحبيبة التي كانت حصنه المنبع الذي يلجأ إليه عندما تصيبه الهموم والأحزان، وبعد وفاة عمه وزوجته، اشتد أذي زعماء مكة له، ففكر باللجوء إلى مدينة أخرى يقال لها الطائف، فسافر إليها سيرًا على الأقدام، ولكنه قوبل هناك بالرفض والسخرية والشتائم، فخرج منها مهمومًا والدماء تسيل منه بعد أن لاحقته شتائم وحجارة صبيانها وسفهائها، وتمكن من العودة إلى مكة بعد أن حصل على حماية أحد ساداتها، ليصبح لاجنًا في وطنه، وبعد أن يأس زعماء مكة من استسلامه، قرروا قتله والتخلص منه إلى الأبد، إلا أنه استطاع الهجرة إلى مدينة زراعية تقع إلى الشمال من مكة بعد أن انتشرت فيها دعوته بشكل كبير، هذه المدينة هي نفسها المدينة التي ارتبطت بقدره صغيرًا، يثرب، والتي صار يُطلق عليها اسم جديد سيبقى مرتبطًا به وبدعوته إلى الأبد، المدينة، ولكن قومه لم يتركوه في شأنه، فشنوا عليها الحرب تلو الحرب، فكان يقاوم ظلمهم وطغيانهم بإيمانه وعزيمته، ليخرج من كل مواجهة معهم بشكل أقوى، وحتى عندما كانت تشتد عليه

-6<sup>(363</sup>)

المحن، كان دائمًا ينظر إلى الأمام، ويواصل دربه دون توقف، وما هي إلا سنوات قليلة، حتى تمكن من العودة إلى وطنه مكة فاتحًا، فأعلن عفوه العام على أهلها الذين اضطهدوه من قبل، ليختار أحد أصحابه الأفارقة من ذوي البشرة السوداء، ممن كانوا يُعَذبون قبل ذلك بسنوات في طرقيات مكة، وأمره أن يصعد عاليًا إلى ظهر الكعية، ليكون أول إنسان في التاريخ يؤذن للصلاة فوق الكعبة، فارتفع الأذان في سماء مكة لأول مرة بصوت ذلك الصحابي الأفريقي، وبعد فتح مكة، جاءت القبائل العربية من مختلف أرجاء جزيرة العرب لتعلن ولاءها التام له واتباعها لدعوته، وبعد وفاته في نفس المدينة التي توفي فيها أباه، انتشر أصحابه وأتباعه في مختلف أرجاء الأرض ينشرون دعوته، ويحكون حكايته العجيبة للناس، ليتحول ذلك الطفل اليتيم، الذي لـم ترضّ بـه المرضعات، والذي أصبح بعدها راعيًا لغنم أهل مكة مقابل قراريط قليلة، إلى إنسان يتبع دعوته حتى كتابة هذه السطور ما يزيد عن ربع سكان الكرة الأرضية!

إذا كانت هناك كلمة يمكن لها أن تكون عنوانًا يختصر سيرة



رسول الله صَالَيْلَهُ عَلَيْهِ وَعَالَ الهِ وَسَلَّمَ منذ نعومة أظافره وحتى أنفاسه الأخيرة، فهي ولا شك ستكون كلمة الأمل، فالأمل كان هو القاسم المشترك الـذي ميـز حيـاة رسـول الله صَأَلِنَهُ عَلَيْهِ وَعَلَى ٓ اللهِ عَلَى عَـل مراحلها، بل إن حكاية رسول الله صَأَلتَهُ عَلَيْهِ وَعَلَى اللهِ وَسَلَّمَ هـى حكايـة الأمل، وهذا ما دفعني لكي يكون الأمل هو الدرس الأخير الذي أختم به هذا الكتاب، ونحن أحوج ما نكون إلى التعلم من هذا الدرس العظيم من دروس محمد صَأَلِقَهُ عَلَيْهِ وَعَلَى الهِ وَسَلَّم، فكثير منا يظن نفسه قويًا في بداية مسيرته في هذه الدنيا، ولكنه لا يلبث أن يفقد الأمل في مرحلة ما من حياته، بعد أن يواجه رياحًا عاتية يصعب عليه مواجهتها، وفي تلك اللحظة التي يفقد فيها الأمل، يتوقف الإنسان عن إكمال مسيرته، معلنًا بذلك استسلامه أمام تحديات الحياة القاسية التي استطاعت تحطيمه من الداخل، أما في حالة رسول الله صَلَالِتَهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فقد كـان الأمر مختلفًا عـن ذلـك، فقـد بحثت في التفاصيل الدقيقة لحياة رسول الله صَأَلِتَهُ عَلَيْهِ وَعَلَى ٓ اللهِ مَا لِتَهُ عَلَى ٓ الهِ وَسَلَّمَ أَثناء عملي على إنجاز مادة هـذا الكتاب، وجلست لساعات طويلة متأملًا في هول التحديات الرهيبة التي واجهها في فترات حياته

المختلفة، فوجدت أنه لم يفقد الأمل أبدًا في أي لحظة من تلك اللحظات، بل على العكس من ذلك، كان يواصل التقدم دون توقف، ويحث أصحابه على الاستمرار ومواصلة الطريق، مذكرًا إياهم بالمستقبل المشرق الذي ينتظرهم في نهاية الطريق، فالأمل هو وقود الحياة، وهو الدافع الأكبر لكي يكمل الإنسان طريقه، وقد حرص رسول الله صَلَاتَةُ عَلَيْهِ وَعَلَالِهِ وَسَلَّمَ في كثير من المواقف على زرع روح الأمل في قلوب أصحابه وأتباعه، ليغير هؤلاء الأبطال مجري التاريخ، بعد أن تعلموا من مدرسة محمد صَلَاللَّهُ عَلَيه وَعَلَا الهِ وَسَلَّمَ أَن الإنسان لا ينبغي له أن يفقد الأمل أبدًا، وأن اليأس لا مكان له في قاموس العظماء!

و بعد...

عندما راودتني فكرة كتابة هذا الكتاب قبل عدة أعوام، كنت متخوفًا من مجرد ترديد هذه الفكرة في ذهني، ولولا إحساسي بالمسؤولية وضرورة أن أقدم شيئًا جديدًا عن رسول الله صَلَّاتُكَيِّوَ اللَّهِ اللَّهِ فَا الزمن بالتحديد، لربما قضيت العمر كله دون أن أقدم على مثل هذا ال

~@~

الحروف الأخيرة من هذا الكتاب مودعًا إياها بالدموع حزنًا على تلك اللحظات الجميلة التي رافقتني وأنا أكتب في سيرة رسول الله صَلَّاتَتُمْ عَلَيْهِ وَمَالَّمَ، ويعلم الله أنني لم أشعر في حياتي كلها بسعادة وطمأنينة وراحة نفسية أثناء الكتابة بمثل ما شبعرت بها أثناء عملي في كتاب «مدرسة محمد صَلَاتَهُ عَلَيْهِ وَعَلَى الْهِ وَسَلَّمُ اللهِ وَسَلَّمُ اللهِ وَعلى عكس ما كنت أتخوف منه، فقط كانت الكتابة عن رسول الله صَالَّاتَلَهُ عَالَيهُ وَعَالَا اللهِ مَا لَتُلَّهُ عَلَيْهِ وَعَالَا اللهِ عَالَ اللهِ عَالَا اللهِ عَالَا اللهِ عَالَا اللهِ عَالَا اللهِ عَالَا اللهِ عَالَمُ عَلَيْهِ وَعَلَّا اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِي أسهل وأسرع الأمور التي أنجزتها في حياتي كلها، ولسبب ما لا أعرف تفسيره بشكل محدد كانت المعاني والأفكار تنساب مني شلالًا متدفقًا أثناء الكتابة، على عكس طبيعتي البطيثة التي يعرفها المقربون مني، الأمر الذي دفع بعضهم للتعجب من سرعة إنجازي لهذا العمل الأدبي، ويعلم الله أيضًا، كم از داد حبى واحترامي لهذا الإنسان الرائع بعد أن نقبت في تفاصيل سيرته العطرة، وعايشت أحداثها بقلبي وروحي أثناء الكتابة، بكيت لما مر به من ظروف صعبة لا تقوى الجبال على حملها، وتعجبت من قوته التي كان يملكها وإصراره العجيب على مواصلة طريقه رغم كل ماكان



يعترضه من آلام وأحزان، وابتسمت وأنا أتأمل في عبقريته في إدارة الأمور وإيجاد الحلول المبتكرة للمشكلات التي كان يواجهها طيلة فترات حياته، دون أن ييأس ولو للحظة واحدة، ودون أن يحسى رأسه إلا لخالقه، كنت أتوقف للحظات طويلة أثناء الكتابة لأتخيل ابتساماته في وجه أصحابه وهو يحفر معهم الخندق، ودموعه وهو يفارق زوجته وأبنائه وأصحابه الـذين رافقوه في رحلة الكفاح في شعاب مكة، كنت أتأمل في حنانه وهو يحمل أحفاده ويلاعبهم، ورقته وهو يتعامل مع الحيوانات الضعيفة، كانت همومي وأحزاني تهون على كلما قرأت في الأهوال الرهيبة التي كانت تواجهه في حياته، كنت أرى فيه الإنسان بكل ما تحمله كلمة إنسان من معني، واجتهدت قدر استطاعتي على إبراز بعض جوانب هذا الإنسان، كنت أعلم منذ البداية بصعوبة الكتابة عن كل الدروس المستفادة من سيرة رسول الله صَالَقَهُ عَلَيه وَعَا اللهِ صَالَة مَا الله صَالَقَهُ عَلَيه وَعَا اللهِ وَالكناب كنت مخطئًا في اعتقادي هذا، فلقد أدركت أن الأمر يتعدى مرحلة الصعوبة إلى مرحلة الاستحالة، فليس هناك مجال لحصر دروس مدرسة محمد صَلَّاتَةُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إلهُ وَسَلَّمَ في كتاب واحد، لـذلك اكتفيت بما كتبت، آملا بالرجوع لكتابة جزء ثان لهذا العمل في المستقبل، لكي أستعرض فيه بعض الـدروس الإنسـانية التـي لـم أتطـرق إليهـا في «مدرسة محمد صَأَبْتَهُ عَلَيْهِ وَعَالَ الِهِ وَسَلَّمَ»، كالعدل والمساواة ومحاربة العنصرية وغيرها من الدروس، أو ربما أكتب في دروس مستمدة من بقية الأنبياء ﷺ؛ أو دروس من مدرسة الصحابة رَيَخَلِيَّهُ عَنْظ، فإن قدر الله ذلك وأمدني بالعمر والصحة وهيأ لي الظروف المساعدة فسأحرص بكل ما أوتيت من قوة على القيام بذلك بحول الله، أما إذا لم يقدر المولى عز وجل ذلك ولم أتمكن من إنجاز هذا المشروع المستقبلي، فإن الخيرة فيما اختاره الله، وأنا على ثقة تامة أنه سيخرج من قراء هذا الكتاب من سيكمل الطريق، وأن فكرة هذا العمل ستكون مقدمة لأعمال تاريخية مستقبلية تساهم في عودة الأمة الحتمية إلى تبوء مكانتها الحضارية بين أمم الأرض، وأرجو من الجميع الدعاء لي بالرحمة والمغفرة، فلعلني أنال رحمة الله بــدعاء أحــدكم، ولعلنــي بـــذلك أفــوز بلقــاء رســول الله صَلَّاللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَّالِهِ وَسَلَّمَ، فأخبره أولًا بمدى حبى الكبير له، ثم أطلب منه

العفو والسماح لتقصيري في الكتابة عنه، وأقرته مني ومن المسلمين السلام، وأقول له: يا رسول الله، جزاك الله عنا كل خير، إنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًا.

لا تنسوني من صالح الدعاء… أخو كم المحب جهاد الترباني للتواصل: Jehad.tr@hotmail.com تويتر: alturbani@ انستغرام: jehadalturbani

انستغرام: jehadalturbani فيسبوك: ماثة من عظماء أمة الإسلام غيروا مجرى التاريخ

80.**♦**08



\* الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق حسين الأسد، مؤسسة الرسالة، الطبعة التاسعة، بيروت 1413هـ – 1993م.

\* ابن أثير، أبو الحسن عز الدين علي بن محمد الجزري: أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار الفكر – بيروت 1409هـ – 1989م بيروت.

\* ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي: تفسير القران العظيم، تحقيق سامي ابن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1420هـ - 1999م.

\* ابن قيم الجوزية، أبو عبدالله بن أبي بكر بن أيوب الزرعي: زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة، بيروت 1415هـ -1994م.



- \* ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل: البداية والنهاية، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، 1408هـ – 1988م.
- بابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد: الطبقات الكبرى،
   مكتبة الصديق، الطائف 1416هـ 1996م.
- الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر: مجمع الزوائد ومنبع
   الفوائد، دار الفكر بيروت، 1412هـ 1992م.
- \* ابن حجر العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة – بيروت، 1379هـ - 1959م.
- \* مسلم، مسلم بين الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري: صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة دار الفكر ـ بيروت 1398هـ – 1978م.
- \* البخاري، محمد بن إسماعيل: الجامع الصحيح المختصو، دار ابن كثير، اليمامة – بيروت، 1407هـ،1987م.
- \* القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري: الجامع لأحكام القران، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1405هـ -1985م.



- \* ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني: سنن ابن ماجة، الرسالة، 1430 هـ - 2009 م.
- \* أبو داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق: سنن أبي داود، دار الرسالة، 1430 هـ - 2009 م.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس:
   إعلام الموقعين عن رب العالمين، دار الكتب العلمية بيروت،
   1411هـ 1991م.
- \* ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، دار الجيل، بيروت، 1412هـ -1992م.
- \* أبو داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق: سنن أبي داود، دار الرسالة، 1430 هـ - 2009 م.
- \* الواقدي، محمد بن عمر: مغازي الواقدي، دار الأعلمي بيروت، 1409هـ – 1989م.



- \* شوقي أبو خليل: أطلس السيرة النبوية، دار الفكر، 1429 هـ - 2008 م.
  - \* البايبل «الكتاب المقدس»، دار المشرق، 2015 م.
    - \* إدوارد سعيد: الاستشراق، دار رؤية، 2006 م.
- \* الواحدي النيسابوري، على بسن أحمد الواحدي النيسابوري: أسباب النزول، دار الإصلاح، الدمام، 1412 هـ -1992 م.
- \* ابن رجب، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد: فتح الباري شرح صحيح البخاري، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية، 1417هـ – 1996 م.
- \* النووي، أبو زكربا محيي الدين يحيى: المنهاج شرح صحيح مسلم بـن الحجاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت 1392هـ - 1972م.
- \* النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى: المجموع شرح المهذب للشيرازي، المكتبة العصرية، بيروت 1435هـ - 2014م.



- \* القاضي المهدي، القاضي حسين بن محمد المهدي: صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمشال، 1430 هـ -2009م.
- \* السمهودي، علي بـن عبـد الله: وفـاء الوفـاء بأخبـار دار المصطفى، دار الرسالة، 1419 هـ - 1999م.
- \* الطبري، محمد بن جرير الطبري أبو جعفر : تاريخ الطبري «تاريخ الرسل والملوك». دار المعارف، 1387 هـ – 1967 م.
- \* الطبري، محمد بن جرير الطبري أبو جعفر: جامع البيان عن تأويل آي الفرآن "تفسير الطبري"، دار المعارف، 1422 هـ -2001م.
- ابن باز، عبد العزيز بن باز: قتاوى الجامع الكبير، موقع الشيخ ابن باز على شبكة الانترنت: www.binbaz.org.sa
- \* الخطيب البغدادي الدارقطني، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت: تباريخ بغداد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1417 هـ – 1997 م.



- النسائي، أحمد بن شعيب بن علي النسائي: سنن النسائي،
   مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، 1406 هـ 1986 م.
- \* ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري: صحيح جامع بيان العلم وفضله، مكتبة العلم، جدة، 1416 هـ - 1996 م.
- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد: الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، 1423هـ 2002م.
- السيوطي، جـ الال الــ دين السيوطي: جمع الجوامع
   المعروف بــ «الجـامع الكبير»، الأزهـر، القـاهرة، 1426 هـ 2005م.
- السيوطي، جلال الدين السيوطي: الجامع الصغير من
   حديث البشير النذير «الجامع الصغير»، الأزهر، القاهرة، 1426 هـ
   2005 م
- \* ابن حجر العسقلاني، علي بن أحمد بن حجر العسقلاني: هداية الرواة إلى تخريج أحاديث المصابيح والمشكاة، دار ابن القيم، دار الرسالة، 1422 هـ - 2011 م.



- \* الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب: المعجم الكبير، دار الصميعى، الرياض، 1415 هـ – 1994 م.
- \* الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب: المعجم الأوسط، دار الحرمين، الرياض، 1415 هـ - 1995 م.
- \* ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان: صحيح ابن حبان، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1414هـ - 1993م. د. خطاب إسماعيل أحمد في مجلة كلية العلوم الإسلامية 2013 - جامعة الموصل.
- ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان: الثقات لابن
   حبان، دائرة المعارف العثمانية، 1393 هـ 1973 م.
- \* البيهقي، أحمد بن الحسين بن على: دلائل النبوة للبيهقي، دار الكتب العلمية، 1408 هـ - 1988 م.
- \* ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن: تاريخ دمشق لابن عساكر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1415 هـ - 1995 م.



- \* أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد: مسند الإمام أحمد بن حنبل، دار الحديث، القاهرة، 1416 هـ - 1995 م.
- \* المباركفوري، صفي الرحمن المباركفوري: الرحيق المختوم، دار الهلال، بيروت، 1430 هـ - 2009 م.
- \* علي محمد الصلابي: السيرة النبوية، دار ابن كثير الجديدة للنشر والتوزيع، الطبعة السابعة، مصر 1436هـ - 2015م.
- \* الهيثمي، نور الدين الهيثمي: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، مكتبة القدمى، القاهرة، 1414 هـ - 1994 م.
  - \* راغب السرجاني: موقع قصة الإسلام.
- \* الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله: المستدرك على الصحيحين للحاكم، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411 هـ - 1990 م.
- \* العظيم آبادي، محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيد: عون المعبود شرح سنن أبي داود، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415 هـ - 1995 م.



- \* الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبد الله: أخبار مكة وما جاء فيها من الأثار، دار الأندلس للنشر، بيروت، 1430 هـ - 2009 م.
- \* هيرودوت: كتاب التاريخ، مكتبة الأسرة، 1414 هـ -1994 م.
- \* ويل ديورانت وأريل ديورانت: قصة الحضارة، دار الجيل، 1431 هـ – 2010 م.
- د. خطاب إسماعيل أحمد: الرسول مَثَالِثَا عَلَيْمَ عَلَيْهَ عَلَيْمَ عَلَيْهَ وَعَلَيْمَ وَاللَّهِ وَسَلَمَ وَعرض نفسه على القبائل العربية في موسم الحج. مجلة كلية العلوم الإسلامية 2013 جامعة الموصل.

## જા∳ભ











| العودة إلى لحظة الابتسامة الأخيرة           |
|---------------------------------------------|
| التعامل مع الأبناء                          |
| التعامل مع الأطفال 43                       |
| المرأة 52                                   |
| الوفاء بالعهود                              |
| الصــــــــــــــــــــــــــــــــــــ     |
| أدب الإنصات                                 |
| أدب الاختلاف                                |
| التعايش الإنساني المشترك مع غير المسلمين 27 |
| المبادئ لا تتجزأ 51                         |

| so A co    |                |           |         |  |
|------------|----------------|-----------|---------|--|
| 81         | ت              | الموضوعاه | هرس     |  |
| 71         | ر              | ع والمصاد | لمراج   |  |
| 59         |                |           | لأمل    |  |
| 39         |                |           |         |  |
| 14         |                |           |         |  |
| 00         |                |           |         |  |
| 60         |                |           |         |  |
| 48         |                |           |         |  |
| 39         |                |           |         |  |
|            |                | البيئة    | حماية ا |  |
| لمناسب 16. | مناسب للمكان ا | الشخص ال  | ختيار ا |  |
| 96         |                | ـــات     | -:      |  |
| 72         |                | ــــرة    | مثاب    |  |



## مكتبة نوميديا Numidia\_Library



- ما سر قلك الايتسامة العجيبة اثني ودع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه قبل وفاته بلعظات؟
- كيف تعامل الرسول صلى الله عليه وسلم مع المرأة؟ وهل كان يعتبرها عنصرا هامشياً هي المجتمع؟ أم أنه كان مناصرا كبيرا تحقوق المرأة ومدافعًا عن كيانها وإنسانيتها؟
- ما هي نظرة الرسول صلى الله عليه وسلم للبيئة؟ وكيف كانت علاقته بعالم النبات وعالم الحيوان؟
- هل كان الرسول صلى الله عليه وسلم يتمامل إنسانياً مع غير المسلمين؟ أم أنه منع المسلمين من التواصل مع غير المسلمين بأي شكل من الأشكال؟
- ما الذي كان يفعله الرسول صلى الله عليه وسلم مع المختلفين معه بالرأي؟ وهل كان يسمح
   بالاختلاف أصلا؟ وهل كان الصحابة في زمنه يختلفون مع بعضهم البعض؟
- كيف أدار رسول الله صلى الله عليه وسلم غرفة العمليات الخاصة بمعركة الخندق المصيرية؟
  - وما هي الخطوات المحددة التي اتخذها لصد تحالف الأحراب الجرار؟
- ما حكاية الإمبراطور الصيني العجيب الذي ينى سور الصين العظيم؟ وما قصة بعثه عن إكسير
   العياة؟ وكيف شكل جيشا حجريا من آلاف المقاتلين العجرين؟ وكيف كانت نهايته المأساوية؟
- كيف استطاع الإغريق صد رحف الإمبراطورية الثارسية التي كانت تخطط لاجتياح العالم
   بأسره؟ وما هي تفاصيل تلك المعركة البحرية الخطيرة التي وقعت على سواحل اليونان
   وكانت نقطة فاصلة في تاريخ العنصر البشري؟
- كيف اجتاح الإسكندر الأكبر بجيشة أراضي العالم القديم حتى وصل به إلى جبال الهيمالايا؟
   وما الذي دفعه لإعلان ألوهيته؟ وما سر موته في ظروف غامضة في العراق؟
- ما قصة الإمبراطور الروماني المجنون كاليقولا؟ وما هي الأفعال المرعبة التي كان يقوم بها؟ وما الذي تسبب بفقدائه لعقله؟



